Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

# (المرجعيةُ القرآنيةُ في كتابِ تحفِ العقولِ عنْ آلِ الرسولِ لابنِ شُعبةَ الحرّانيّ، منْ أعلامِ القرنِ الرابعِ الهجريّ: دراسةٌ موضوعيةٌ)

"The Qur'anic Referencing in Tuhaf al-'Uqul 'an Al al-Rasul by Ibn Shu'bah al-Harrani, a Prominent Scholar of the Fourth Hijri Century: A Thematic Study

الفرحانيّ, خيرية عباس محمد

إشراف: أ.م.د ناطق نجم الزرگـانيّ

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/210

https://doi.org/10.31185/uowasit-54

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة واسط

كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة

قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة /الدراسات القرآنية /الدراسات العليا

# (المرجعيةُ القرآنيةُ في كتابِ تحفِ العقولِ عنْ آلِ الرسولِ لابنِ شُعبةَ الحرّانيّ، منْ أعلامِ القرنِ الرابعِ الهجريّ: دراسةٌ موضوعيةٌ)

رسالةٌ مقدمةٌ

إلى مجلس كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة واسط

وهي جزءٌ من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميّة/الدراسات القرآنيّة

أعدتها الطالبة

خيرية عباس محمد الفرحانيّ

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور

ناطق نجم الزهركانيّ

١٤٤٨هـ ٢٠٢٦م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾

صدق الله العلي العظيم

**النحل: ٨٩**

**إقرار مشرف**

## إقرار خبير لغوي

## اقرار لجنة المناقشة

# الإهداء

إلى الروح التي رافقتني في مسيرتي البحثية، روح أخي (**علي**) رحمه الله .

الباحثة

**خيرية عباس محمد الفرحانيّ**

# شكر وامتنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميع نِعمه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا، والشكر له أولًا وآخرًا.

أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الحسن إلى الأستاذ المشرف **(ناطق نجم الزرگاني)** لقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وتقديم النصائح والإرشادات لتقويمها، وتحمّل ذلك برحابة صدر وشعور بالمسؤولية .

شكري وعرفاني للأستاذ **(عماد جبار كاظم)** الذي أحاطني برعايته الأبوية وتوجيهاته القيمة وتزويدي بالمعلومات المهمة حول الكتاب محور الدراسة، وأسأل الله أن يبارك بعمره ويوفقه لخدمة العلم والدين.

شكري وامتناني إلى كل من أعانني في إكمال هذه الرسالة ولا سيما أولادي **(محمد وموسى)** فقد رافقاني في كل حرف من حروف هذه الرسالة تنضيدًا وترتيبًا وطباعة، أسأل الله أن يبارك فيهما ويوفقهما لكل خير.

شكري وامتناني لكل من ضمّني بين طيّات دعائه من الأهل والأقرباء والأصدقاء.

# قائمة المحتويات


| المحتويات | رقم الصفحة |
|---|---|
| المقدمة. | ١- ٧ |
| التمهيد. | ٩-٣٤ |
| **الفصل الأول:** منهجية استحضار النص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول". | ٣٦-٨٦ |
| المبحث الأول: مستويات التناص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول". | ٣٧-٦٣ |
| المطلب الأول: التناص المفهومي. | ٣٩-٤٤ |
| المطلب الثاني: الاستشهاد. | ٤٤-٥٤ |
| المطلب الثالث: الاقتباس. | ٥٥-٦٣ |
| المبحث الثاني: وظائف النص القرآني لكلام المعصومين(عليهم السلام) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول". | ٦٣-٨٦ |
| المطلب الأول: الوظيفة التفسيرية والبيانية. | ٦٤-٦٩ |

| | |
|---|---|
| المطلب الثاني: الوظيفة الاستدلالية والحجاجية. | ٦٩-٧٦ |
| المطلب الثالث: الوظيفة التربوية والتوجيهية (التهذيب السلوكي). | ٧٦-٨٦ |
| **الفصل الثاني:** المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع. | ٨٨-١٣٨ |
| المبحث الأول: دور المرجعية القرآنية في تفعيل الحجة الباطنة (العقل) وبناء الفكر. | ٨٩-١١٧ |
| المطلب الأول: الحث على التفكّر والتعقّل في كلام المعصومين (عليهم السلام) استنادًا للنص القرآني. | ٩٠-١٠٣ |
| المطلب الثاني: المرجعية القرآنية في أدب الحوار والمناظرة. | ١٠٣-١١٧ |
| المبحث الثاني: المرجعية القرآنية في بناء المنظومة الأسرية والرعاية الحياتية. | ١١٨-١٣٨ |
| المطلب الأول: المرجعية القرآنية في تنظيم العلاقات الأسرية. | ١١٩-١٢٨ |
| المطلب الثاني: المرجعية القرآنية في تفعيل ثقافة الوعي الصحي. | ١٢٩-١٣٨ |
| **الفصل الثالث:** المرجعية القرآنية في تأصيل العقيدة وتنظيم التشريع. | ١٤٠-١٩٢ |
| المبحث الأول: دور المرجعية القرآنية في التأصيل للعقيدة. | ١٤١-١٦٣ |

| | |
|---|---|
| المطلب الأول: المرجعية القرآنية في مجال التوحيد والعدل الإلهي. | ١٤٢-١٥٢ |
| المطلب الثاني: دور المرجعية القرآنية في تأصيل مبدأ الإمامة. | ١٥٣-١٦٣ |
| المبحث الثاني: دور المرجعية القرآنية في تنظيم التشريع. | ١٦٣-١٩٢ |
| المطلب الأول: تنظيم العبادات وتقنين علاقة العبد مع ربه. | ١٦٤-١٧٥ |
| المطلب الثاني: المرجعية القرآنية في تنظيم الالتزامات والحقوق المالية. | ١٧٦-١٨٦ |
| المطلب الثالث: المرجعية القرآنية ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. | ١٨٦-١٩٢ |
| الخاتمة. | ١٩٤-١٩٦ |
| المصادر. | ١٩٧-٢٢٣ |
| الخلاصة. | ٢٢٤ |
| الملخص باللغة الإنجليزية. | |

# المقدمة

المقدمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## المقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا يوازي نِعَمَه، والصــلاة والســلام على نبيه محمد خير الخلق، والداعي إلى الحق، وعلى آله عِدل القرآن وترجمانه، واللعن الدائم على أعدائهم ومن خالف نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد،

فإنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأساس للهداية والتشريع في الدين الإسلامي، وهو المرجع الأعلى الذي نستمد منه أصول المعارف، ومضامينها، وقد شكَّل محورًا رئيسًا في تأسيس الفكر الإسلامي، بمبادئه العقدية والتشـــريعية والأخلاقية، ومن هنا تبرز أهمية دراســـة المرجعية القرآنية في تراثنا الإســلامي، ولا ســيما في كلام المعصــومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، إذ مثلت امتدادًا طبيعيًا لرســالة النبي الأكرم (ﷺ) .

ويُعَدُّ كتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" لأبن شـعبة الحرّاني _من أعلام القرن الرابع الهجري_ من مصادر التراث المهمة، التي أسهمت في حفظ جملة من الخطب والوصايا والحكم التي صدرت عن النبي (ﷺ) وآل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وكانت زاخرة بالمضــامين القرآنية، على صــعيد الاســتشــهاد بالنص القرآني أو من خلال اســـتلهام مفاهيمه، فالكتاب يُمَثِّلُ كنزًا معرفيًا، لا لكونه جامعًا لجواهر كلام أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فحسـب، بل لأنَّه تجسـيدٌ حيٌ لمرجعية القرآن الكريم في الفكر الإسـلامي، فمن خلال

## المقدمة

سبرنا لأغوار هذا المؤلَّف وجدنا أنَّ النصوص القرآنية فيه لم تكن مجرد زينة لفظية أو بلاغية، بل هي الأساس المرجعي، والروح المحرّكة لرؤى أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في بناء المجتمع وترميم الروح والعقل.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة الموسومة ب: **(المرجعية القرآنية في كتاب تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحرَّاني _من أعلام القرن الرابع الهجري_: دراسة موضوعية)**، والتي تسعى إلى كشف مدى الحضور القرآني في هذا الكتاب، مع بيان أوجه التفاعل مع النصوص القرآنية، وكيفية توظيفها في كلام المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وتكشف الدراسة أيضًا عن ذلك الترابط بين الوحي الإلهي وبيان المعصوم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ).

ونظرًا للقيمة العلمية التي يتمتع بها كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" فقد تناوله الباحثون بالدراسة من زوايا متعددة، وكانت أبرز تلك الدراسات هي :

١. الحجاج في تحف العقول لابن شعبة الحرّاني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، للباحثة، وسن هاشم عودة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٨هـ _ ٢٠١٦م .

قامت الباحثة بوصف الظواهر الحجاجية في خطاب النبي (ﷺ) والعترة الطاهرة بصورة عامة وتحليل النصوص على وفق معطيات أهم النظريات الحجاجية (البلاغة الجديدة، الحجاج في اللغة، والمساءلة الحجاجية)، والكشف عن مدى قوة الآليات اللغوية من روابط وعوامل في حجاجية النصوص وإدراك الغاية المقصودة بواسطتها.

٢. المضامين التربوية في وصايا الرسول (ﷺ) للإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، رسالة ماجستير للطالب محسن عبد الله خلف، كلية التربية الأساسية، الجامعة

المستنصرية، ١٤٣٩هـ_ ٢٠١٨م. وقد عرضت الرسالة المضامين، التربوية في وصايا النبي (ﷺ) للإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الكتاب، وأهمها الحث على الخير والنهي عن المعاصي، والوصايا التعبدية، والوصايا العقدية والأخلاقية، واقتصرت الرسالة على الوصية، ولم تدرس بقية الروايات في الكتاب.

٣. التواصل الإضماري في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول "لابن شعبة الحرّاني، الطالب خالد حميد ناصر، كلية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للعلوم الإسلامية الجامعة، ١٤٤٢هـ _ ٢٠٢٠م. وكان هدف الرسالة كما بيَّن الباحث في المقدمة هو بيان الأساليب الإضمارية، الدالة على العلاقة التواصلية ضمن الغايات المستهدفة، فضلاً عن تحليل المعاني الدلالية لبنية الخطاب، وبيان أسباب الحاجة للإضمار، وكذلك بيان العلاقات الإضمارية والبعد الذي تتناوله في العلاقة بين المتخاطبين والقصدية في الخطاب لبيان الإضمار المقصود سواء أكان لأغراض بلاغية، أم لأغراض الإيجاز، أم لأغراض تتعلق بظروف المتكلم والمتلقي فتضمنت الألفاظ التحاورية في الكتاب على آليات تواصلية متعددة ومتنوعة، وكذلك تضمنت غايات الإضمار وأهدافه، والبعد الدلالي المتوخى من الإضمار.

٤. الظواهر التركيبية في حديث الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لابن شعبة الحرّاني: دراسة نحوية دلالية، للطالب هادي فلحي جعفر الموسوي، كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة ميسان، ١٤٤٣هـ_ ٢٠٢٢م. وتناولت الدراسة أهم الظواهر التركيبية في حديث الإمام جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأهم دلالاتها ومنها: التقديم والتأخير، والحذف، والفصل، والوصل.

٥. النصـوص الإشـهارية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" لابن شـعبة الحرّاني: دراسـة تحليلية، أطروحة دكتوراه للطالب: فاضـل عبد العباس عباس الشيباني، كلية التربية الأسـاسـية قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، ١٤٤٦هـ_ ٢٠٢٤م.

ويقوم جوهر هذه الأطروحة على إظهار النصوص الإشهارية في كلام النبي الأكرم(ﷺ) والأئمة المعصـــومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وتحليلها، وعمّا أُنيط بهم(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) من أمانة الســـماء وحمل أعباء الترويج والدعوة إلى الرشاد في جوانب الدين والدنيا، والكشف عن صيغ الإشهار في المهيمنات اللفظية أو الصـــياغات في كلامهم في مدارك التوجيه والترويج كافة، وحاولت الدراســة أيضًــا إبراز الأسلوب الذي استعمل في هذا الترويج والتوجيه وإبراز مواطن الإشهار، وأساليبه، وآلياته، ووظائفه، وكيفية صياغة بنائه في كلام المعصومين(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ).

ومن خلال الاطلاع على الدراسـات السـابقة، نرى أنَّ أغلبها ركَّزت على الجانب اللغوي، والتربوي في الكتاب، مع إهمالها تحليل اســتناد النصـــوص التي وردت فيه إلى القرآن الكريم، وكيف وُظِّفَ النص القرآني في نصوص الكتاب، وكذلك عدم تتبع منهج ابن شعبة الحرّاني في عرض النصــوص من حيث اســتدلالها بالقرآن الكريم ســواء أكان الاســتدلال مباشــرًا أو غير مباشـر، فضـلاً عن ندرة الدراسـات المتخصـصـة في البعد القرآني لكتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" وعدم دراســة الأنماط الاســتدلالية والتفســيرية فيه؛ إذ لم تتطرق بشــكل منهجي إلى الاســـتدلال بالقرآن الكريم، ســـواء أكان في مجالات الأخلاق، أو في مســـائل العقيدة، أو في الخطاب السياسي، أو الاجتماعي.

# المقدمة

وتأتي هذه الدراسة لإكمال ما بدأ به الباحثون في دراسة هذا المؤَلّف القيّم، والتي امتازت بتركيزها الاستقصائي على المرجعية القرآنية، بوصفها المحرك الأساس للنص، وهو الجانب الذي لم يُفْرَد بدراسة موضوعية مستقلة وشاملة_ حسب علمنا_، ممّا يعطي هذه الرسالة قيمتها العلمية المضافة .

واعتمدت الدراسة على مزيج متكامل من المناهج التي تتناسب مع الدراسات القرآنية وذلك عن طريق تتبع النصوص الواردة في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" والتي تستند إلى المرجعية القرآنية أو تتقاطع معها، واختيار عينات تمثيلية منها، وتصنيفها وفقًا لموضوعاتها (عقيدة، تشريع، تربية، أخلاق) وغيرها، واعتماد المنهج الوصفي لتوثيق وتوصيف الظواهر التناصية التي ميّزت أسلوب أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في استحضار النص القرآني، كذلك تحليل وتفكيك تلك النصوص وبيان وجه الارتباط بينها وبين الآيات القرآنية سواء أكان هذا الارتباط مباشرًا أو غير مباشر، واستجلاء الوظائف ( الحجاجية، والتفسيرية، والتربوية) التي أداها النص القرآني داخل كلام المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، كذلك المنهج الموضوعي، إذ لم تكتفِ الدراسة بتحليل النصوص، بل عمدت إلى دراسة الموضوع مثل (بناء العقل، أدب الحوار والمناظرة، وتنظيم الأسرة، والتوعية الصحية، والتأصيل العقدي والتشريعي) كمنظومة متكاملة في الكتاب، وبيان كيف شكَّل القرآن الكريم المرجعية العليا لتلك الموضوعات.

وقد كانت منهجيتنا في الكتابة هي: تخريج الآيات القرآنية الكريمة من المصحف الشريف وتوثيقها باسم السورة ورقم الآية في متن الرسالة، أما الأحاديث الشريفة فقد تم تخريجها من كتب الحديث الشريف ككتاب الكافي وغيره، وعند ذكر المصدر لأول مرة نذكر بطاقة الكتاب كاملة في الهامش،

وعند ذكره في المرات اللاحقة نكتفي بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء إن وجد ورقم الصفحة. وقمنا بتعريف الشخصيات والأماكن في الهامش؛ في حال ورودها في المتن.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على فصولٍ ثلاثة، يسبقها تمهيد ومقدمة، وذُيّلت بخاتمة ضمّت النتائج والمقترحات، فتناول التمهيد (التعريف بالمرجعية القرآنية لغة واصطلاحًا، أهمية المرجعية القرآنية في الفكر الإسلامي، والتعريف بابن شعبة الحرّاني وكتابه "تحف العقول عن آل الرسول" وأهميته في الدراسات الإسلامية، ومنهج المؤلف في الكتاب، وسبب تأليفه، ومرجعية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) القرآنية).

وكان الفصل الأول عن (منهجية استحضار النص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، بمبحثين: مستويات، ووظائف).

أما الفصل الثاني فقد ركّز على (المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع، وفيه مبحثان: الأول: دور المرجعية القرآنية في تفعيل الحجة الباطنة (العقل) وبناء الفكر، والثاني: المرجعية القرآنية في بناء المنظومة الأسرية والرعاية الحياتية).

والفصل الثالث الذي تناول (دور المرجعية القرآنية في تأصيل العقيدة وتنظيم التشريع، وفيه مبحثان: الأول: المرجعية القرآنية في تأصيل العقيدة، والثاني: المرجعية القرآنية في تنظيم التشريع).

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، مع مقترحات للدراسات المستقبلية .

ثم قائمة المصادر والمراجع التي استعنّا بها في الدراسة.

وكحال أي دراسة؛ فإنَّها لا تخلو من صعوبات، كان أبرزها قلّة الشروحات لكتاب "تحف العقول عن آل الرسول" فلم نجد _حسب بحثنا_ عن شرح لهذا المؤلف الفريد، ممّا جعل عملية التحليل للنصوص تحتاج إلى دقة عالية، وجهد مضاعف، لتجنب الوقوع في التأويل؛ لكنَّ الاستعانة بالله، ومتعة البحث، والغوص في المصادر، ومساعدة الأستاذ المشرف (وفقه الله)، ذَلّلت هذه الصعوبات، ومكنتنا قدر المستطاع للوصول إلى نتائج مقبولة إن شاء الله .

واعتمدنا في هذه الدراسة بالدرجة الأولى على "كتاب تحف العقول عن آل الرسول" فضلاً عن الاستعانة بمجموعة قيّمة من المصادر والمراجع والرسائل الجامعية، تنوعت ما بين كتب التفسير، وكتب الحديث وشروحها، وكتب الأخلاق، والفقه، والعقيدة، واللغة، وكتب المعجمات وغيرها.

وأخيرًا، إن كان هذا الجهد المتواضع مقبولاً، فلله الحمد والمنّة، وإن كان فيه خلل أو قصور فنرجو قبول العذر؛ لأنَّنا لا نزال نحبو في طريق العلم، ونسأل الله تعالى أن يَمُنَّ علينا بالقبول، والتوفيق لخدمة القرآن الكريم وعلومه.

# التمهيد

## التمهيد:

## المبحث الأول:

## التعريف بالمرجعية القرآنية في اللغة والاصطلاح وأهميتها في الفكر الإسلامي:

يقتضـــي ضـــبط المفهوم الدقيق للمرجعية القرآنية تفكيك المركب وبيان دلالة طرفيه المفردين: (المرجعية، القرآنية) من أجل صياغة تعريف متكامل للمصطلح.

إنَّ مصـطلح المرجعية واسـعٌ وشـاملٌ، وذلك بسـبب تنوع طرائق اسـتعماله فلا نجد لهذه اللفظة تعريف جامعٌ مانعٌ؛ فهي تدخل في كثير من المجالات والعلوم: فمنها مرجعية دينية، ومرجعية سياسية، ومرجعية أدبية، ومرجعية تاريخية وغيرها، وحتى نتعرف على مفهوم المرجعية، يمكننا الرجوع إلى البنية الصرفية والدلالة المعجمية للكلمة [1].

[1]. ينظر: المرجعيات الثقافية والمعرفية عند الشيخ إبراهيم الكفعمي: قراءة في أنظمة تشريح النص والتفسير [ صفوة الصفات مثالاً] / عماد جبار كاظم داوود/ مراجعة وضبط: مركز تراث كربلاء _ قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية /ط١/ دار الكفيل / ١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٢م/٥.

## المطلب الأول: تعريف المرجعية القرآنية في اللغة والاصطلاح:

### أولاً: المرجعية في اللغة:

عند الرجوع إلى المعجمات اللغوية نجد أنَّ أصـــل الكلمة هو من الجذر(رَجَعَ) فيقال: "رجعت، رجوعًا ورجعته" [١]، والرجوع هو العود إلى ما كان عليه من قول أو فعل أو مكان [٢] "وعلى الرغم من اشتهار مصطلح المرجعية في الوسط الشرعي والوسط الإعلامي، فإنه لا وجود له في المصطلحات القرآنية ولا في كتب التراث الإسلامي بهذه الصيغة" [٣] ؛ إذ لم يرد هذا اللفظ في الكتاب ولا في السنة الشريفة وإنما نجد الأصل وهو المصدر (مرجع) قد ورد في القرآن الكريم، وورد أيضًا في السنة المطهرة وفي كتب التراث الإسلامي وهو: (الرجوع والمصير) [٤] . وحين نقرأ القرآن الكريم نجد أنَّ كلمة (مرجع) وردت في مواضع كثيرة مضافة بلفظ (مرجعكم أو مرجعهم) [٥]. أما في المعجمات

---

١. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ) / تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي/ط١/ منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية / بيروت_ لبنان/مادة (رَجَعَ)/٢ /١٠١.

٢. ينظر: المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد [الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)] تحقيق: محمد سيد كيلاني/ دار المعارف/ بيروت لبنان/مادة (رَجَعَ)/ ١٨٨.

٣. المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني): عماد الدين الرشيد/ ط١/ نحو القمة للطباعة والنشر /سوريا _ حمص/١٤٢٧هـ_٢٠٠٥م/ ٩.

٤. ينظر: المصدر نفسه:١١.

٥. ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

الحديثة فنجد هذه الكلمة وهي: "(اسم مؤنث منسوب إلى مرجع) وتعني الأسس المرجعية لعملية السلام، ومصدر صناعي من مرجع، وتعني الخلفية التأريخية السابقة". [1]

يتبيَّن لنا من خلال ذلك أنَّ كلمة المرجعية هي مصطلح حديث، إذ لم يكن موجودًا في المعجمات القديمة، بل يوجد الجذر اللغوي للكلمة وهو كلمة (رجع)، وقد اتفقت المصادر كلها على أنَّها تعني الرجوع والعودة إلى الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٤٨.

## ثانيًا: المرجعية في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي كثيرًا عن المعنى اللغوي؛ فهو يعني أيضًا، الرجوع إلى الأصل، وبهذا تكون المرجعية في الاصطلاح هي: "الرجوع والعودة إلى الأصول المعرفية والثقافية للعلوم والمعارف والآداب التي أنتجها الفكر البشري". [2] وهي أحد أهم المظاهر التي تؤدي الى انتظام المجتمع. وتُعَدُّ من الضروريات؛ فهي المسؤولة عن التوجيه الصحيح للمجتمع، وإرشاده إلى طريق الاستقامة؛ لأنَّه لا يقوم شيء أو عمل من دون مرجعية؛ فهي قوامه.

وهناك مرجعيات متعددة منها: الفكرية، العلمية، التاريخية، اللغوية، الدينية، وغيرها، ومفهوم المرجعية من منظور قرآني له جانبان :

---

[1] . معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر/ط١/ عالم الكتب/ القاهرة /١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م/ مادة(رَجَعَ) /١/ ٨٦٣.

[2]. المرجعيات الثقافية والمعرفية عند الشيخ إبراهيم الكفعمي: عماد جبار كاظم/ ٥.

**الأول:** هو الجهة الفكرية أو العقدية التي يعتقدها الفرد، وتكون الإطار والميزان لعمله ويرد إليها في أموره وشؤون دينه، وتكون حكمًا وفيصلاً لأعماله.

**الثاني:** يتمثل بالأشخاص الذين اختارهم الله تعالى ليمثلوا هذه الجهة بأفعالهم وأقوالهم؛ إذ تكون مهمتهم الشرح والتوضيح للمرجعية الفكرية، أو هم الوجه العملي لتلك الجهة؛ وذلك لأنَّهم يتمتعون بالمستوى العلمي والمصداقية السلوكية التي تؤهلهم لتمثيل هذه الجهة [1].

وبهذا تكون المرجعية في الإسلام هي: الكتاب والسنة. ومصدرهما الوحي قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣، ٤. ومهما اختلف المسلمون في تحديد مفهوم المرجعية، إلا أنَّها ترجع إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى الرسول(ﷺ)، وإلى أولي الأمر لقوله تعالى:﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ النساء:٥٩؛ لأنَّ أولي الأمر مرجعيتهم مستمدة من القرآن الكريم، "إنَّ أول مرجع يرجع إليه المسلمون لحل خلافاتهم في الأحكام الإسلامية هو الله سبحانه، والنبي الأكرم(ﷺ) الذي يوحى إليه، وإذا ما بيّن الأئمة المعصومون(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) أحكامًا، فإن تلك الأحكام ليست سوى اقتباس من كتاب الله، أو هي من العلوم التي وصلت إليهم من النبي الأكرم(ﷺ)" [2].

---

[1]. ينظر: المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني): عماد الدين الرشيد/ ٣١.

[2]. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي/ط٢/دار إحياء التراث العربي /بيروت _ لبنان/ ٣ / ٢٠٠.

## ثالثًا: تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح:

القرآن لغة: جاء في لسان العرب "قرأ القرآن التنزيل العزيز قرأه يقرأه قرأ وقراءة وقرآنًا قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٧. أي جمعه وقراءته، وقرأت الشيء قرآنا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض. يقول الشافعي: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته" [١].

أما اصـــطلاحًا: فالقرآن الكريم له تعريفات عدة نختار منها تعريفًا واحدًا وهو: "أما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب في المصاحف المنقول عن النبي(ﷺ) نقلاً متواترًا بلا شبهة وهو النظم والمعنى جميعًا" [٢].

وبعد أن بيَّنا تعريف كل من (المرجعية، والقرآن) في اللغة والاصـــطلاح، يتبيَّن لنا من ذلك أنَّ تعريف المرجعية القرآنية هو: جعل القرآن الكريم الأصـل الأوثق والمصـدر الأعلى الذي نرجع إليه في مختلف المجالات المعرفية، والفكرية، والتشريعية، والعقدية وغيرها؛ حتى يكون هو المعيار في الصـحة والخطـأ، والرفض والقبول، والتوجيـه والبنـاء، وجعـل القرآن الكريم هو الميزان الـذي نزن بـه المفـاهيم والأقوال والمواقف، أو نحتكم إليه في مواطن الاختلاف والتنازع. وأن نســـتمد منه المفاهيم الكبرى في قضـــايا العقيدة، والفقه، والاجتماع، والأخلاق، وغيرها. وهناك آيات قرآنية كريمة تدل على هذا المعنى

---

[١]. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ) /نشر: أدب الحوزة /قم_ إيران/١٤٠٥هـ /مادة (قرأ) / ١ / ١٢٨، ١٢٩.

[٢]. أصول البزدوي [كنز الوصول إلى معرفة الأصول]:علي بن محمد البزدوي الحنفي(٣٨٢هـ) / ٥.

منها:﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ النحل:٨٩، ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ الأنعام :٢٨ وغيرها من الآيات التي توضّح أنَّ القرآن الكريم هو الأصل في جميع القضايا التي تواجه الإنسان في حياته، وكذلك ترسم الخطوط الصحيحة في التزود والتهيؤ لدار الآخرة.

## المطلب الثاني: أهمية المرجعية القرآنية في الفكر الإسلامي :

القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي جعله الله تبيانًا لكل شيء، وفيه هدى ونور، وجعله مهيمنًا على الكتب السماوية السابقة، ومصدقًا لما جاء فيها من مفاهيم، وعقائد، وتشريع، وغير ذلك، وهذا يجعله مقدمًا على الكتب كلها، سواء كان مصدرها إلهيًا أو بشريًا "إنَّ القرآن كان ولا يزال وسيظل إلى آخر الزمان نبعًا فياضًا لشتى العلوم الدينية والدنيوية، لا ينقطع مدده ولا يتوقف عطاؤه ولا تنقضي عجائبه ويكشف لكل من يتعمق في بحثه ويتوفر على دراسته بإخلاص وتجرد الأسرار تلو الأسرار" [1]؛ والقرآن الكريم هو مصدر لكل المعارف وهو أصل الأصول "وهو المنبع الأصلي والأساسي للدين والإيمان وفكر كل مسلم" [2] فعند التباس الأمر، وحصول العجز، وتغلب الفتن، وجب الرجوع إليه لحل كل معضل ورفع كل لبس ومواجهة كل فتنة، وهذا لا يمكن حصوله إلا من خلال قراءة القرآن بوصفه مرجعية كونية؛ لأنَّ ذلك سيساعد في إثراء، وضبط كل منهج معرفي يستخدم

---

[1]. الموسوعة القرآنية المتخصصة: محمود حمدي زقزوق وآخرون/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية /وزارة الأوقاف/مصر_ القاهرة /١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٢م/ ب.

[2]. الفكر الإسلامي وعلوم القرآن: مرتضى مطهري/ط١/ دار الإرشاد/بيروت_ لبنان/١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م / ١١.

مدخلاته العلمية النقدية التحليلية؛ لأنَّ هذه المناهج سوف تخضع أثناء استخدامها للنقد والتقويم والعرض على القرآن الكريم [١]. والقرآن الكريم هو مجموعة من الفوائد، ومجموعة من الفضائل ومجموعة من المكارم، وله أبعاد لا يمكن تصورها وأغوار لا يمكن دركها؛ فهو الكتاب الذي انتخبه الحق جلَّ وعلا ليكون منهجًا للحياة، وطريقًا للآخرة [٢]،

إنَّ المرجعية القرآنية لم تكن مجرد خطاب وعظي، بل هي قاعدة أصولية منهجية عند الكثير من أتباع أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وبالأخص الفقهاء الذين ساروا على خطهم في الأخذ من القرآن الكريم، يقول الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) في العدة: "والأصل في هذه الأصول هو الخطاب" [٣] ؛ إذ يرى أنَّ الخطاب القرآني هو الأصل في التشريع، بل الأصل الأول "فمتى ورد خطاب من الله تعالى وجب حمله على ظاهره فيما تقتضيه اللغة، إلا أن يدل الدليل على خلافه" [٤] وكذا فإنَّ أصول الشريعة التي "قام البرهان القطعي على اعتبارها وسائر الفروع مستندة إليها، فلا إشكال أنَّها علمُ أصلٍ راسخُ الأساسِ ثابتُ الأركان" [٥]. والقرآن أيضًا قابل للتفاعل مع كل منهج من مناهج المعرفة ومع كل الحقول الثقافية المختلفة؛ إذ بمقدوره أن يعيد صياغتها باتجاه "منظور كوني يحرر الإنسان من أشكال الفكر المادي، والوضعي" [٦] وهو يمثل أحد المرجعين المهمَّين للمسلمين في معرفة الأصول والتعاليم الدينية، إلى

---

١. ينظر: القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتأريخية: محمد أبو القاسم حاج حمد/ دار الساقي/بيروت_ لبنان / ٥٠.
٢. ينظر: القرآن: دراسة عامة: محمد رضا الحاج عباس الحكيمي/ط١/ دار الصادق/بيروت/١٣٩٢هـ / ١٦٩، ١٧٠.
٣. العدة في أصول الفقه: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ) / تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي/١/ ٧.
٤. المصدر نفسه :١/٤٥.
٥. الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي[ إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي]/شرح: عبد الله دراز/ط١/ منشورات: محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية/ بيروت_ لبنان/١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م/ ٤٥.
٦. القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتأريخية: محمد أبو القاسم حاج حمد/ ١٤١.

جانب السنة المطهرة وكما أمر الله عزَّ وجلَّ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ المائدة: ٩٢. فضلاً عن "كونه كتابًا دينيًا، فهو كتاب علمي دقيق يصلح مرجعًا للعلماء، والباحثين على مر العصور" [١] ؛ إذ يشمل على البيان الشامل لجميع احتياجات الإنسان في مجال الهداية والشرع سواء أكان ذلك على نحو التفصيل أم الإجمال، ولا يعني ذلك أنَّ القرآن الكريم نصَّ على كل صغيرة وكبيرة باللفظ الظاهر، بل إنَّ الكثير من مضامينه بحاجة إلى بيان يتناسب مع فهم المخاطب، ومستوى إدراكه[٢]، وهذا يدل على "اتساع وشمولية النص القرآني واستيعابه لكل جوانب الحياة المتعددة"[٣]، وبهذا يكون التبيّن القرآني على قسمين: بيان إجمالي وعام وهو ما يضمّه النص القرآني نفسه، وبيان تفصيلي وهو ما يصدر عن الرسول وأهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وهم الذين اصطفاهم الله جلَّ وعلا لوراثة علم الكتاب وبيان مراده، ومن هنا يتجلى البعد الواقعي للمرجعية القرآنية؛ إذ إنَّ تبيين الرسول الأعظم وأهل بيته ( عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) ليس بموازاة القرآن ولا خارجًا عنه، بل هو امتداد لوظيفة التبيين، التي أشار إليها القرآن نفسه فكل ما ورد عنهم من تفصيل للأحكام، والمعارف إنَّما هو بيان للمجمل في الكتاب الكريم وتفسير للمضامين التي وردت فيه [٤] ؛ لذا يجب الرجوع إلى القرآن الكريم في صغير الأمور وكبيرها، "فإنَّ من الأسباب المهمة التي تفرض علينا العودة إلى القرآن هو أنَّ القرآن الكريم يُعَدُّ السبيل المستقيم الذي يؤدي إلى تحقيق

---

١. مراجعات قرآنية: رياض الحكيم/ ط٣ / دار الهلال/ قم/ ١٣٩١هـ_ ٢٠١٢م/ ٧، ١٠.

٢. ينظر: منطق فهم القرآن (من أبحاث السيد كمال الحيدري): طلال الحسن/ مؤسسة الهدى للطباعة والنشر / بيروت_ لبنان/١٤٣٥هـ_ ٢٠١٣م/١ / ٩٧.

٣. آيات البيان القرآني بين السعة والضيق، مطالعة تحليلية في المعطيات اللغوية: ناطق نجم عبد الله الزركاني/ مجلة لارك/ مج: ٥٠/ عدد: ٢/ جامعة واسط/ ٢٠٢٣م/ ١١٩.

٤. ينظر: منطق فهم القرآن: كمال الحيدري/ ١ / ٩٧.

مصالح الأشخاص ورغباتهم، ويهديهم إلى سبل السلام ويرسي قواعد الشخصية المتكاملة" [1] . وإنَّ ضعف الأمة الإسلامية وتأخرها هو بسبب غياب الهيمنة الحقيقية للقرآن الكريم على مجالات الفقه، والثقافة، والسياسة، وغيرها؛ لذا يجب أن يكون القرآن هو مصدر إلهام حقيقي لكل هذه النواحي، وجعله المصدر الأعلى، والموجّه الأول، والمرجع الأوحد، وإنَّ الفكر الإسلامي لا يمكن تجديده إلا من خلال العودة إلى القرآن الكريم بوصفه مرجعًا أعلى للفهم والاستنباط والتطبيق [2]، "فالقرآن هو المهيمن على الإنتاج الفقهي والفكري والثقافي بكل أبعاده" [3].

ومن خلال ذلك كله، نستنتج أنَّ أهمية المرجعية القرآنية تكمن في جوانب عدة منها:

١. تشكيل المنهج والهوية الإسلامية: القرآن الكريم هو الذي يُشكِّل العقلية الإسلامية ويحدد إطارها الفكري منذ عصر النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو صالح لكل زمان، ولكل مكان.

٢. الأهمية التشريعية وتشمل الأحكام (عبادات، ومعاملات)؛ وبذلك فهو يحفظ المجتمع وكيانه، من خلال التشريعات العادلة. يقول أبو إسحاق الشاطبي (٧٩٠ هـ): "هو الأصل والمعتمد والذي عليه مدار الطلب وإليه تنتهي مقاصد الراسخين وذلك ما كان قطعيًا أو راجعًا إلى أصل

---

[1]. بحوث في القرآن الحكيم: محمد تقي المدرسي/ط٣/نشر: دار محبّي الإمام الحسين (عليه السلام) /١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٤م/ ٩.

[2]. ينظر: قراءة في فكر مالك ابن نبي: عبد الوهاب بو خلخال / سلسلة كتاب الأمة / إدارة البحوث والدراسات الإسلامية / قطر/ العدد: ١٥٢/ ١٤٣٣هـ / ١١، ١٢.

[3]. المصدر نفسه: ١١، ١٢.

قطعي، والشـريعة المباركة منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة في أصـولها وفروعها" [1] ؛ لأنها تستند إلى ركن وثيق وأصل منيع والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو المحفوظ من التغيير والتبديل والتحريف والزيادة والنقصان يقول عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩ .

٣. الأهمية المعرفية: إنَّ القرآن الكريم هو الحكم في جميع فنون المعرفة (علوم، اجتماع، تأريخ ...إلخ) فما أخبر به القرآن الكريم فهو حق، وما خالفه فهو باطل، وهو يقدم المنهج المتوازن لجميع المعارف، فلا يلغي العقل أصـلاً، ولا يقدسـه تقديسًـا محضًـا وليس فيه تعارض مع الحقائق العلمية القطعية. يقول العلامة المجلسي( ١١١١ هـ) في مقدمة بحار الأنوار: "اعلموا يا معاشر الطالبين للحق واليقين، المتمسكين بعروة اتباع أهل بيت سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين أني كنت في عنفوان شبابي حريصًا على طلب العلوم بأنواعها ... فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" [2].

٤. الأهمية السـلوكية والأخلاقية: القرآن الكريم هو المرجع في التمييز بين الحسـن والقبيح؛ إذ إنَّ المرجعية القرآنية هي الركيزة الأساسية في توجيه سلوك الإنسان وتقويمه، إذ تعمل على ربط سـلوك الإنسـان الظاهر بالرقابة الذاتية المتمثلة بالتقوى، وتحدد معالم الرحمة والحق والعدل بوصفها قيم مطلقة غير خاضعة للأهواء؛ بما يضمن تماسك المجتمع وفق الثوابت الراسخة.

---

[1]. الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي / ٤٥.

[2]. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي(١١١١هـ) /تحقيق: جلال الدين علي الصغير /تقديم: محمود ذرياب النجفي /ط١/ دار التعارف/ بيروت_ لبنان/١٤٢٣هـ_ ٢٠٠١م / ١ / ٨.

٥. الأهمية الحضارية: القرآن الكريم يضمن الاستقرار والوحدة واستمرار الحضارة الإسلامية؛ وذلك من خلال الرجوع إلى تعاليمه وأحكامه، إنَّ للقرآن الكريم "دورًا في حفظ الأمة والإســـلام من الذوبان في الأمم والأديان الأخرى فالإســـلام هويته قرآنية، وهذه الهوية تمتلك الحصـــانة غير المتأثرة مما يجعلها تمتلك زمام المبادرة في التغيير" [١] ، فالقرآن الكريم هو العامل الموحد للأمة عبر العصـــور والحدود الجغرافية، وهو المرجع المشـــترك الذي يقوم بجمع شـــتات الأمة ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ آل عمران :١٠٣.

٦. الأهمية الفكرية والنقدية: إنَّ القرآن الكريم له الدور الأكبر في مقاومة الغزو الفكري، والتحلل، والانحراف؛ فهو الســـلاح الفعّال لنقد المذاهب الفكرية المنحرفة والوافدة (الليبرالية، العلمانية، الماركسية) وبيان مواضع القصور فيها. ولو أنَّ الأمة رجعت إلى القرآن الكريم في خصوماتها، وما يلتبس عليها في عقائدها وأعمالها لأوضـح لها السـبيل ووجدت فيه الحكم العدل، والفصـل بين الحق والباطل لأنَّه طريق لا يضـل من سـلكه. [٢] والنبي الأعظم "يلفت أنظار الناس إلى هداية القرآن الكريم، والرجوع إلى مواثيق بيانه عند التباس الفتن" [٣].

---

[١]. منطق فهم القرآن: كمال الحيدري/ ١ / ٣٨.

[٢]. ينظر: البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي (١٣١٧_ ١٤١٣هـ) /مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي/ إيران _ قم/٥٠/ ٢٠.

[٣]. المرجعيات الثقافية، والمعرفية عند الشيخ إبراهيم الكفعمي: عماد جبار كاظم / ٢٧١.

٧. الأهمية اللغوية: القرآن الكريم له الفضل في حفظ اللغة العربية على مر العصور، وقد "شرَّفها حين نزل بها" [١]، فعند المقارنة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات التي اندرست وتلاشت، نجد أنَّ اللغة العربية باقية ببقاء هذا الكتاب العزيز الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وعلماء اللغة يرجعون إلى القرآن الكريم في ضبط القواعد اللغوية من خلال الاستشهاد والاحتجاج بالآيات القرآنية لإثبات قاعدة، أو بيان معنى وغير ذلك "وإذا قارنّا بين الاستشهاد بالقرآن الكريم وبين أصول الاستشهاد الأخرى من شعر وحديث وغيرهما، فإنَّنا نجد أنَّ القرآن الكريم هو الأصل الأول لهذه الأصول وهو الدعامة التي ترتكز عليها أصول الاستشهاد الأخرى" [٢] ، وهو الركيزة الأولى، والمرجع الأعلى للغة العربية، إذ يشكّل سياجًا منيعًا لحفظ لسان العرب من أن يذوب ويندثر بسبب اختلاط الألسن، "فألفاظ القرآن الكريم هي لبُّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائِمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمِهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء، والبلغاء في نظمهم ونثرهم" [٣]، ولا شك في أنَّ "النص القرآني من أفضل الوثائق التأصيلية والتأسيسية وأدقها" [٤]

---

[١]. الشاهد القرآني عند الشيخ الكفعمي: قراءة في كتاب "المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى" الأصول والإجراءات: عماد جبار كاظم/ ضمن وقائع مؤتمر (تراثنا هويتنا) الدولي الثاني/ مركز تراث كربلاء/ ٢٠٢٣م/٢؛ وينظر: الدرس النحوي عند النحويين والبلاغيين: عامر هاشم محمد/ مجلة كلية التربية/ مج: ٤٦/ عدد: ٣/ جامعة واسط/ ٢٠٢٢م/ ٣٣.

[٢]. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم/ المكتبة الأزهرية للتراث / ٣٢٩.

[٣]. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (٥٠٢) / ٦.

[٤]. الشاهد القرآني عند الشيخ الكفعمي: عماد جبار كاظم/ ٣.

## المبحث الثاني:

## التعريف بابن شعبة الحرّاني وكتابه "تحف العقول عن آل الرسول":

هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني* من أعلام القرن الرابع الهجري [1]، يُعَدُّ من الشخصيات العلمية البارزة التي أسهمت في حفظ التراث الروائي عند المسلمين، ومن المعاصرين للشيخ الصدوق(٣٨١هـ) نشأ في بيئة علمية كانت تهتم بالمعرفة؛ فهو من أبناء شعبة الحرّانيين الذين ينتهي نسبهم إلى شعبة الحرّاني الذي عاش في حدود سنة (٢٠٠هـ)، وكان شيعيًا مهتمًا بالعلم والمعرفة، فكانت هذه الأسرة من الأسر التي تركت تراثًا جليلًا يرجع إليه الشيعة في الرواية[2]، مما جعل ابن شعبة يتشرَّب مناهج العلماء في التدوين والنقل، ويتميّز بسعة الاطلاع، فاحتل منزلة رفيعة في الوسط العلمي، وترك بصمة واضحة في مسار التطور الفكري الإمامي، ومصادره الروائية، والفقهية، ومن أبرز مؤلفاته، الكتاب الذي نحن بصدد دراسته وهو "تحف العقول عن آل الرسول، وكتاب حقائق أسرار الدين، وكتاب مسائل الحسن بن شعبة"[3].

---

*. حرّان: "هي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، هي قصبة من ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم"، ينظر معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي / دار صادر / بيروت /٢/٢٣٥.

[1]. ينظر: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ) / تحقيق: حسن الأمين /دار المعارف للمطبوعات / بيروت / ١٤٠٣هـ_ ١٩٨٣م/ ٥/١٨٥، ١٨٦.

[2]. ينظر: كتاب الأصيفر: محمد بن شعبة الحرَّاني/تحقيق: رواء جمال علي/ ٢٠١٦م/ ٤٣؛ وينظر: العقيدة النصيرية بين بني نمير وحرَّان/ رواء جمال علي/ د.تح/ د.ط/ د.ت/ ٣٧.

[3]. المصدر نفسه: ٣٨.

## المطلب الأول: حياته ونشأته وأقوال العلماء فيه:

### أولاً: حياته ونشأته:

لم تذكر الكتب شيئاً عن سنة ميلاده ونشأته سوى أنَّه من أعلام القرن الرابع الهجري، وكان معاصرًا للشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، وراويًا عن أبي محمد بن همام (٣٦٦ هـ)؛ فلا نجد سنة ولادته أو سنة وفاته[١] كما لم تذكره كتب الرجال القديمة، كرجال الكشي أو فهرست النجاشي أو الفهرست للشيخ الطوسي؛ ويبدو لنا أنَّ السبب في ذلك يعود إلى:

١. إنَّ الشيخ لم يؤلف في الحديث، وكتابه (تحف العقول) هو من النوع الأدبي، والأخلاقي أكثر منه كتاب رواية وحديث بالأسانيد مما قد يجعله أقل ظهورًا في علم الرجال والحديث التي كانت تهتم بالأسانيد والرواة.
٢. أو قد يكون السبب في عدم وجود ترجمة له، وعدم وصول معلومات عنه في زمن الكشي، والنجاشي، والطوسي؛ هو لأنَّهم اعتمدوا على ما وصلهم من مصنفات وتراجم عبر شيوخهم، ومصادرهم، وقد لا يكون كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" منتشرًا في تلك الحقبة، بل كان موجودًا في نطاق محدود وهي منطقة حرّان، وهي بعيدة عن مراكز التدوين الرئيسية في الكوفة وبغداد وإيران.

---

[١]. ينظر: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (١٣٧١هـ) / ٥/١٨٥، ١٨٦.

**ثانياً: أقوال العلماء فيه:**

ابن شعبة الحرّاني المحدث الجليل، كان معاصرًا للشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، وراويًا عن أبي علي محمد بن همام بن سهيل الإسكافي (٣٣٦ هـ)[١]، أطرى عليه كل من ذكره وترجم له، فقد ذكره الشيخ الحر العاملي(١١٠٤هـ) في كتابه أمل الآمل إذ قال فيه: "أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة فاضل محدث جليل"[٢]. وقال عنه الشيخ المجلسي (١١١١ هـ) في المقدمة من كتاب بحار الأنوار، "وكتاب تحف العقول عثرنا منه على كتاب عتيق، ونظمه يدل على رفعة شأن مؤلفه، وأكثره في المواعظ، والأصول المعلومة التي لا يحتاج فيها إلى سند" [٣] .

وقال عنه الشيخ علي بن الحسين البحراني في كتابه الطريق إلى الله "ويعجبني أن أنقل في هذا الباب حديثًا عجيبًا شافيًا وافيًا عثرت عليه في كتاب تحف العقول للفاضل النبيل الحسن بن علي بن شعبة من قدماء أصحابنا "[٤]. أما المولى عبد الله أفندي الأصبهاني قدس سره (من أعلام القرن الثاني عشر)، فقد قال عنه في كتابه رياض العلماء وحياض الفضلاء: "الفاضل العالم الفقيه المحدث

---

١. ينظر: طبقات أعلام الشيعة (نوابغ الرواة في رابعة المئات): أغا بزرك الطهراني /ط١/ دار إحياء التراث العربي/ ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م/١ / ٩٣.

٢. أمل الآمل: محمد بن الحسن[الحر العاملي (١١٠٤هـ)] /تحقيق: أحمد الحسيني/ ط٢/ مؤسسة الوفاء / بيروت_ لبنان/١٤٠٢هـ_ ١٩٨٣م / ٢ / ٧٤.

٣. بحار الأنوار: المجلسي/ ١ / ٢٦.

٤. الطريق إلى الله: حسين البحراني/تقديم: مهدي السماوي/منشورات مكتبة الإمام الحسين العامة/ ١٣٨٧هـ_ ١٩٦٧م/ ١٣٥.

المعروف صاحب كتاب تحف العقول" [1]. وقال عنه المحدث الخونساري (١٣١٣ هـ): "الشيخ المحدث الجليل الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني أو الحلبي _ في بعض المواضع _ فاضل فقيه ومتبحر نبيه ومترفع وجيه له كتاب تحف العقول عن آل الرسول مبسوط كثير الفوائد ...، وله أيضًا كتاب التمحيص مختصر في ذكر أخبار ابتلاء المؤمن" [2]. وفي كتاب تنقيح المقال للشيخ المامقاني(١٣٥١ هـ) قال عنه: "وإنَّ المترجم الراجح ثقة جليل، والمتيقن أنَّه في أعلى مراتب الحسن أقلاً وحديثه يُعَدُّ في أعلى مراتب الحسن" [3]. وقال عنه أيضًا الفقيه الأعظم السيد حسن الصدر الكاظمي(١٣٥٤هـ) في كتاب تأسيس الشيعة: "الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني رضي الله عنه شيخنا الأقدم، وإمامنا الأعظم له كتاب تحف العقول فيما جاء من الحكم والمواعظ عن آل الرسول كتاب جليل لم يصنّف مثله وختمه بما وعظ الله به موسى وعيسى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وباب في مواعظ المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وكان هذا الشيخ جليل القدر عظيم من المنزلة" [4]. أما العلامة الحجة السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١ هـ) فقد قال عنه في كتاب أعيان الشيعة: "الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني الحلبيّ هو من أهل المئة الرابعة معاصر للصدوق الذي توفي (٣٨١ هـ) ويروي عن أبي علي محمد بن همام المتوفى سنة (٣٣٦ هـ)، هو فقيه محدث

---

[1]. رياض العلماء وحياض الفضلاء: عبد الله أفندي الأصبهاني /تحقيق: أحمد الحسيني/منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي/قم_ إيران/١٤٠٣هـ/١ / ٢٤٤.

[2]. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات/ محمد باقر الخونساري (١٣١٣هـ) /مكتبة إسماعيليان/قم_ طهران / ٢ / ٢٨٩، ٢٩٠.

[3]. تنقيح المقال في علم الرجال: عبد الله المامقاني(١٣٥١هـ) /تحقيق: محي الدين المامقاني/ط١/ مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث/قم_ إيران/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠ / ١١٤.

[4]. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: حسن الصدر (١٣٥٤هـ) /شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة / ٤١٣، ٤١٤.

جليل القدر من متقدمي أصـحابنا" [1] ونرى أيضًـا أنَّ الشـيخ أغا بزرك الطهراني (١٣٨٩ هـ) أورد له ترجمة في كتاب الذريعة إذ يقول: "تحف العقول فيما جاء من الحِـكم والمواعظ عن آل الرسول للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني الحلبيّ المعاصر للشيخ الصدوق الذي توفي (٣٨١ هـ)، ومن مشايخ الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)" [2] أما السيد الخوئي (١٤١٣ هـ) قدس سره [3] فقد ذكر كلام الشـيخ الحر العاملي في كتاب أمل الآمل في ترجمة الشـيخ الحرّاني، وهذا الكلام سـبق وأن ذكرناه [4]. يتبيّن لنا من خلال ذلك اتفاق العلماء على مدحه والثناء عليه، وأنَّه من الشـخصـيات التي أسهمت في حفظ ونشر تراث أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ).

## المطلب الثاني: كتاب تحف العقول وأهميته في الدراسات الإسلامية:

### أولا: التعريف بالكتاب وأهميته:

يُعَدُّ كتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" من الكتب المهمة في التراث الشـيعي؛ إذ اعتمد عليه كثير من العلماء والفقهاء في البحث ودراسة أحاديث أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وقد ورد ذكره في المصنفات التي صـنفت في الحديث، وعُدَّ مصـدرًا من المصـادر التي يُرجع إليها في البحث والتأليف. ويُعَدُّ من الكتب القيمة؛ إذ جمع فيه خلاصـة المواعظ والحكم والخطب التي تنسـب إلى النبي وأهل بيته

---

[1]. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ) / ٥/ ١٨٥، ١٨٦.

[2]. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أغا بزرك الطهراني(١٣٨٩هـ) / دار الأضواء/ بيروت/٣ / ٤٠٠.

[3]. ينظر: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبو القاسم الخوئي/ مؤسسة الإمام الخوئي/ النجف الأشرف / ٦ / ٤٢.

[4]. أمل الآمل: الحر العاملي (١١٠٤هـ) / ٢ / ٧٤.

(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وهذا الكتاب له مكانة مميزة في الدراسات الإسلامية؛ لما له من أسلوب يجمع بين السلاسة والدقة في العرض، فضـــلاً عن تضـــمنه مادة فكرية وأخلاقية غنية تبرز جانبًا من العمق التراثي والحضـــاري للفكر الإســـلامي، فهو "يحوي من نظام عقود الغرر والدرر، ومحاســـن الكتب والمواعظ والزواجر والعبر وكرائم الحكم والخطب وعقائل الكلم والأدب ما يروق اللبيب رواؤها"[١] ومن أهم الكتب التي ورد ذكره فيها هو كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلســـي(١١١١هـ)، إذ يقول فيه: "وكتابه تحف العقول عثرنا منه على كتاب عتيق، ونظمه يدل على رفعة شـــأن مؤلفه وأكثره في المواعظ والأصـــول المعلومة التي لا يحتاج فيها إلى ســـند" [٢]. ويعدُّ هذا القول مســـتندًا علميًا قويًا اعتمد عليه العلماء في قبول أحاديث كتاب (تحف العقول) على الرغم من ارسالها.

وقد ذكره أيضًـــا الشـــيخ البحراني في كتابه الطريق إلى الله بقوله: "وهو كتاب لم يســـمح الدهر بمثله" [٣] . أما في كتاب روضـــات الجنات فقد قال مؤلفه العلامة محمد باقر الخونســـاري (١٣١٣ هـ) عن الكتاب: "كتاب تحف العقول مبسـوط كثير الفوائد معتمد عليه عند الأصـحاب أورد فيه جملة وافية من النبويات، وأخبار الأئمة ومواعظهم الشـــافية على الترتيب" [٤]، أما الســـيد محســـن الأمين العاملي (١٣٧١ هـ) صـــاحب كتاب أعيان الشـيعة، فقد قال عنه: "هو كتاب نفيس جامع مشـهور مطبوع جمع فيه المترجم قسمًا وافيًا من المواعظ والحكم والآداب المأثورة عن النبي والأئمة الطاهرين، ولم يذكر شيئًا

---

١. تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) / تحقيق: علي أكبر الغفاري/ط٢/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم _ إيران/١٤٠٤هـ/ مقدمة التحقيق/٩.

٢. بحار الأنوار: المجلسي/ ١/ ٢٦.

٣. الطريق إلى الله: حسين البحراني/ ١٤٧.

٤. روضات الجنات: محمد باقر الخونساري(١٣١٣هـ)/ ٢ / ٢٨٩.

من مواعظ صـــاحب الزمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ لأنَّه لم يصـــل إليه منها" [1]. أما كتاب تنقيح المقال للشـــيخ العلامة عبد الله المامقاني (١٣٥١ هـ)، فقد ورد فيه ذكر كتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" بالقول: "هذا الكتاب معتمد عند المحدثين، وقد أكثر الحر في الوسائل النقل عنه" [2]. وفي كتاب تأسيس الشيعة للســـيد حســـن الصـــدر (١٣٥٤هـ) يقول: "كتاب تحف العقول فيما جاء من الحكم والمواعظ عن آل الرسـول كتاب جليل لم يصـنف مثله وختمه بما وعظ الله به موســى وعيســى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، وباب في مواعظ المسيح" [3].

أما الشـــيخ العلامة عباس القمي (١٣٥٩هـ) في كتابه الكنى والألقاب، يقول: "هو كتاب نفيس كثير الفائدة"[4]ويقول الشـيخ المحقق علي أكبر غفاري في مقدمة التحقيق لكتاب "تحف العقول عن آل الرســـول": "فجاء كتابه منية المريد، وبغية المحدّث وطلبة الباحث، ومأرب الواعظ ونجعة المتكلم المصـلح" [5]. وقال عنه أيضًـا: "فليس من البدع أن يكون كتابه في الطبقة العليا من موسـوعات العلم والعمل، وقد عكفت عليه العلماء الأعلام منذ يوم تأليفه حتى شـارف عصـرنا الحاضـر، ووصـفوه في المعاجم والتراجم بكل جميل، ونصُّوا على اعتبار الكتاب واعتماد الأصـحاب عليه وشـهرته وكثرة فوائده" [6].

---

١. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ) / ٥/ ١٨٦.

٢. تنقيح المقال: المامقاني/٢٠ / ١١٣.

٣. تأسيس الشيعة: حسن الصدر/ ٤١٣.

٤. الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي/ تقديم: محمد هادي الأميني/ط٥/ مكتبة الصدر/ طهران/ ١ / ٣٢٩.

٥. تحف العقول: الحرّاني/ مقدمة التحقيق/ ٧.

٦. المصدر نفسه: ٧، ٨.

## ثانيًا: منهج المؤلف في الكتاب:

يقول الشيخ ابن شعبة الحرّاني في مقدمة كتابه "تحف العقول عن آل الرسول" عن منهجه في تأليف وتصنيف كتابه: "وأتيت على ترتيب مقامات الحجج (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وأتبعتها بأربع وصايا شاكلت الكتاب، ووافقت معناه، وأسقطت الأسانيد؛ تخفيفًا وإيجازًا، وإن كان أكثره لي سماعًا" [1]. ولأنَّ أغلب ما في الكتاب هي حكم، وآداب تشهد لأنفسها إذ لم يجمع الكتاب للمنكر المخالف، بل للمؤمن المسلّم لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) العارف بحقهم الراد إليهم، الراضي بقولهم، وتلك المعاني كثيرة لا يحيط بها حصر، وواسعة لا يقع عليها حظر، وهي مقنعة لمن كان له قلب وكافية لمن كان له لب [2]. فنرى أنَّه صرَّح بإسقاط الأسانيد طلبًا للاختصار؛ ولأنَّ أكثرها كان سماعًا، ولأنَّ الغرض منها هو الحكمة والموعظة، وبلاغتها تشهد بصحة صدورها عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وليس الغرض الفقهي الذي يتطلَّب التدقيق في السند. ونرى أنَّ ابن شعبة لم يقصد جمع كل ما جاء عن المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) من أحاديث، بل انتقى ما يخص الآداب والحكم والفوائد البارعة، والسنن المشهورة. كما أنَّه رتَّب تلك الأحاديث ابتداءًا من النبي الأكرم(ﷺ)، ثم الإمام علي ثم الإمام الحسن ثم الإمام الحسين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وصولًا إلى الإمام الحسن العسكري( عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وختم بمناجاة الله تعالى لموسى وعيسى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، ونرى أيضًا أنَّه جمع ما فيه النجاة والتنبيه من الغفلة؛ فاختار الروايات التي تحمل المضامين التربوية و الأخلاقية العالية، والتي تخاطب الروح والعقل، فلم يكن الاختيار عشوائيًا، بل كان محكومًا بهدف

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني / مقدمة المؤلف / ١١.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ١١.

## التمهيد

تأليف الكتاب، وهو جمع نخبة من الأحاديث التي تؤسس لمنظومة التعامل مع الله تعالى، ومع الناس، وبعيدًا عن التعقيدات الفقهية والتعارض بين الروايات؛ ليكون في متناول الشيعة خاصتهم وعامتهم، كدستور للأخلاق، ونرى كذلك أنَّه اختار الروايات التي تتميز بالحجة القاطعة والبلاغة العالية، التي لا تحتاج إلى بحث في سندها، ولنا أن نتساءل، لماذا لم يذكر شيئًا عن السيدة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ) مع عصمتها، وكونها حجة على الأئمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وهي من أهل البيت قطعًا بلا خلاف؟ ويبدو لنا من خلال التدقيق في طبيعة الروايات المذكورة في الكتاب احتمالات منها:

١. أنَّه اعتمد على ما كان متوفرًا بين يديه من أصول معتمدة في زمانه، وربما لم تكن المرويات عن السيدة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ) بنفس الكثرة التي توفرت عن الأئمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ).
٢. ويبدو أنَّه كان يركز على منصب الإمامة وهم المعصومون الذين تولوا مهام الوعظ وتبيين الشريعة، ومرويات السيدة الزهراء(عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ) غالبًا ما كانت تركز على جوانب محددة (كخطبة فدك).
٣. أو ربما يكون هذا الترتيب وفقًا لترتيب الحجج الذين أسندت لهم مهام قيادة الأمة، والسيدة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ) لم تتولَّ القيادة الشرعية، لذا أغفل ما ورد عنها.

وبهذا يمكننا القول إنَّ كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" هو كتاب موعظة وأخلاق، وليس كتاب تأريخ أو حديث، ومحتواه يهدف إلى إصلاح النفس وإرشاد العقل.

## ثالثًا: سبب تأليف الكتاب:

يُعَدُّ التراث الذي وصل إلينا عن أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، من أهم المصادر البيانية والتفسيرية التي أسهمت في توجيه وعي المسلمين وبناء أخلاقياتهم ومفاهيمهم العقدية، فقد إمتازت كلماتهم ومواعظهم بالقدرة على استلهام القيم من القرآن الكريم وتمثّلها في خطاب تربوي وأخلاقي مباشر، له القدرة على الجمع بين العمق المعرفي، والوضوح العملي، وعند التأمل في هذا التراث ينكشف لنا أنَّ أغلب مضامينه مستقاة من القرآن الكريم، وهي إما شرحٌ لمعانيه، أو تطبيقٌ لأوامره ونواهيه على واقع الإنسان ومشكلاته النفسية والاجتماعية، أو بيانٌ لهدايته. وعلى هذا يأتي كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" ليقدم أنموذجًا واضحًا لهذا الامتزاج بين البيان القرآني، والتوجيه الأخلاقي الصادر عن الأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)؛ إذ حرص "الشيخ ابن شعبة الحرّاني" على جمع ما تفرق من حكمهم وكلماتهم الجامعة ومواعظهم[1] التي تُعَدُّ امتدادًا وظيفيًا للخطاب القرآني وهذه النصوص قد تنوعت في موضوعاتها، وهي تمثل المرآة الصافية التي تعكس طبيعة المرجعية القرآنية في فكر أهل بيت العصمة، وتبرز كيف أنَّهم ربطوا القيم الإلهية بالسلوك الإنساني اليومي، وقاموا بتوظيف الهدي القرآني، في معالجة جميع الأزمات النفسية والمجتمعية. وتتجلى هذه المرجعية في مظاهر واضحة أهمها: ترسيخ مبدأ التقوى؛ لأنَّه حجر الأساس في بناء الشخصية المؤمنة، وكذلك التحذير من اتباع الهوى؛ لأنَّه سبب رئيس للانحراف الأخلاقي، وكذلك الدعوة إلى التزام العدل والإحسان انسجامًا مع المقاصد القرآنية، فضلًا عن النقد المباشر لأي ظاهرة اجتماعية فاسدة تتسبب في تقويض قيم المجتمع الإسلامي، وبذلك تؤدي هذه

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٣ مقدمة المؤلف.

النصوص الوظيفة التفسيرية غير المباشرة، وتعيد تقديم المعاني القرآنية في قوالب تربوية أخلاقية تعالج وتهذب سلوك الإنسان.

ومن خلال ذلك كله يتبيّن لنا أنَّ جمع هذه الروايات والأحاديث لم يكن جهدًا توثيقيًا فحسب؛ بل هو استجابة لحاجة علمية ومعرفية هدفها حفظ ما أمكن من هذا التراث الذي يوشك على الضياع والاندثار وتقديمه بطريقة منهجية ومرتبة؛ ليكون معينًا للباحثين من أجل الإفادة منه في معرفة التوجيهات الأخلاقية والفكرية لأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، ومن خلال هذا الجمع المنظم تتضح ملامح منهجية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في التعامل مع القرآن المجيد بوصفه المرجعية العليا التي تستند إليها كلماتهم في بيان كل فضيلة، والتحذير من كل رذيلة، وفي توجيه المسلمين نحو ما يُصلح دنياهم وآخرتهم، وقد عبّر الشيخ ابن شعبة في مقدمته عن دوافعه العلمية التي دفعته إلى تأليف الكتاب مؤكدًا أنَّ حاجته إلى هذه النصوص، ووعيه بأهميتها هما اللذان دفعاه إلى جمعها وتنسيقها؛ وذلك خدمة لطلب العلم، ورغبة في إحياء ما اندثر من آثار الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) [1]، إذ ينطلق عمله من رؤية شمولية لتراث أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الذي يشمل الأحكام والتشريعات والأخلاق والمواعظ والحكم، ورأى أنَّ العلماء ألَّفوا في الحلال والحرام والفرائض والسنن ما أغنى الباحثين من بعدهم مؤونة التأليف، فكانت رغبته في جمع وتأليف ما يتعلق بالحكم البالغة والمواعظ الشافية ومكارم الأخلاق لعل ناظرًا ينظر فيه فيحصل على الفائدة فيكون قد أشركه في ثوابه [2].

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٢ مقدمة المؤلف.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٣ مقدمة المؤلف.

## المبحث الثالث:

### المرجعية القرآنية عند أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ):

إنَّ أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) هم أولى الناس بكتاب الله فمَنْ أحقُّ منهم بهذه المنزلة؟ وقد قرنهم النبي (ﷺ) بالكتاب في أكثر من موضع؛ فلا يمكن الوصول إلى حقائق القرآن الكريم دون الرجوع إلى أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، ولا يمكن معرفتهم حق المعرفة دون الرجوع إلى القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم وأهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) هما الصراط المستقيم، فقد ورد في الكافي الشريف "(إنَّ الله تبارك وتعالى طهَّرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا)" [1] ولأجل هذه العلاقة المتينة بين الثّقلين؛ نلاحظ أنَّ أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) قد جعلوا القرآن الكريم مرجعهم في كثير من الأمور، يهدوا به مَنْ طلب الهدى ويُرشدوا به وإليه من طلب الرشاد، فتارة نجدهم مفسرين لمعانيه، وتارة نجدهم يستدلون بآياته لإثبات حكم أو تشريعٍ، أو إثبات حقيقةٍ ما، أو دحض شبهة ما. فقد ورد عن أمير المؤمنين علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّه قال: "(والذي بعث محمدًا (ﷺ) بالحق، وأكرم أهل بيته، ما من شيء يطلبونه إلا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه)" [2] فما من شيء إلا ويوجد له أصل في كتاب الله، فقد "ورد عن المعلَّى بن خنيس قال: (قال أبو عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): ما من أمر

---

[1]. أصول الكافي: الكليني/ تحقيق: علي أكبر الغفاري/مكتبة الصدوق/طهران/ ١ / ١٩١ / كتاب الحجة / باب في أنَّ الأئمة شهداء الله عزَّ وجلَّ على خلقه / ٥.

[2]. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) / ١١ / ٢٤٠ / ١٥١٥٣/ ١.

يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرجال)" [1] أي إنَّه ما من قضية إلا ولها وجود في القرآن؛ إذ لا تخرج أي حقيقة أو ظاهرة عن دائرة المرجعية القرآنية؛ فالكتاب المجيد يتناول شؤون الحياة كلها إما بنفسها أو عللها أو مبادئها التأسيسية [2].

ويتبيَّن لنا من خلال ذلك أنَّ هيمنة القرآن الكريم على الأمور كلها تتحقق من خلال التأصيل للمبادئ والكليات، والتقرير المباشر للحقائق وهذا ما يجعل القرآن الكريم مرجعًا حاكمًا وشاملاً ليس فقط في زمن النص، بل وحتى في الأمور المستجدة التي تنتج عن نفس الأسباب والعلل؛ فبينما تتغير الأعيان، تبقى المقومات والمبادئ ثابتة. فلا بدَّ من أن يكون هو المرجع الأول، والمصدر الأعلى لكل شيء (أحكام، أخلاق، عقائد)، وكل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع مجالات حياته فمفتاحه القرآن، فهو مصدر الخير والرزق، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، وهو الحكيم الذي يُرشد الضّال، ويضع الأمور في مواضعها، وهو الذي يوقظ من الغفلة، وهو أحسن الحديث [3]. وبما أنَّ أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هم أهل القرآن؛ فهم يضعون آياته نصب أعينهم في كل أمر، ولا يقولون ما يخالفه، وهم أهل الذكر الذين أمر الله عزَّ وجلَّ بالرجوع إليهم عند التباس الأمور. "إنَّ أهل البيت كانوا قطعًا يرجعون للقرآن الكريم في كل ما يفعلون ويأمرون به وينهون عنه وهذا الرجوع عن معرفة ودراية في الأمر، ومن ذلك التشريع بأقسامه

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١ / ٦٠ / كتاب فضل العلم / باب الرد إلى الكتاب والسنة / ٦.

[2]. ينظر: تفسير الصافي: المولى محسن الملقب ب "الفيض الكاشاني" (١٠٩١ هـ) / تحقيق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي / مكتبة الصدر: طهران / ١ / ٥٨.

[3]. ينظر: قواعد فهم القران وتفسيره وتأويله: فاضل الصفار/ط١/ دار المحجة البيضاء/ بيروت_ لبنان/١٤٤٣هـ_ ٢٠٢٢م/ ٢٦.

الثلاثة الأحكام، العقائد، الأخلاق" [1]، فهم يرجعون في الحكم الفقهي إلى القرآن الكريم ويرجعون إليه في الأخلاق وفي مسائل العقيدة وفي اللغة أيضًا، فنراهم (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) غالبًا ما يرجعون إليه لبيان دلالة كلمة أو لفظ معيَّن فعن الحسين بن محمد عن الحسن بن راشد قال: (حدثنا علي بن إسماعيل الميثمي قال: حدثنا ربعي بن عبد الله قال: قال لي عبد الرحمن ابن أبي عبد الله: قلت لأبي عبد الله(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "المُنكِر لهذا الأمر من بني هاشم وغيرهم سواء؟ فقال لا تقل المُنكِر؛ ولكن قل الجاحد من بني هاشم وغيرهم، قال أبو الحسن: فتفكرت فيه فذكرت قول الله عزَّ وجلَّ في إخوة يوسف:﴿ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ ﴾)" [2].

من خلال ذلك كله يتبين لنا مدى قوة الارتباط بين أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وبين القران الكريم، وهذا ما سنراه واضحًا في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحرّاني" والذي سيكون محل الدراسة.

[1]. مرجعية أهل البيت القرآنية: يوسف علي مطشر الفتلاوي (دراسة في الشواهد بين الكتاب والسنة) /ط١/ مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة /١٤٣٩هـ_ ٢٠١٨م/ ٣٠٨.

[2]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ٣٧٧، ٣٧٨ /كتاب الحجة / باب فيمن عرف الحق من أهل البيت ومن أنكر/ ٣.

# الفصل الأول

منهجية استحضار النص القرآني في كتاب " تحف العقول عن آل الرسول"

- المبحث الأول: مستويات التناص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول " .
- المبحث الثاني: وظائف النص القرآني لكلام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) .

في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" .

## منهجية استحضار النص القرآني في كتاب " تحف العقول عن آل الرسول":

إن اعتماد المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) واستنادهم إلى القرآن الكريم في أقوالهم وأفعالهم وتقريرهم سواء أكان الاعتماد والاستناد صريحًا وذلك بأن يذكر المعصوم النص القرآني، أو غير صريح بأن لم يذكره لا لأنّه غير موجود؛ بل لوضوحه، أو ليجعلَ السامع يتدبر ويُعْمِلَ نَظَرَه في القرآن الكريم [1]، نجده واضحًا وجليًّا في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، وهو الكتاب الذي سنتناوله في هذه الدراسة، والذي يُعَدُّ أحد المصاديق المهمة لبيان العلاقة بين أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) والقرآن الكريم؛ فهو يبرهن ويثبت أنَّهم عِدْلُ القرآن الكريم كما ورد في كثير من الأحاديث، فنرى آياته تتخلل أحاديثهم ومواعظهم، فمنها ما هو بشكل مباشر كالاستشهاد الصريح بالآيات، أو اقتباس جزء من الآية وجعلها داخل النص، ومنها ما هو غير مباشر؛ إذ نجد أنَّ مضمون الآية حاضرٌ، وروح المعنى دون الألفاظ، وهذا كله يندرج تحت مظلَّة كبرى تُسمّى التناص، ونرى أيضًا كيف وظَّفوا النص القرآني في خطاباتهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) سواء من ناحية بيان المفاهيم، أو الاحتجاج والاستدلال بالنص القرآني، أو من خلال توظيفه في التربية والتوجيه، وتهذيب النفس. وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل وهو منهجية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في استحضار النص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول".

[1]. ينظر: مرجعية أهل البيت القرآنية: يوسف علي مطشر الفتلاوي/ ٣٣، ٣٤.

## المبحث الأول:

## مستويات التناص القرآني في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"

التناص مأخوذ من النص ومعناه في اللغة: منتهى الشيء وأقصاه [١]. وفي الاصطلاح فهو كما عبَّرت عنه جوليا كريستيفا: "إنَّه ترحال للنصوص وتداخل نصّي ففي فضاء نص معين تتقاطع، وتتنافى ملفوظات عديدة ومقتطعة من نصوص أخرى" [٢] وهذا يكشف لنا عن أنَّ النصوص الدينية أو الأدبية ناتجة من شبكة من العلاقات وليست كيانًا منغلقًا، ممّا يُسهم في توسيع مجال القراءة؛ إذ ينتقل القارئ من السياق الأصلي إلى سياق نص جديد، وعليه فإنَّ التعريف يُبيّن لنا أنَّ التناص ليس تكرارًا، وإنَّما هو حوار نصّي مستمر تتفاعل فيه النصوص بما يُثري المعنى، أو هو "علاقة نص حاضر بنصوص أُخَر سبقته، دون أن تكون هذه العلاقة مقصودة، أو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس، أو يُضَمِّن ألفاظًا أو أفكارًا كان التهمها في وقت سابقٍ ما، دون وعي صُراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته، وخفايا وعيه" [٣]، ويُعَدُّ التناص من المفاهيم النقدية الحديثة التي أسهمت في إحداث ثورة في فهم النصوص؛ لأنَّه ينطلق من فكرة أنَّ أي نص لا يولد من فراغ، وهو "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل

---

١. ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية / الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث / ط٤/ مكتبة الشروق الدولية / مصر/ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م / ٩٢٦.

٢. علم النص: جوليا كرستيفا / ترجمة: فريد الزاهي / مراجعة: عبد الجليل ناظم / ط١ / دار توبقال للنشر / الدار البيضاء – المغرب / ١٩٩١ م / ٢١.

٣. نظرية النص الأدبي: عبد الملك مرتاض / ط٢ / دار هومة – الجزائر / ٢٠١٠م / ١٩٩، ٢٠١.

القصد من أي خطاب لغوي بدونه" [1] وهو من الظواهر اللغوية المعقدة التي يصعب ضبطها وتقنينها؛ لأنَّ تمييزها يعتمد على ثقافة المتلقي وقدرته على الترجيح وسعة معرفته [2] . ونحن في هذه الدراسة عن المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" نرى أنَّ التناص القرآني واضحٌ فيه، والتناص القرآني هو: "التفاعل مع مضامين القرآن وأشكاله تركيبًا ودلالةً وتوظيفها في النصوص الأدبية بواسطة آلية من آلياتٍ شتى" [3]، فنجد أنَّه لا يقتصر على كونه ظاهرة جمالية فحسب، وإنَّما يُعَدُّ مرجعية موضوعية؛ لأنَّ كلام المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لا يتقاطع مع القرآن الكريم بصورة سطحية، بل يتداخل معه؛ فهو يمتص لغة الوحي ويُعيدُ طرحها في قالب تربوي، وعقدي، وغيره، وبهذا يكون أداة للبرهنة على وحدة المنبع الفكري والمعرفي؛ فنرى أنَّ نص المعصوم شارح ومتمم ومنبثق من النص القرآني، ونظرًا لطبيعة المرويات الواردة في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" التي تمتاز بجزالة ألفاظها وعمق معانيها تَطَلَّبَ ذلك أداةً تتجاوز حدود السرقات الأدبية أو التأثر الأسلوبي إلى ما هو أوسع ألا وهو: (التفاعل النصي)، ولأجل الإحاطة بهذا التفاعل فإنَّ التناص سيكون أداةً ومظلَّةً منهجية لبيان الآليات التي اتبعها المعصومون (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) في استلهام لغة الوحي، وذلك من خلال تتبع ثلاثة مستويات تتدرج من العمق المفهومي وصولاً إلى الاستحضار اللفظي .

---

[1]. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح / ط١ / المركز الثقافي العربي / بيروت / ١٩٨٥م / ١٣٤.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ١٣١.

[3]. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر: [أحمد العواضي أنموذجًا] / عصام حفظ الله حسين واصل/ ط١ / دار غيداء للنشر والتوزيع / ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م/ ٧٧.

## المطلب الأول: التناص المفهومي [1].

يُمَثِّلُ هذا المستوى أرقى صور التفاعل النصّي والأكثر دقةً وخفاءً، إذ إنَّ النص القرآني الصريح غائب بلفظه وحاضرٌ بجوهره ومنهجه، ونحن في هذا المطلب سنتعرف على الكيفية التي من خلالها تم استيعاب المفاهيم القرآنية، وإعادة صياغتها في قوالب وعظية، ووصايا أخلاقية، وغيرها، مما يجعل حديث المعصوم يغرِف من منبع القرآن الكريم، فهو الأصل المعرفي، والفكري، والأخلاقي، والتربوي ... إلخ. ونرى في هذه الوصية ما يؤيد ذلك:

من وصية الإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لابنه الحسن (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): "(...أوصيك بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش كلها في كل ما عُصي الله فيه...)" [2].

نرى أنَّ التناص في هذا المقطع قد برز من خلال جملة من المفاهيم القرآنية، فنلاحظ أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قد انطلق من المرجعية القرآنية لتأسيس خطاب تربوي، إذ امتصت الوصية مفردات قرآنية وأعادت صياغتها في قالب جديد، فكل فقرة منها لها أصل قرآني فقوله: "أوصيك بتقوى الله"[3] مأخوذ من المنهج القرآني في الحث على التقوى كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا

---

[1]. ينظر: التناص دراسة في الخطاب النقدي العربي / سعد إبراهيم عبد المجيد / تصحيح: شجاع مسلم العاني / ط١ / دار الفراهيدي للنشر والتوزيع / العراق – بغداد / ٢٠١٠ م / ١٩٢.

[2]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

[3]. المصدر نفسه: ٢٢٢.

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران: ١٠٢، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ التوبة: ١١٩ ، وغيرها من الآيات، كما أنَّ الخطاب الإلهي غالبًا ما يبدأ بالمتقين والمؤمنين، ثم يشرع في ذكر صفاتهم؛ لأنَّ "التقوى هي المحصِّلة النهائية" [١] لكل عمل عبادي، ثم قوله: "وإقام الصلاة لوقتها" [٢] تشير لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣، إذ إنَّ الوقت هنا صفة جوهرية، ومن شروط صحة الصلاة فهي عبارة عن موعد ثابت للقاء مع الله، والصلاة هي صلة بين العبد وربه، وقوله: "وإيتاء الزكاة عند محلها" [٣] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾ الأنعام: ١٤١؛ إذ تجب الزكاة في وقت استحقاقها وبلوغ النصاب، وهي غالبًا ما تأتي مقترنة بالصلاة، وأما قوله: "وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم" [٤] إشارة إلى الآيات المباركة ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١، فهذه الصفات هي علامة بارزة للمؤمن فهو تناص مع سمات المتقين في القرآن الكريم، وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في مدح من اتصف بها كقول الإمام أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(ثلاث من مكارم

---

[١]. جمال بلاغة أسلوب التقسيم القرآني: أ.م. د. علي صادق كاظم الموسوي/مجلة كلية التربية / مج: ٦٢/ عدد: ٢/ ٢٠٢٦م/٣.

[٢]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

[٣]. المصدر نفسه: ٢٢٢.

[٤]. المصدر نفسه: ٢٢٢.

الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جُهِل عليك)" [1]، وفي قوله: "والحلم عند الجاهل"[2] هنا يستدعي إلى الذهن صورة "عباد الرحمن" الواردة في قوله تعالى :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾ الفرقان:٦٣، فالإمام ينصح بضبط النفس والترفّع في مواجهة الجهل، وعدم الانجرار وراء العصبية والاغترار بالرأي؛ لأنَّ المؤمن عليه أن يتعالى عن الخصومات العبثية. وأما في قوله: "والتفقه في الدين"[3] فنرى فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾ التوبة:١٢٢، فدعوة القرآن الكريم إلى ضرورة التفقه في الدين بوصفه حاجة ضرورية للمجتمع الإسلامي، وحثت عليه روايات كثيرة منها: عن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين)" [4] . أما في قوله: "والتثبت في الأمر" [5] هنا تناص مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦، فدعوة الإمام للتثبت في استقبال الخبر، وعدم تصديق الكاذب والفاسق؛ إذ إنَّ الخبر أمانة ولا يؤتمن الكاذب، فالإمام يؤسس لمنهج التفكير النقدي؛ إذ ينبغي للعقل ألا يكون وعاءً فارغًا

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ١٠٧ / كتاب الإيمان والكفر / باب العفو / ٣.

[2]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

[3]. المصدر نفسه: ٢٢٢.

[4]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١ / ٣٢ / كتاب فضل العلم / باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء / ٣.

[5]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

لاستقبال كل ما يُلقى إليه، بل يجب أن يكون ميزانًا للتمييز بين الحق والباطل لحماية المجتمع من الفوضى؛ لأنَّ التسرّع في قبول الخبر خطأ جسيم يؤدي للهلاك والندم [١] .

أما قوله: "والتعهد للقرآن" [٢] فهو تناص مع قوله تعالى:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦، فالإمام ينصح بالمواظبة على قراءة القرآن، وفهمه، وتدبر معانيه، والسير على نهجه؛ لأنَّه دستور الأمة وسبب عِزَّتها ورفعتها، فعن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)" [٣]

أما قوله: "وحسن الجوار"[٤] ففيه تناص مع قوله تعالى: ﴿ ۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦، إذ نجد أنَّ الإمام يكشف عن الرؤية القرآنية التي تجعل "حسن الجوار" جزءًا من المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع فهو لا يقتصر على كفِّ الأذى عنه، بل يشمل المواساة، ورعاية الحقوق، والاحترام، فالإمام يوظِّف المفهوم القرآني توظيفًا أخلاقيًا وتربويًا، فقد حوَّل الحكم القرآني إلى قاعدة تربوية، وسلوكية ممّا يعكس

---

١. ينظر: الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي / منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة / ١٨ / ٣١١.

٢. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

٣. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ٦٠٩ / كتاب فضل القرآن/ باب في قراءته / ١.

٤. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

المرجعية القرآنية في كلامه. ويتجلى التناص القرآني في قوله "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" [1] بوضوح مع قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران:١٠٤، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠، فهنا تناص لفظي ودلالي فنرى أنَّه لم يقتصر على استحضار اللفظ، بل امتد إلى القيمة التي يؤسس لها القرآن الكريم؛ إذ جعل "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" من الركائز الأساسية لصلاح الفرد والمجتمع، بما يضمن حفظ التوازن الأخلاقي، ويمنع الانحرافات، ويركِّزُ الإمام على أنَّه مسؤولية جماعية، وسبب في حفظ الدين، وهذا يكشف عن حضور القرآن الكريم كمرجعية تشريعية وتربوية وأخلاقية في كلام المعصوم.

وأخيرًا قوله: "واجتناب الفواحش كلها في كل ما عُصي الله فيه" [2] نرى أنَّه تناص مع عدد من الآيات المباركة كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ ﴾ الأنعام:١٥١، وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأعراف: ٣٣، وهنا نرى أنَّ التناص يتسع فيشمل المعنى العام؛ إذ لا يقتصر المفهوم على الذنوب العلنية فحسب، بل يشمل الخفية منها، إذ إنَّ الرؤية القرآنية تجعل معيار الفحش هو عصيان ومخالفة الأوامر الإلهية، ولا فرق في كون المعصية ظاهرة، أو خفية، وسواء كانت قولاً، أو فعلاً.

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.

[2]. المصدر نفسه: ٢٢٢.

ونستخلص من ذلك كله أنَّ التناص القرآني كان حاضرًا بوضوح في وصية الإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لابنه الحسن (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فقد استوعبت الوصية المفاهيم القرآنية، وأعادت توظيفها في صياغة تربوية وأخلاقية، وهذا يؤكد أنَّ خطاب المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) منفتح على القرآن الكريم فهما من منبع واحد، ممّا يعزز حضور المرجعية القرآنية في بناء خطاب المعصومين (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ).

## المطلب الثاني: الاستشهاد.

في هذا المطلب سننتقل إلى المستوى البرهاني للتناص، وهنا يحضر النص القرآني بهيئته اللفظية الكاملة ليكون سندًا قطعيًا ليعضّد الفكرة المطروحة، وسنقوم برصد بعض النصوص التي استدعى فيها المعصومون (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) الآيات المباركة بوصفها المرجع الأعلى للحقائق؛ إذ يعمل الاستشهاد كآليةٍ لتوثيق الصلة بين المعصوم (الوحي الناطق)، والقرآن الكريم (الوحي الصامت)، وليضفي صفة الحجية والإلزام على الخطاب الموجه لعامة الناس .

**الاستشهاد لغة:** من الأصل (شهد) "الشين، والهاء، والدال أصل يدل على حضور وعلم" [1]

ويقال: "وأشهدته على كذا فشهد عليه أي صار شاهدًا عليه، واستشهدت فلانًا على فلان، إذا سألته إقامة شهادة احتملها" [2] ويقال: "استشهد بكذا أي احتج به والشاهد: الدليل" [3] .

---

[1]. مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/مادة (شهد)/ ٣ / ٢٢١.

[2]. لسان العرب: ابن منظور/ مادة (شهد)/ ٣ / ٢٤٠.

[3]. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية/ مادة (شهد) / ٤٧٩.

**الاستشهاد اصطلاحًا:** الشاهد "هو عبارة عمّا كان حاضرًا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه شاهد الحق فهو شاهد الحق" [1]. والشهادة "هي الدليل الذي يُسْتشهد به في إثبات الأمر، والشاهد هو الذي يؤدي الشهادة، ويطلق أيضًا، على الدليل نفسه"[2]

ونلاحظ أنَّ الاستشهاد هو طلب الدليل والشاهد على القاعدة أو الحكم، ويحتل الشاهد القرآني في مختلف العلوم مكانة رفيعة؛ إذ تُبنى عليه الأحكام ويُعْتَمد في القبول والرد؛ فهو بمثابة النور والحجة والبرهان القاطع لمن أراد الاستدلال والاحتجاج، وبه تُقاس النصوص، وتُوزَنُ على ضوئه المضامين، ويُسْتند إليه في توجيه المعنى، والدفاع عن الموقف الأخلاقي والعقدي والتشريعي. وكتاب" تحف العقول عن آل الرسول "يضم مجموعة كبيرة من الشواهد القرآنية التي استدل بها المعصومون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وفي هذا المطلب نختار قسمًا منها.

١. **آثار الذنوب:** من آداب أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأصحابه: يقول الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(توقَّوا الذنوب فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب حتى الخدش والنكبة والمصيبة، فإنَّ الله جلَّ ذكره يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾)" الشورى: ٣٠ [3]

---

[1]. معجم التعريفات: الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) /تحقيق: محمد صديق المنشاوي / دار الفضيلة / ١٠٦ / باب (الشين).

[2]. المعجم الفلسفي: جميل صليبا/ دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة / بيروت_ لبنان/١٩٨٢م/٧٠٩.

[3]. تحف العقول: الحرّاني/ ١٠٦، ١٠٧.

للذنوب آثار وعواقب وخيمة تصيب الإنسان نتيجة ارتكابها؛ فهي سبب مباشر لكل الأضرار والابتلاءات؛ فحتى الخدش والنكبة، ونقص الرزق، وغير ذلك من أنواع البلاء سببها الذنوب فهي نتيجة حتمية لذلك، والقرآن الكريم يؤسس قاعدة وهي: أنَّ كل ما يصيب البشر من ابتلاءات ومصائب هي نتيجة ارتكاب الذنوب، وعدم التقوى إلا بعض الموارد المستثناة وهي من قبيل الاختبارات والابتلاءات الإلهية للأولياء والمعصومين، وقد ورد في تفسير هذه الآية عن عطية العوفي (١٢٧ هـ) عن ابن عباس أنَّه قال: "(يُعجَّل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم، ولا يؤاخذون بها في الآخرة)" [١] ، وكذلك فإن الآية فيها دلالة "على وجود ارتباط وعلاقة قريبة بين أعمال الإنسان والنظام التكويني للحياة؛ فإذا سار الناس وفقًا لأصول الفطرة وقوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهية، وعند فسادهم يفسدون حياتهم فكل إنسان سيصاب في جسمه وروحه، أو أمواله ومتعلقاته الأخرى بسبب الذنب الذي يرتكبه" [٢] ، وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ) "(ليس من التواء عرق، ولا نكبة حجر، ولا عثرة قدم ولا خدش عود إلا بذنب ولما يعفو الله أكثر، فمَن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدنيا فإن الله عزَّ وجلَّ أجلُّ وأكرم وأعظم من أن يعود في عقوبته في الآخرة)"[٣] ، كذلك ورد عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) "(قال: قال رسول الله (ﷺ): قال الله عزَّ وجلَّ: ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلا ابتليته في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه، وإلا شددت عليه عند موته حتى يأتيني ولا ذنب له ثم أدخله الجنة...)" [٤] .

---

١. تفسير القرآن الكريم: المفسر والمحدث والفقيه عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي (١٢٧ هـ) / تحقيق: عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين / ط١ / منشورات دليل ما / إيران – قم / ١٤٣١ هـ/ ٢ / ٤٥٤.

٢. الأمثل: الشيرازي/ ١٥ / ٣٩٥.

٣. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ٤٤٥ / كتاب الإيمان والكفر/ باب تعجيل عقوبة الذنب / ٦.

٤. المصدر نفسه: ٢ / ٤٤٦ / كتاب الإيمان والكفر/ باب تعجيل عقوبة الذنب / ١٠.

نجد هنا أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يأمر أصـــحابه باجتناب الذنوب، ويحذرهم من الوقوع فيها، ويبيّن لهم العلّة في ذلك، وما يجلبه ارتكابها عليهم من الضرر وإن كان بسيطًا كالخدش والنكبة ويُثْبت ذلك قرآنيًا برجوعه إلى نصٍ قرآني صريح لا يدع مجالاً للشك؛ فالآية تدل دلالة واضحة على أنَّ ارتكاب الذنوب يؤدي إلى عواقب وخيمة تُصيب مرتكبها. وهذا مما يعزز حضور المرجعية القرآنية في كلام المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

٢. **التقوى أصل قرآني:** فيما روي عن الإمام الحسن السبط (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في التقوى: "(... وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ النبأ: ٣١ وقال: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الزمر: ٦١، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنَّه من يتق الله يجعل له مخرجًا من الفتن، ويسدده في أمره...)" [١].

التقوى لغة من وقى "الواو والقاف والياء: كلمة واحدة، تدل على دفع شـيء عن شـيء بغيره" [٢]، والتقوى "اسـم منه والتاء مُبْدلة من واو والأصـل وَقْوَى من وَقَيْتُ، لكنَّهُ أُبْدِلَ ولَزِمَتِ التَّاءُ في تصـاريف الكلمة" [٣]

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٣٢.

٢. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) / مادة (وقى)/ ٦ / ١٣١.

٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ) / تحقيق: عبد العظيم الشناوي / ط٢ / دار المعارف / القاهرة / ٦٦٩.

والتقوى في اصطلاح الشرع هي: الإخلاص في العمل، وترك المعصية والحذر منها، وأن يقتدي الفرد بالنبي، وآله في القول والفعل [١]. وتعني أيضًا: الامتثال للأوامر واجتناب النواهي، أو حفظ النفس عن ارتكاب الآثام والاحتراز عن كل شيء مذموم [٢] . والمتّقي هو: "الذي يتقي بصالح أعماله عذاب الله" [٣] . وقد ورد ذكر لفظة (التقوى) ومشتقاتها في القرآن الكريم فيما يزيد عن مئتي موضع [٤] .

وللتقوى مراتب منها ما يشمل العوام وهي: الكف عن المحرمات وأداء الواجبات، ومنها مرتبة الخواص وهي: الورع عن صغائر الذنوب والشبهات، ومنها ما هو أعلى مرتبة وهي ترك المباحات، وما يُشغِلُ عن ذكر الله تعالى في السر والعلن، وهذه مرتبة خواص الخواص [٥] . والتقوى أشبه بالعصمة الصغرى وبها يحارب الإنسان الشهوات ويحذر من مكر الشيطان؛ فإذا سار الإنسان في هذا الطريق فهو حتمًا سينال الدرجات الرفيعة [٦].

---

١. ينظر: التعريفات: الجرجاني/ ٥٨ / ٥٩.

٢. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي / تحقيق: د. علي دحروج / ط١/ مكتبة لبنان / لبنان /١٩٩٦م / ١ / ٥٠١.

٣. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) / تحقيق: أغا بزرك الطهراني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت _ لبنان/ ١/ ٣٦٧.

٤. ينظر: التقوى في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي: محمد الدبيسي/ ط١/ دار المحدثين / القاهرة / ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م / ٤٧٩.

٥. ينظر: من وصايا الرسول / طه عبد الله العفيفي / دار التراث العربي / ١ / ١ /٢٢؛ وينظر: تسنيم في تفسير القرآن: العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي / تعريب: السيد عبد المطلب رضا / تحقيق: الشيخ عبد المنعم الخاقاني / دار الإسراء للطباعة والنشر / ط٢ / بيروت / ٢/ ١٧٨.

٦. ينظر: أدب الله، شرح رسالة الإمام الصادق(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى جماعة الشيعة: مجيد الصائغ / ٩٧.

ونجد في أحاديث أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حثٌّ عليها فعن أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(التقوى حصـــن المؤمن، والتقوى خير زاد، والتقوى رأس الحســـنات)" [1]. ويتبيّن لنا من خلال ذلك أنَّ الإمام الحســـن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الرواية التي تقدَّم ذِكرها يُذَكِّر مَنْ كان معه بأنَّ الله تعالى أمر الناس بالتقوى، وقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "وأوصـــاكم بالتقوى"[2] فيه دلالة على أنَّ هذا الأمر من الله تعالى، وهو مفهوم قرآني ذا قيمة وعظية، ومعيار حاكم للفوز في الآخرة، ووســـيلة للنجاة من الفتن، ونلاحظ أيضًـــا أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اعتمد الاســـتشـــهاد بالنص القرآني لتأصـــيل هذا المفهوم، وهذا يعكس منهج أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في اعتماد القرآن الكريم مرجعًا أعلى في توجيه المفاهيم الأخلاقية وضـبطها، ونلاحظ أيضًـا أنَّ الإمام ربط الفوز في الآخرة، والنجاة يوم القيامة بالعلّة الموجبة لذلك وهي التقوى في دار الدنيا، وأنَّ هذه القيمة الأخلاقية لها آثارها المعنوية في حياة الإنسان أيضًا؛ فهي السبيل للخروج من الفتن والتسديد في جميع الأمور.

٣. **الهداية وإقامة الحجة** : من كلام للإمام الســـجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في الزهد، نختار منه هذا المقطع "(...فاتقوا الله عباد الله وتفكروا، واعملوا لما خُلقتم لـه، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ولم يترككم ســـدى فقد عرَّفكم نفســـه وبعث إليكم رســـوله وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحججه وأمثاله فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَـــانًا

---

[1]. حكم الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) [غرر الحكم ودرر الكلم]: عبد الواحد الآمدي التميمي (٥٥٠هـ) /تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي/ ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت_ لبنان/ ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠٢م/ ١٠٩، ١١٠.

[2]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٣٢.

وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ البلد: ٨، ٩، ١٠ فهذه حجة عليكم فاتقوا الله ما استطعتم فإنَّه لا قوة إلا بالله ولا تكلان إلا عليه وصلى الله على محمد نبيه وآله)" [١].

إنَّ الله تعالى أنعم على الإنسان بنعم مادية، وأخرى معنوية، وجعلها دليلاً على توحيده، ونبذ عبادة غيره، فقد منحه العينين، لكي يتمكن من رؤية الكون، والمخلوقات الأخرى؛ ممّا يجعله يتفكر في خلق الله، ونعمة اللسان والشفتين لينطق بهما، وهذه النعمة تمكنه من التواصل مع الآخرين من بني جنسه، مما يجعله يرتقي في مجالات العلم والمعرفة، وهاتين النعمتين تكتملان بالهداية لإلقاء الحجة عليه، وهذا يعني أنَّه مختار ولديه القدرة على التمييز بين ما هو مقبول و بين ما هو مرفوض، فإذا اختار طريق الصلاح والرشاد فقد فاز ونجا، وإذا اختار طريق الشر والرذيلة فقد هلك وهوى[٢]. ونرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يُذَكِّر الناس بتقوى الله ويحثُّهم على التفكّر، والعمل الصالح ويبيّن علّة ذلك وهي: أنَّ الله تعالى خلق الإنسان لغاية عظمى، وليس للعبث فهذا خلاف الحكمة الإلهية، لإنَّ الخالق مُنزّه عن العبثية، وهذه من العقائد المهمة التي يجب على الإنسان الاعتقاد بها، ونجد هنا توصيفًا دقيقًا من الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) للغرض من خلق الإنسان وهو: أنَّ لكل فعل وحركة تصدر منه وظيفة مخطط لها من الخالق جلَّ وعلا بدقة وإحكام وليس الأمر متروكًا سدى؛ لأنَّه عزَّ وجلَّ أقام الحجة بإرسال الرسول، وإنزال الكتاب الحكيم الذي بيَّن فيه الحلال والحرام ومنح هذه النعم التي يستعين بها البشر على التفكّر والعبادة، وجعلها حجة عليهم، وبيّن الإمام أنَّ الإنسان لا يتمكن من ذلك دون أن يستمد القوة من الله تعالى ويتوكل عليه في الأمور كلها ليصل إلى الكمال، ومن خلال ذلك نرى كيف استند الإمام إلى

---

[١]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٧٤.

[٢]. ينظر: التبيان: الطوسي(٤٦٠هـ) / ١١/ ٦١٠؛ وينظر: الأمثل: الشيرازي/ ٢٠ / ١٦٢.

النص القرآني ليوضّح أنَّ الله جلَّ وعلا لم يحدد الغاية من الخلق فحسب وإنّما منح الإنسان الأدوات للإدراك وهي (العينين واللسان والشفتين)، وهي ليست مجرد جوارح، بل هي وسائل استدلال، فكل نعمة هي طريق لمعرفة الله تعالى.

٤. من كلام للإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ما يسمى بنثر الدرر [١] ، وهو مجموعة من المواعظ القصيرة ذات المعاني السامية نختار منها: "(ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: المكر، والنكث، والبغي، وذلك قول الله :﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴿٤٣﴾ ﴾ فاطر: ٤٣، ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ النمل: ٥١، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ الفتح: ١٠، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾) يونس: ٢٣" [٢] .

في هذا المقطع ثلاث خصال سيئة يحذر منها الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، ويبيّن ضررها على الإنسان نفسه قبل غيره، أولها (المكرُ)، والمكرُ في اللغة هو: "الخديعة" [٣]، والماكِر المُخادِع، يقول الراغب الأصفهاني ( ٥٠٢ هـ): "المكرُ صَرْفُ الغَيرِ عمّا يَقْصِدُهُ بحيلةٍ" [٤]، ويُطلق أيضًا على شدة الفطنة، وهو: "استنباط بعض الأمور من المآخذ الخفية البعيدة على ما تجاوز من مقتضى استقامة

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣١٥.

٢. المصدر نفسه:٣١٧، ٣١٨.

٣. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) / تحقيق: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد/ دار الحديث/ القاهرة / ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م / ١٥٤٩.

٤. المفردات: الراغب الأصفهاني/ ٤٧١.

القريحة" [1]، أي إنَّ الإنسان يتوصل إلى تحقيق مراده بطرق ووسائل خفية خارجة عن السلوك الطبيعي الذي يلائم الفطرة، وهو على ضربين: أحدهما ممدوح وهو من قبيل استجرار الممكور به إلى شيء لصالحه كما يُفعل بالصبي عند امتناعه من فعل الخير، والآخر مذموم وهو أن يقصد الفاعل الحاق الضرر بغيره [2]، وهو المقصود هنا، ويُعَدُّ من رذائل القوة العاقلة أو الوهمية، ومن الصفات المذمومة، والمهلكات العظيمة فهو من صفات الشيطان، فالذي يتصف بالمكر هو من أعظم جنود إبليس؛ لأنَّه يخدع غيره بكونه من أهل الصلاح والنصيحة؛ لكنه في الحقيقة يُريد إهلاكه ويُضمر له الشر، ولذا فإنَّ هذه الصفة من أخبث الرذائل [3] ، وقد حَذَّرَ منها أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في أكثر من موضع؛ لأنَّ صاحبها لا يجني من مكره إلا السوء والضرر لنفسه قبل غيره، يقول الرسول الأكرم(ﷺ): "(ليس منا من ماكر مسلمًا)، وعن أمير المؤمنين (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): (لولا أنَّ المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس)" [4].

والخصلة الثانية هي: (النكث)، ومعناه في اللغة هو: "أن تُنْقَضَ أخلاقُ الأَكْسِيَةِ لِتُغْزَلَ ثانيةً، ونَكَثَ العهد، والحبلَ يَنْكُثُه: نَقَضَهُ" [5] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ النحل: ٩٢ وقوله جلَّ وعلا: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ

[1]. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (١٢٠٩ هـ) / دار المتقين / ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م / ١ /١٤٦.
[2]. ينظر: الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ٣٣٦ / هامش ٣؛ وينظر: الخلق الكامل: محمد أحمد جاد المولى بك / ط١/ المطبعة العثمانية المصرية / ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦ م/ ٤ / ٤٨٠.
[3]. ينظر: جامع السعادات: النراقي/ ١ / ١٤٦، ١٤٧.
[4]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ٣٣٦ / كتاب الإيمان والكفر / باب المكر والغدر والخديعة / ٣، ١.
[5]. القاموس المحيط: الفيروز آبادي (٨١٧هـ) / مادة (نكث)/ ١٦٤٧، ١٦٤٨.

إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ التوبة:١٢، والنكثُ يكون للعهود والمواثيق كما ورد في القرآن الكريم، وهو من الصفات الرذيلة والمذمومة أيضًا وهو ضد الوفاء بالعهد والالتزام بالمواثيق، فالذي يُبرم عهدًا ثم لا يفي به فلن يكون موضع ثقة للآخرين؛ لأنَّ الوفاء بالعهد من أساسيات ثبات المجتمع، وكما نعلم أنَّ الثقة المتبادلة في المجتمع تعد من الركائز الأساسية التي يستند إليها النظام المجتمعي، والثقة هي الضامن الرئيس لدوام الأنشطة الجماعية وتعزيز التعاون بين أفراد المجتمع، من هنا تبرز مسألة أهمية الوفاء بالعهد؛ لأنَّ نكث العهود إذا شاع في المجتمع يؤدي إلى انهيار الثقة العامة ممّا يجعل الأفراد غير قادرين على تحقيق أي إنجازات بسبب عدم وجود الثقة المتبادلة بينهم، وهذا الأمر له مضار على الفرد نفسه أولاً، والمجتمع ثانيًا [1] ؛ لذا فهو من الذنوب الكبيرة، ومن علامات النفاق، ويوجب الخذلان في الدنيا واللعن والعقاب في الآخرة، ومن هنا نرى تأكيد الروايات الشريفة على هذه المسألة ومنها الرواية التي تقدمت عن الإمام الصادق ( عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

أما الثالثة فهي: (البَغْيُ)، ويُعَرَّفُ البَغْيُ بأنَّه "صعوبة الانقياد والتابعية لمن يجب أن ينقاد له" [2] وهو حالة من الاستعلاء في النفس تؤدي إلى عدم الانقياد لأي جهة ذات سلطة أخلاقية أو شرعية ويسمى أيضًا البذخ، وهذا المفهوم هو من التجليات السلوكية للكبر، ولا يقتصر على مجرد شعور الفرد بالتفوق على الآخرين، بل يمتدُّ إلى ممارسة الظلم والتعدي عليهم، وسلب حقوقهم وكرامتهم، وبالتالي فهو من المهلكات العظيمة في المنظومة الأخلاقية، وهو على مستويات: أشدها خطورة هو البغي في جانب العقيدة والمتمثل في رفض الانقياد للرسل والأنبياء وأوصيائهم وقد أدى هذا النوع بالأمم السالفة إلى

[1]. ينظر: الأمثل: الشيرازي/ ٨ / ٢٢٦، ٢٢٨.

[2]. جامع السعادات: النراقي/ ١/ ٢٤١.

الكفر، والهلاك [1]. والثاني: هو البغي الاجتماعي ويُراد "منه غالبًا الجهود المبذولة لغصب حقوق الآخرين" [2] ، والمتمثل في الجور والتعدي على الآخرين، وهذا يؤدي إلى إذلال الطرف المستضعف مما يؤثر على السلم الاجتماعي، ويعمل على تقويضه، وهدم الروابط البينية للمجتمع؛ مما يؤدي إلى انهيار الحضارات. [3] .

وقد ذكر القرآن الكريم صورًا كثيرة للبغي في الأمم السابقة منها قصة قارون ﴿ ۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ ﴾ القصص: ٧٦ . وحذَّرت الآيات المباركة من النتائج السلبية للبغي وبيَّنت المصير الذي سيؤول إليه كل باغٍ قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾ العنكبوت: ٤٠.

ومن خلال ما تقدّم نرى كيف أنَّ الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) استند إلى القرآن الكريم للتأكيد على صحة القاعدة التي ذكرها "ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه" [4] ، وربط كل صفة من هذه الصفات بآية قرآنية ليمنح النص سلطة عليا بوصفه مستمد من قانون إلهي ثابت وهو: أنَّ السوء تعود عاقبته على صاحبه قبل غيره، وأنَّ الظلم يعود وباله على فاعله، وبهذا تتجلى المرجعية القرآنية في هذا النص بصورة واضحة؛

---

[1]. ينظر: جامع السعادات: النراقي/ ٢٤١.

[2]. الأمثل: الشيرازي/ ٥ / ٢٢.

[3]. ينظر: جامع السعادات: النراقي/ ٢٤١.

[4]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٣١.

لأنَّ إسناد كل صفه إلى دليل قرآني تأكيد على أنَّ هذا ليس رأيًا بشريًا، بل هو مستمد من القرآن الكريم الذي يُعَدُّ الضابط الأول للمنظومة الأخلاقية في الإسلام.

**المطلب الثالث: الاقتباس.**

بعد أن وقفنا عند التناص المفهومي والاستشهاد الصريح ننتقل في هذا المطلب إلى المستوى الثالث وهو الاقتباس، والذي يُمَثِّلُ حالة وسطى بين الاستشهاد المباشر، وبين استحضار المفهوم دون اللفظ؛ إذ يأخذ المعصوم آية قرآنية أو جزءًا منها ويصهره داخل تركيب الحديث بحيث يصبح جزءًا منه مع الحفاظ على الوحدة العضوية للنص؛ لأنَّ الاقتباس هنا ليس مجرد زينة لفظية؛ بل هو جزء من البناء الكلي فهو يُسهم في نمو الفكرة وتطويرها .

**والاقتباس لغة:** من "القَبَسُ: شُعْلَةٌ من نارٍ تقْبِسُها، وتَقْتَبِسُها، أي تأخُذُ من مُعْظَمِ النّار وقَبَسْتُ النّارَ واقتَبسْتُ رجلاً نارًا أو خيرًا. وقَبَسْتُ العلمَ واقْتَبَسْتُه، وأقْبسْتُ العلمَ فلانًا" [1] ، يقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) "القَبَسُ المُتَناوَلُ مِنَ الشُّعْلَةِ، قال: ﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ ۝٧ ﴾ النمل:٧ والقَبَسُ والاقْتِبَاسُ طَلَبُ ذلك، ثم يُستعار لطلب الهداية والعلم" [2] .

[1]. كتاب العين: الفراهيدي/ باب القاف مادة (قَبَسَ) /٣ / ٣٥٢.

[2]. المفردات: الراغب الأصفهاني/ مادة (قَبَسَ)/ ٣٩٠.

**والاقتباس اصطلاحًا:** "هو أن يتضمن الكلام نثرًا كان أو نظمًا شيئًا من القرآن أو الحديث" [1]، أو هو: "أن يُضمّن المتكلم منثوره، أو منظومه شيئًا من القرآن، أو الحديث على وجه لا يشعر بأنَّه منهما" [2]

نستنتج من ذلك أنَّ الاقتباس هو: أن يأخذ المتكلم نصًا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي ويجعله ضمن كلامه من غير أن يُصرّح بأنَّه قول الله عزَّ وجلَّ أو قول النبي (ﷺ)، وهذا كثير في كلام المسلمين؛ لأنَّ النص القرآني أو الحديث الشريف يمنح الكلام قوة ويؤكد المعنى في ذهن السامع، ونجد أنَّ أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) غالبًا ما يُضمّنون كلامهم نصوصًا من القرآن الكريم؛ ويُعَدُّ كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" من الكتب الغنية بالاقتباسات القرآنية. وفي هذا المطلب سنعرض طائفة مختارة من تلك الاقتباسات، مع بيان سياقاتها ودلالاتها.

١. **تحريم النسيء:** من خطبة النبي الأكرم (ﷺ) في حجة الوداع [3] ، وهي خطبة طويلة نقتصر منها على محل الشاهد: "(أيها الناس! ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ ٣٧﴾ ، التوبة: ٣٧ وإنَّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض، و﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ

---

[1]. التعريفات: الجرجاني/ ٣٣.

[2]. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيّد أحمد الهاشمي / ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي/ المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ٣٣٨.

[3]. ينظر: تأريخ الطبري تأريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢ / دار المعارف – مصر / ٣ / ١٥٠، ١٥١؛ وتأريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي / تحقيق: عبد الأمير مهنا / ط١/ شركة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان / ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م / ١ / ٤٤٠.

عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ﴾ التوبة:٣٦، ثلاثة متوالية وواحد فرد ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم ورجب بين جمادي وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد)" [١].

والنسيء: من "نسأ نسأه نسَّأه أي أخَّره والنسيء: الاسم منه شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية، فنهى الله عزَّ وجلَّ عنه" [٢] ومن خلال التعريف اللغوي نعلم أنَّ النسيء: هو الشهر الذي كانت العرب تؤخره في الجاهلية وهو صفر فقد كانوا يحرّمونه عامًا بدلاً من شهر محرم ويحلّون المحرم عامًا، فقد كانوا يعتقدون بحرمة الأشهر الحرم وحرمة القتال فيها؛ لكنهم كانوا يبدّلون أوقاتها حسب أهوائهم، فيستحلّون فيه الحرمات "والتأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالاً، والحلال منهن حرامًا زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته" [٣] ، وبذلك يكون "النسيء المنهيُّ عنه في الآية تأخير الأشهر الحُرُم عمّا رتبها الله، وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك، وكان الحج يقع في غير وقته، واعتقاد حرمة الشهر في غير أوانه، فبيَّن الله تعالى أن ذلك زيادة في الكفر" [٤] .

نلاحظ هنا أنَّ النبي (ﷺ) جاء بالآية الكريمة ضمن نص خطبته وبيَّن أنَّ الله تعالى نهى عن ذلك الفعل وأنَّه من عادات الجاهلية وقد جاء القرآن الكريم بتحريمها، وهذا يدل على أنَّ القرآن الكريم هو

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٢.

٢. القاموس المحيط: الفيروز آبادي (٨١٧هـ) / ١٦٠٣.

٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) / تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد وآخرون / دار الحديث – القاهرة / ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م / ٥ / ٨٨٢.

٤. التبيان: الطوسي/ ٥ /٢١٧.

الأصـــل الأول في التشـــريع، ورجوع النبي (ﷺ) إليه في تأكيد وتثبيت حكم شـــرعي وهو تحريم العادة الجاهلية المعروفة ب (النسيء).

وقد تضمن هذا المقطع من الخطبة نصًا قرآنيًا آخر وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ﴾ التوبة:٣٦ وقد جاء في تفسير هذه الآية، أنَّ الله تعالى أخبر أنَّ "عدة الشهور" في السنة هي اثنا عشر شهرًا، وذلك "لموافقة أمر الأهلة مع نزول الشمس، في اثني عشر برجًا تجري على حساب متفق" [١] ، وقد أقرَّ ذلك في اللوح المحفوظ، وفي الكتب السابقة ومن هذه الشهور هناك أربعة أشهر حُرُمٌ وهي "ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب: ثلاثة سرد وواحد فرد"[٢]، وهذه الأشهر الحرم كانت معظَّمة عند العرب قبل الإسلام يعظِّم فيها انتهاك المحارم، حتى إنَّ الرجل إذا لقي قاتل أبيه ترك هجاءه لحرمة هذه الأشهر ولعلَّ في تحريم هذه الأشهر، وجعلها أعظم حرمة من غيرها هو لمصلحة الناس في الكف عن الظلم [٣] .

٢. **الأُخوَّة في الإســـلام:** وفي مقطع آخر من خطبة النبي الأكرم (ﷺ) في حجة الوداع: "(...أيها الناس ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ١٠ ﴾، ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت؟ اللهم أشـــهد فلا ترجعن كفارًا يضـــرب بعضـــكم رقاب بعض، فإنّي قد

[١]. التبيان: الطوسي/ ٥ / ٢١٤.
[٢]. المصدر نفسه: ٥/ ٢١٤.
[٣]. ينظر: المصدر نفسه: ٥ / ٢١٤.

تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضـــلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد...)"[١].

من الأمور التي دعا إليها الدين الإسلامي وحثَّ عليها هي مسألة التآخي بين المسلمين؛ إذ كانت من الأعمال الأولى التي قام بها النبي (ﷺ) عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فعند وصـوله (ﷺ) "آخى بين المهاجرين بعضـهم لبعض وآخى بين المهاجرين والأنصـار، آخى بينهم على الحق والمسـاواة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام" [٢]وأصـبحت فيما بعد شـعارًا من الشـعارات الأساسية في الإسلام، وإنَّ المسلمين على اختلاف قومياتهم، وقبائلهم، ولغاتهم فهم أخوة وإن عاشوا في بلاد متفرقة، وهذا الأصـل الإسـلامي منبعه الأول القرآن الكريم ثم السـنة النبوية المطهرة؛ فالقرآن الكريم يخاطب المســلمين بخطاب الأســرة الواحدة (أخوة وأخوات) [٣] . والروايات الإســلامية تؤكد على هذا الأصــل القرآني في أكثر من مورد: فقد ورد عن النبي الأكرم (ﷺ) أنَّه قال:"(المســلم أخو المســلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يســلمه)"[٤] ، وعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: "(المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه، ولا يظلمه ولا يغشه ولا يَعِدُه عِدَةً فيخلفه)" [٥]

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣.

٢. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري _المعروف بابن سعد_/١/ ١٨٤ /تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ ط٢/ دار الكتب العلمية/ بيروت_ لبنان/ ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م.

٣. ينظر: الأمثل: الشيرازي/ ١٦ / ٣٩٤.

٤. المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني(١٠٩١هـ) / تحقيق: علي أكبر غفاري/ مكتبة الصدوق / طهران / ١٣٤٠ هـ ش / ٣/ ٣٣٢ / كتاب الصحبة والمعاشرة / الباب الثاني.

٥. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ١٦٦/ كتاب الإيمان والكفر / باب أخوة المؤمنين بعضم لبعض / ٣.

وفي ظل التحديات المعاصرة والأزمات التي تمرُّ بها الأمة الإسلامية، وما تشهده من تفرّق وآلام؛ نرى أنَّ الأُخوَّة ليست مجرد شعار، بل هي رباط عقائدي يتجاوز الحدود والجنسيات؛ فلا بدَّ للمسلم أن يَشعر بأخيه المسلم ومعاناته في كل نقطة من بلاد المسلمين، وإنَّ رجوع النبي إلى هذا الأصل القرآني الثابت يفرض على الأمة مسؤولية تأريخية تتجاوز عصر النص؛ لأنَّ القرآن الكريم ليس لزمان دون زمان وإنَّما هو قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأحكامه ثابته لا تتغير، وهذه القاعدة التي رسَّخها النبي (ﷺ) في حجة الوداع، لا تقبل التأويل فقد استدعى منطوق الآية ليجعل منه حصنًا للدماء والأموال، وهذا التنبيه النبوي هو توصيف دقيق لخطورة الانحراف عن المسار القرآني؛ إذ عدَّ الاقتتال والتفرق ارتدادًا عن القيم الإسلامية، فيجب على المسلمين أن يلتزموا بالأمر الإلهي، ويراعوا حقوق الإخوان ومنها احترام الخصوصية المالية لكل فرد، ومراعاة حرمة الدماء، ويحذروا من العودة إلى العادات الجاهلية التي كانت تقوم على الإغارة على القبائل وسلب أموال الآخرين بدون حق؛ فهذه الأعمال مرفوضة بعد أن دخل الناس في الدين الإسلامي الذي يستند إلى ركنين أساسيين وهما: كتاب الله وعترة النبي الأكرم (ﷺ ) [1].

٣. **في الصلاة على النبي وآله:** فيما روي عن أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الخطبة المعروفة بالوسيلة: [2] "(... أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله شهادتان ترفعان القول، وتضعان العمل خفَّ ميزانٌ تُرفعان منه وثَقُلَ ميزانٌ تُوضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز على الصراط وبالشهادة تدخلون الجنة

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣.

[2]. المصدر نفسه: ٩٢.

وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ الأحزاب: ٥٦ )" [١]

**الصلاة لغة:** "هي الدعاء والتبريك، والتمجيد، يقال صلَّيتُ عليه أي دعوتُ له وزكَّيتُ" [٢] والصلاة على النبي محمد لها عدة صيغ منها: "اللهم صلِّ على محمد وآل محمد أو ﷺ" وصيغ أخرى؛ فقد روى "أبو حمزة الثمالي عن كعب بن عجرة" وهو من أصحاب النبي (ﷺ) أنَّه قال: "(لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله! هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صـــلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد)" [٣]، وقد ورد في تفسير الآية الكريمة "أنَّ صلوات الله عليه تزكية له وثناء عليه، وصلاة الملائكة مدحهم له وصلاة الناس دعاؤهم له والتصديق والإقرار بفضله" [٤]

وهناك روايات كثيرة في فضـــل الصـــلاة على محمد، وآل محمد منها: "(عن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: قال رسول الله (ﷺ): الصلاة علَيَّ وعلى أهل بيتي تُذهب بالنفاق)" [٥] وورد أيضًا عن "صـــفوان الجمّال عن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، قال:( كل دعاء يُدعى الله عزَّ وجلَّ به محجوب عن

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٩٢.

٢. المفردات: الراغب الأصفهاني/ ٢٨٦.

٣. مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل الحسن الطبرسي / تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين / مؤسسة الأعلمي / بيروت – لبنان / ٤ / ١٧٩.

٤. تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن ٣– ٤هـ) / تصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري / ط٣ / مؤسسة دار الكتاب / قم – إيران /١٤٠٤هـ/ ٢ / ١٩٦.

٥. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ /٤٩٢ / كتاب الدعاء / باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته (عليهم السلام) / ٨.

السماء حتى يصلّي على محمد وآل محمد)" [1] ، وقال أبو عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): "(من كانت له إلى الله عزَّ وجلَّ حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عزَّ وجلَّ أكرم من أن يقبل الطرفين، ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه)" [2]. فنرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قد جسَّد في خطابه نموذجًا للمرجعية القرآنية؛ إذ لفت الانتباه إلى مسألة مهمة وقضية محورية وهي أنَّ الصلاة على النبي الأكرم وآل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) هي من القربات العظيمة والطاعات الجليلة التي تُطّهر القلوب وتُزكّي النفوس، وتُنزِلُ الرحمة، وهي امتثال للأمر الإلهي الصريح ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب ٥٦، وهي ليست مجرد ذكر لساني، بل هي تجديد لعهد المحبة والولاء للنبي وآل بيته (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ )، وتَقَرُّبٌ إلى مقامه الشريف، وقد استند إلى أصل قرآني، وهذا يكشف عن منهجية واضحة في ارجاع المعصوم المفاهيم السلوكية والعقدية إلى كتاب الله بوصفه مرجعًا أعلى في التقعيد والتوجيه، وهذا الاستناد المباشر من المعصوم لإثبات القضايا المهمة، وتوضيح معالمها يؤكد حضور المرجعية القرآنية في كلام المعصومين (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ).

وفي الختام يتضح لنا ماهي الآليات الفنية والمنهجية التي اعتُمدت من قبل المعصومين (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) في استدعاء آيات القرآن الكريم وذلك من خلال ثلاثة مطالب: الأول منها كان حول التناص القرآني وتجلياته في أحاديث النبي والأئمة الطاهرين (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وكيف استحضر المعصوم معنى وروح

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ٤٩٣/ كتاب الدعاء / باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته (عليهم السلام) / ١٠.

[2]. المصدر نفسه: ٢ / ٤٩٤ / كتاب الدعاء / باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته (عليهم السلام) / ١٦.

الآيات باستخدام مفردات قرآنية وإعادة صياغتها ضمن السياق الوعظي والأخلاقي والعقدي وغير ذلك، فوظيفة التناص هنا ليســت مجرد زينة؛ بل انعكاس لوحدة المنبع بين القرآن الكريم وكلام المعصــوم، فنرى مقاصــد القرآن الكريم بارزة في خطاب النبي والعترة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، أما المطلب الثاني فينتقل الحديث فيه عن النقل المباشــر من القرآن الكريم لتدعيم الحجة الشــرعية والأخلاقية؛ إذ يتم اســتحضــار الآية كشاهد ودليل قطعي لإيضاح المقصد، وقد تميَّز الاستشهاد بدقة التوظيف؛ فتوضع الآية في موضعها المناسب لكي تكون ركيزة أساسية لتقوية الحجة وتأكيد المطلوب، واختص المطلب الثالث بالنقل الحرفي لجزء من الآية أو كلها وتضــمينها في الخطاب وهو ما يســمى بالاقتباس؛ إذ يُبرز قدرة المعصــوم على استدعاء النسيج القرآني بحذافيره داخل الحديث مما يمنحه قوة بلاغية، ويدعم قدسيته، ويعزز المرجعية القرآنية في كلام المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ).

**المبحث الثاني:**

## وظائف النص القرآني لكلام المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول":

بعد أن تبيَّنت لنا في المبحث الأول آليات الحضــور القرآني في كلام النبي (ﷺ) والأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، اقتضــت طبيعة البحث الوقوف على وظائف النص القرآني فيها؛ إذ يُعَدُّ النص القرآني في خطابات المعصومين(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) عنصرًا رئيسًا في بناء المعنى والتوجيه الدلالي؛ إذ لم يقتصر حضوره في رواياتهم على نحو الاســتشــهاد العابر، أو الزينة اللفظية، بل تجاوز ذلك إلى تأدية وظائف بيانية،

وتربوية، وحجاجية متعددة أكسبت الخطاب بعدًا مرجعيًا وقدسية معرفية؛ فالنص القرآني يُسْتَثمر ليكون منطلقًا للاستدلال، ويُسهم في تعزيز الرؤية الإسلامية لقضايا العقيدة والسلوك والأخلاق، ونحن في هذا المبحث نسعى إلى الكشف عن أبرز الوظائف التي أداها النص القرآني في كلام المعصومين(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في كتاب(تحف العقول) وما هي تجلياتها، وكيف تم توظيفه في بيان الحقائق، وإقامة الحجج والبراهين، وتقويم الانحراف النفسي والسلوكي، بما يدلل على مرونة الخطاب القرآني، وقدرته على التفاعل مع متطلبات الواقع المتجدد عبر الأزمنة.

## المطلب الأول: الوظيفة التفسيرية والبيانية .

التفسير هو: "الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل" [1]، ومعناه في الشرع: "توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة" [2]. وتُعَدُّ الوظيفة التفسيرية إحدى الوظائف التي نهض بها النص القرآني في كلام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)؛ إذ كان الغرض من استدعاء آيات القرآن الكريم هو لإيضاح بعض المفاهيم العقدية والأخلاقية، ويمكننا رصد بعض الأمثلة التي تؤيد ذلك ومنها:

١. من كلام للإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول: "(الحسد حسدان: حسد فتنة وحسد غفلة، فأما حسد الغفلة فكما قالت الملائكة حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ﴾ البقرة: ٣٠. أي اجعل ذلك

[1]. الكليات: الكفوي/ ٢٦٠.

[2]. التعريفات: الجرجاني/ ٥٧.

الخليفة منا ولم يقولوا حسدًا لآدم من جهة الفتنة والرد والجحود، والحسد الثاني الذي يصير به العبد إلى الكفر والشرك فهو حسد إبليس في رده على الله وإبائه عن السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ)" [1].

الحسد هو: "تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح" [2] وقيل هو: "حال في النفس تُثيرها آلاء الله في عباده، وحباؤه لمن اصطفاه من خلقه، ولا تستقر حتى تزول تلك النعم" [3]، وهو أول خطيئة ارتُكِبَتْ في السماء حين حسد إبليس آدم، وأول معصية اقتُرفت على الأرض عندما حسد قابيل أخاه هابيل ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ المائدة: ٢٧، . وقد ذكره القرآن الكريم بوصفه منبع من منابع الشر والفساد قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ الفلق: ٥ ، وحذَّر منه أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في كثير من الروايات الشريفة منها: قول الإمام أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(إنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)" [4]. أي إنَّ الحسد كفيل بزعزعة دعائم الإيمان؛ فكما أنَّ النار تُحَوِّل الحطب إلى رماد فإن الحسد يقضي على الإيمان ويُحَوِّله إلى نفاق وانحراف عن الحق.

وفي كلامنا عن المرجعية القرآنية في كتاب (تحف العقول) نرى في النص الذي أوردناه كيف أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) شرح مفهومًا أخلاقيًا من خلال استدعاء نص قرآني؛ إذ أصبحت الآية الكريمة شارحةً

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٧١.

٢. جامع السعادات: النراقي/ ٢/ ٣٥٢.

٣. الخلق الكامل: جاد المولى بك/ ٤/ ٤١٩.

٤. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ٣٠٦ / كتاب الإيمان والكفر/ باب الحسد/ ٢.

للمعنى؛ ففسَّر الإمام أنواع الحسد من خلال قصة آدم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ومحاورة الملائكة وتكبّر إبليس ورفضه للسجود، فقد قسم الحسد على نوعين: (غفلة، فتنة)، وأنَّ الجذر الأول له هو الاعتراض على التفضيل الإلهي، فربط الإمام النوع الأول بتساؤل الملائكة وأنَّه حسد غفلة عندما استعمل الأداة (أي)التفسيرية، أما النوع الثاني فتمثل بحسد إبليس لآدم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، وعدم امتثاله للأمر الإلهي فهو حسد فتنة والذي يؤدي إلى الكفر والشرك، فمن خلال عملية التقسيم هذه أصبح النص القرآني مُفَسِرًا ومُبَيِّنًا، ودليلاً على رجوع المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) للقرآن الكريم في بيان المفاهيم السلوكية والأخلاقية بوصفه مرجعية عليا، فالإمام(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لم يفسر الكلمات تفسيرًا لغويًا، بل فسَّر العلة النفسية الكامنة وراء اعتراض الملائكة، فالوظيفة التفسيرية هنا نقلت النص القرآني من كونه مجرد قصة عن الملائكة وآدم(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى قاعدة تفسيرية للسلوك البشري، إذ كشف عن الجذور النفسية للحسد.

٢. عن الإمام أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في آدابه لأصحابه أنَّه قال: "(تشمير الثياب طهور للصلاة، قال الله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ المدثر: ٤ أي فشمِّر)" [١].

في النص ينبّه الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى مسألة الطهارة والنظافة والاهتمام بهما من أجل أداء الصلاة، وأنَّها لا تحصل فقط عن طريق الغسل أو الوضوء؛ وإنَّما عن طريق التوقّي من الأقذار والنجاسة عن طريق رفع الثياب عن الأرض، وقد ورد ما يوافق هذا الحديث أيضًا عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّه قال: "(إنَّ عليًا صلوات الله عليه كان عندكم فأتى بني ديوان فاشترى ثلاثة أثواب بدينار القميص إلى فوق الكعب، والإزار إلى نصف الساق، والرداء من بين يديه إلى ثدييه، ومن خلفه إلى إليه، ثم رفع

[١]. تحف العقول: الحرّاني/ ١١٣.

يده إلى السماء، فلم يزل يحمد الله على ما كساه حتى دخل منزله، ثم قال: هذا اللباس الذي ينبغي للمسلمين أن يلبسوه قال أمير المؤمنين(عَلَيْهِ السَّلَامُ): ولكن لا يقدرون أن يلبسوا هذا اليوم ولو فعلنا لقالوا مجنون ولقالوا مرائي والله عزَّ وجلَّ يقول: وثيابك فطهر، قال: وثيابك ارفعها لا تجرها فإذا قام قائمنا كان هذا اللباس)" [1]. فالإمام يوظِّف النص القرآني ليستدل على ذلك، ويبيِّن الهيئة السلوكية وهي عملية تشمير الثياب، فهو لم يُفسّر الآية بالمعنى الظاهري اللغوي، وإنَّما فسَّرها بالتشمير وهو رفع الثوب عن الأرض؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى عدم ملامسته للأقذار والنجاسة في الطريق فيبقى الثوب طاهرًا لأداء الصلاة، وبهذا جاء كلام المعصوم ليصهر البعدين الفقهي والأخلاقي في آنٍ واحد فالرفع سلوك مادي يمنع نجاسة الطريق وهو أيضًا تعبير عن طهارة النفس والابتعاد عن الخيلاء، وقد ورد في تفسيرها أيضًا أنَّه كناية عن طهارة النفس من الصفات المذمومة[2] وبهذا تتجلى المرجعية القرآنية في كلام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وتوظيفه النص القرآني في بيان ظاهرة سلوكية وهي عملية رفع الملابس عن الأرض لئلا تتسخ والمحافظة على طهارتها للصلاة .

٣. روي عن الإمام علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في قصار المعاني (أنَّ رجلاً قال له: ما الزهد؟ فقال (عَلَيْهِ السَّلَامُ):"الزهد عشرة أجزاء: فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع وأعلى درجات

---

١. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٦ / ٤٥٦ / كتاب الزي والتجمل / باب تشمير الثياب / ٢.

٢. ينظر: روح المعاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي/ دار إحياء التراث العربي/بيروت–لبنان/١١٧/٢٩.

الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضـــى، وإنَّ الزهد في آية من كتاب الله ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ) الحديد :٢٣". [١]

قيل في معنى الزهد هو :"الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها من الأموال، والمناصـب وسـائر ما يزول بالموت" [٢]، وهو حالة سـلوكية ونفسـية تقوم على الاعراض عن المنافع الدنيوية وقلة الرغبة في المال مع رسـوخ القناعة بالرزق المقسـوم، والاحتراز من طغيان حب الدنيا ولذّاتها، ويتجلى أيضًـا في ضعف التعلق بالسلطة والمناصب العالية، والاستهانة بزخارف الدنيا، وهو من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين الإسـلامي، وحثَّت عليه الروايات في مواضـع عدة فعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(جُعل الخير كله في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا)، وعن أبي جعفر (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ):( إنَّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا)" [٣] . وهو من سمات أولياء الله فتراهم لا يرون لزخارف الدنيا شـأنًا، ويكفيهم منها قوت يومهم؛ لأنَّهم وطَّنوا أنفسـهم على الصـبر عند فقد النعم الدنيوية؛ فهم يعلمون أنَّها زائلة ولم يتعلقوا بها وهذه المعرفة كانت ضـمن تقدير إلهي حكيم، ومن جهة أخرى فإن تمتعهم بالمقدار المعقول من نعم الدنيا لا يُخرجهم إلى درجة البطر، والاسـتعلاء، والفخر، فهم في حالة توازن نفسي في السراء والضراء، وهذا من أرقى مراتب السلوك والاستقامة [٤].

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٧٨.

٢. جامع السعادات: النراقي/ ٢ / ٢٧٥.

٣. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ١٢٨ / كتاب الإيمان والكفر/ باب ذم الدنيا والزهد فيها / ٢، ٣.

٤. ينظر: تفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور / الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٨٤ م/ ٢٧/ ٤١١.

ويتبيَّنُ لنا من خلال ذلك أنَّ نص الإمام زين العابدين (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قدَّم تعريفًا جامعًا لمفهوم أخلاقي تربوي معقَّد عن طريق اســـتدعاء آية قرآنية واحدة، فقد أعطى تعريفًا دقيقًا للزهد؛ فبعد ذكر المراتب القلبية (ورع ويقين ورضـا)، وضـع معيارًا وضـابطًا لها؛ ولتسـهيل فهمه وتقريبه إلى الأذهان جاء بنص قرآني ليختصـر كل معاني الزهد في (عدم الأسـى على ما فات وعدم الفرح والسرور بالحاضـر)، فجعل من الآية القرآنية المعيار الذي نقيس عليه الزهد بمعناه الحقيقي؛ إذ بدأ بالتفصـــيل (درجات الزهد)، ثم أصَّـــلَ المعنى وجمعه في آية واحدة ممَّا يبرهن على قدرة النص القرآني على تحويل المدلولات الروحية إلى ضـوابط قابلة للفهم والتطبيق؛ فبينما يكون الزهد على درجات متشـابكة مع الورع، واليقين، والرضـا جاء النص القرآني ليحدد المفهوم الجامع للزهد، فهو لم يؤدِّ دورًا وعظيًا فحسب، وإنَّما أدّى وظيفة بيانية اختزلت درجات الزهد في حالة نفســـية تمثلت بالتســـليم وعدم الجزع عند فقدان النعم، واجتناب البطر والخيلاء والفرح في حال حصول النعمة .

## المطلب الثاني: الوظيفة الاستدلالية والحجاجية:

في هذا المطلب ننتقل من الإيضـــاح والبيان إلى الدليل والبرهان؛ لأنَّ القرآن الكريم هو النص القطعي الذي لا شك فيه ولا يُرد وهو فصل الخطاب، وتُعَدُّ الوظيفة الاستدلالية من أقوى وظائف النص القرآني في كلام المعصومين (عَلَيۡهِمۡ ٱلسَّلَامُ)؛ لأنَّهم يرجعون إليه بوصفه قوة برهانية لإفحام الخصوم وتثبيت الحجة فهو الدليل الذي لا يقبل الشـــك، فمن خلاله ينتقل ذهن الســـامع من حالة الشـــك إلى اليقين،

فالاحتجاج مأخوذ من الحُجَّة وهي الدليل أو البرهان على صحة الدعوى[١]، والاستدلال هو: "تقرير الدليل لإثبات المدلول" [٢] ، وسنختار بعض النصوص أمثلةً على ذلك:

١. **صيام المسافر**: من كلام الإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في آدابه لأصحابه: "(ليس للعبد أن يسافر إذا حضر شهر رمضان لقول الله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة:١٨٥ )" [٣] .

الصيام من الواجبات المفروضة في الدين الإسلامي، وقد فرضه الله تعالى في السنة الثانية للهجرة [٤]، ويعني: الكف عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس [٥]، وهو ركن من أركان الدين، يحقق تكاملًا روحيًا وجسديًا للمكلف[٦] وله أحكام كثيرة تُطلب من كتب الفقه، ومعنى شهد الشهر: (حضر)، أي من كان حاضرًا في محل إقامته فيجب عليه الصيام[٧] وبالرجوع إلى قول الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نرى أنَّه بصدد إصدار حكم، فهو يقرر حقيقة فقهية واستدعى نصًا قرآنيًا ليكون دليلاً شرعيًا ملزمًا، فالإمام لم ينه عن السفر فحسب، بل ربطه بمرجعية قطعية، فجعل

---

١. ينظر: التعريفات: الجرجاني/ ٧٣.

٢. المصدر نفسه: ١٨.

٣. تحف العقول: الحرّاني/ ١٠٤.

٤. ينظر: تأريخ الطبري: الطبري/ ٢ /٤١٧.

٥. ينظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي [أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٠٢_ ٦٧٢هـ) / تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال/ط٣/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ إيران_ قم المقدسة/ ١٤٢٦هـ/ ٢١٤/١.

٦. ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري/ ط٥/ النجف الأشرف/ ٣/ ٣.

٧. ينظر: التبيان: الطوسي/ ٢ / ١٢٣؛ وينظر: تفسير الصافي: الفيض الكاشاني(١٠٩١هـ)/١ / ٣٣٨؛ وينظر: من هدي القرآن: السيد محمد تقي المدرسي /ط٢ /١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م / ١ / ٢٧٨.

الآية هي الحجة التي بنى عليها النهي ممّا يُغْلِق الباب أمام التأويل؛ لأنَّ النص القرآني صـــار علةً للحكم وشرطًا للامتثال.

٢. **العمى المعنوي:** من كتاب الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى أحد أصحابه: "(فاعلم يقينًا يا إسحاق أنَّه من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، يا إسحاق ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله في محكم كتابه حكاية عن الظالم إذ يقول:﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه: ١٢٥، ١٢٦)".[١]

تتناول الآيات المباركة مشهدًا من مشاهد يوم القيامة وهو: حشر المجرمين بصفة العمى، والعمى المذكور ليس فقد البصر الحسي، بل هو العمى عن طريق النور والهداية، أو العمى عن الأشياء التي يُسَّرُ بها، ورؤية ما يسوء ويزيد في العذاب، وهناك فرق بين عمى البصر وعمى البصيرة، فمن سُلِبَ بصيرة القلب فهو الأعمى في الآخرة؛ لأنَّه كان في الدنيا فاقدًا لها، أما البصر الحسي فقد يُسْلَب منه في حالات معينة ومواطن خاصة عقوبةً له، وهذا من باب أنَّ الجزاء يكون من جنس العمل، فكما عَميت البصائر في الدنيا عن رؤية الحق فهي في الآخرة تعمى عن كل ما يَسرُّها، والتعبير في هذه الآيات قمّة في البلاغة؛ فالوصف بالعمى رغم الرؤية الحسية هو ضياع وخسران؛ لأنَّ هذا البصر لا ينفع ولا يهدي، فوجوده كعدمه في ذلك الموقف[٢].

---

[١]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٨٤.

[٢]. ينظر: الميزان: الطباطبائي/ ١٤/٢٢٥، ٢٢٦.

ويتبيَّن لنا من ذلك أنَّ الإمام العسكري (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في هذا المقطع هو بصدد إثبات حقيقة غيبية والبرهنة عليها وهي عمى القلب، وأنَّها تمثل العمى الحقيقي؛ لذا استدعى نصًا قرآنيًا ليكون حجة قطعية لتقرير المصير الأخروي بناءً على سلوك الإنسان في الدنيا، فالإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وظَّف الآيات الكريمة لإقامة برهان شرعي على أنَّ العمى في منطق القرآن ليس فقدان البصر، بل هو نسيان آيات الله والمقصود بها فرائضه وأحكامه، وهذا يُعضّده ما ورد عن "(معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: سألته عن رجل لم يحج قط وله مال قال: هو ممن قال الله: ﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾ طه: ١٢٤ قلت: سبحان الله أعمى؟ قال: أعماه الله عن طريق الجنة)" [1] ؛ وبهذا أصبح النص القرآني مستنَدًا برهانيًا نَقَل الخطاب من مجرد الموعظة والإرشاد إلى رتبة الإلزام الشرعي.

٣. من كلام للإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر: "(... وقد قال الله لقوم أحبَّ إرشادهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء:٥٩، وقال: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣، فالرد إلى الله تعالى الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول (ﷺ) الأخذ بسنته الجامعة غير المتفرقة، ونحن أهل

[1]. تفسير القمي: القمي/ ٢ / ٦٦.

رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ونميّز المتشابه منه، ونعرف الناسخ مما نسخ الله ووضع إصره)"[1].

هذا النص يتحدث عن مبدأ الطاعة، وتعني امتثال الأمر، فطاعة الله تعالى هي الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وكذلك طاعة الرسول تتم من خلال امتثال أوامره وهي امتداد لطاعة الله تعالى لأنّه أمر بذلك، وهذه الطاعة تكون حتى بعد وفاته أيضًا وذلك باتباع سنته، وفي طاعة أولي الأمر خلافٌ، فقيل: إنَّهم الأمراء وقيل: العلماء وقيل: الأمة، وغيرها من الأقوال وقد فُصِّلَ القول في ذلك في تفسير الأمثل فتعرَّض مؤلِّفه إلى جميع تلك الآراء وناقشها [2]. والرأي الأرجح عند علماء مذهب أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) كما ورد عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ) أنَّهم الأئمة من آل الرسول (ﷺ)؛ وذلك لوجوب طاعتهم بالإطلاق؛ لعصمتهم وعدم صدور الغلط والسهو منهم [3]. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن جابر الجعفي قال: "(سألت أبا جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) عن هذه الآية ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ النساء: ٥٩ قال: الأوصياء)" [4].

وفي هذا المقطع من عهد الإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لمالك الأشتر نجد أنَّه وظَّف النص القرآني توظيفًا محكمًا، فهو لا يتحدث عن موعظة عابرة، بل عن مبدأ الرد عند التنازع ووجوب طاعة الله

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ١٣٤، ١٣٥.

[2]. ينظر الأمثل: الشيرازي/ ٣ / ١٩٤ وما بعدها.

[3]. ينظر: التبيان: الطوسي/ ٤ / ٥٠٢، ٥٠٣؛ وينظر: مجمع البيان: الطبرسي/ ٣ / ١١٤؛ وينظر: تفسير من وحي القرآن: آية الله السيد محمد حسين فضل الله / ط٢ / دار الملاك / بيروت – لبنان / ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م / ٧ / ٣٢٤.

[4]. كتاب التفسير: لأبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي [العياشي] / تحقيق: السيد باسم الرسولي المحلاتي / المكتبة العلمية الإسلامية / طهران – سوق الشيرازي / ١ / ٢٤٩.

تعالى ورسوله وأولي الأمر فاستحضر الآيات المباركة في هذا الشأن ليثبت حق أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في عملية الاستنباط؛ فهم المرجعية العلمية للأمة، وقد حدد النص أيضًا منهج الرد، "فالرد إلى الله تعالى الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة" [1]، كذلك فإن النص يُبرز وظيفة أهل البيت(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في القدرة على التمييز بين المحكم والمتشابه، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، فهذا النص يُثبت أنَّ الرجوع في جميع النزاعات المعرفية، والفكرية، والدينية، وغيرها لابدَّ أن يكون لجهة محددة، وبيَّن الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنَّ القرآن الكريم والسنة هما كتلة واحدة لا تتجزأ، والنص القرآني هو المحكم الذي يُرْجَع إليه في كل شيء، فنرى أنَّ الآيات الشريفة كانت دليلاً قطعيًا على إثبات قدرة أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على فكِّ مغاليق النص القرآني، وتحديد هوية المرجعية العلمية والعملية للأمة، ونفي أي بديل عن هذا التأصيل الإلهي، لأنَّ الخروج عن ذلك هو خروج عن مقتضى الإيمان.

وينكشف لنا من ذلك أنَّ وظيفة القرآن الكريم في الخطاب الديني لم تكن زينة لفظية أو بلاغية فحسب، بل تُمَثِّل ركيزة حجاجية لبناء الأحكام وللفصل في النزاعات، فالنص القرآني يُسْتَثمر كأداة لضبط الفهم، ومنع الانزلاق إلى الأهواء والمرجعيات البعيدة عن الوحي، كما يُبرز لنا هذا المقطع عملية الإقناع المقرونة بالإلزام، فهو لا يخاطب المتلقي من جهة العاطفة وحدها، بل يضعه أمام النتائج المترتبة على القبول أو الرفض.

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ١٣٤، ١٣٥.

٤. **تزكية النفس**: فيما ورد عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) من حكم ومواعظ: "(قال سفيان* قلت لأبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): يجوز أن يزكّي الرجل نفسه؟ قال: نعم إذا اضطرَّ إلى ذلك أما سمعت قول يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ يوسف: ٥٥، وقول العبد الصالح: ﴿أَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ٦٨﴾ الأعراف: ٦٨ )"[١] . ورد عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في معنى قول يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ يوسف: ٥٥ قال: "(حافظ لما في يدي عالم بكل لسان)" [٢].

وتدل الآية الأولى على طلب النبي يوسف (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) تولّي شؤون خزائن المملكة من الأموال والأقوات، وقد عبَّر بلفظ الأرض كناية عن اتساع دائرة المسؤولية وعموم الولاية، وإنَّ يوسف (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) طلب ذلك للمصلحة العامة؛ لأنَّه يملك القدرة على صيانة الأموال وحسن التدبير، ولم يكن طلبه بدافع الرغبة في المال أو الجاه، بل كان تولّيه للمنصب تحقيقًا للعدل والمساواة والحفاظ على ثروات البلاد، ويشير في قوله: "حفيظ عليم" إلى أنَّه يمتلك صفتين تؤهلانه لتولّي هذه المسؤولية وهما: حفظ الأمانة وصيانة الأموال من الضياع، وكذلك المعرفة بوجوه التصرف السليم فيها، وفي الآية دلالة على جواز

*. هو "أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري"، ولد سنة ٩٧هـ، من كبار محدثي العامة، وتوفي سنة ١٦١هـ بالبصرة. ينظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان/تحقيق: إحسان عباس/دار صادر/ بيروت/٢/ ٣٩٠.

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٧٤.

٢. العياشي:٢ / ١٨١؛ وينظر: البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني / تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين / ط٢/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان /١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م/٤ /١٩٢.

تولّي الصالح للمناصب العامة وطلبها إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك، وليس بقصد المنافع الشخصية [1] .

أما الآية الثانية ﴿ أَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأعراف: ٦٨ التي وردت في النص فقد ورد في معناها: "إنّي ناصح لكم فيما أدعوكم إليه من طاعة الله وإخلاص عبادته، وقيل: إنَّ معناه إنّي كنت فيكم أمينًا قبل النبوة، والنصح: إخلاص المعاملة من شائب الفساد في النية، والأمين: المأمون من أن يكون منه تغيير له أو تبديل، وفي الآية دلالة على أنَّه يجوز للإنسان أن يزكّي نفسه عند الحاجة إليه" [2] .

ويتبيّن لنا من خلال ملاحظة النص كيف تجلّت الوظيفة الحجاجية والاستدلالية في جواب الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لسفيان الثوري، فالإمام هنا في مقام إثبات جواز تزكية النفس في حال الضرورة، فقد استدعى الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) النص القرآني بوصفه حجة شرعية لإثبات مشروعية هذا السلوك، فالسؤال يحمل شبهة وهي: إنَّ تزكية النفس في الأصل فيها شيء من الرياء وهي صفة مذمومة، إلا أنَّ الإمام أنشأ هذا الحكم (جواز تزكية النفس) بناءً على استدلال قرآني، وهو دليل نقلي صريح على جواز التعريف بالكفاءة الذاتية عند توقف المصلحة العامة على ذلك، مستشهدًا بفعل نبي معصوم وهو يوسف (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، ثم عزَّز الحجة بقول نبي آخر وهو هود (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) ليرسّخ المبدأ ويثبت أنَّ الإخبار عن الصفات الممدوحة للنفس إذا كان بقصد اثبات الحجة ودفع الشبهة، فلا يدخل ضمن التزكية المذمومة،

---

[1]. ينظر: التبيان: الطوسي/ ٦ / ١٥٧.

[2]. المصدر نفسه: ٤ /٤٤٣، ٤٤٤.

فالنص القرآني هنا أدى وظيفة التأسيس التشريعي والتعليل؛ إذ انتقل الخطاب من حكم عام قد يُتَوهم تعارضه مع الأخلاقيات العامة، إلى حكم مؤسَّس ومنضبط ومستند إلى نماذج معصومة، وبهذا كان النص القرآني مرجعًا استدلاليًا حاسمًا أقنع السائل وأسكت الاعتراض المحتمل .

## المطلب الثالث: الوظيفة التربوية والتوجيهية (التهذيب السلوكي):

تُمَثِلُ هذه الوظيفة الثمرة الحقيقية لكتاب (تحف العقول)؛ فنصوصه أغلبها مواعظ وحكم وتُعَدُّ دستورًا أخلاقيًا، فالنص القرآني يمنح الموعظة صبغة الوجوب والقداسة، وله أثر في تقويم السلوك الإنساني، وتتجلى المرجعية القرآنية في مواعظ أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) بوصفها المنبع الأساس للتربية والتقويم والتوجيه السلوكي، فلا يقتصر حضور النص القرآني على البعدين التفسيري والحجاجي فحسب، بل يأتي ليؤدي دورًا تربويًا فاعلاً هدفه بناء الإنسان المنضبط والواعي، فالقرآن الكريم يُستدعى ليؤسس منظومة أخلاق متكاملة، ويُرَسِّخ المبادئ السلوكية التي تُهَذِّبُ النفس وتُقَوّمُ الفعل الإنساني. ونلاحظ أنَّ خطاب المعصوم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في كتاب (تحف العقول) يوظِّف الآيات المباركة توظيفًا مقصودًا؛ إذ يعتمد أسلوبًا غير مباشر في التوجيه يقوم على التنبيه والتحذير والموعظة، مما يؤدي إلى تحقيق أثر تربوي عميق ودائم، وهذا في نظرنا هو لُبُّ الكتاب، والغرض الرئيس من تأليفه. وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المطلب من خلال جملة من الأمثلة .

١. قال الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغرور بالستر عليه، وكم من مفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله عبدًا بمثل الإملاء له قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۖ ﴾ آل عمران: ١٧٨)" [١].

الاستدراج هو: "أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتًا فوقتًا إلى اقضاء عمره للابتدال بالبلاء والعذاب" [٢]، وهو من السنن الإلهية وعقاب للكفار والعاصين؛ فالله سبحانه يستدرجهم بإن يُغْدِق نِعَمَهُ عليهم، ممّا يجعلهم يتمادون في الكفر والعصيان وهم غافلون عن العذاب الذي يتم استدراجهم إليه، وهذه السنة الإلهية لصيقة بالإمهال فالله تعالى يُمهِل الكفرة والعصاة استدراجًا واختبارًا ولكنه لا يهملهم، وفي هذا الإمهال عِظَة وعبرة لغيرهم؛ لذا يجب على الإنسان أن لا يغتر بالنعم وأن يعلم أنَّ تواتر هذه النعم ماهي إلا استدراج له وزيادة في الإثم ويتبعه عذاب مهين وهذا مقتضى السنة الإلهية،[٣] وقد جاء في تفسير هذه الآية "ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله أنَّ إملاءنا لهم خير لأنفسهم، ويعني بالإملاء: الإطالة في العمر والإنساء في الأجل" [٤]، وإنَّ تتابع النعمة على الفرد وهو مقيم على العصيان ما هو إلا إبلاغ للحجة [٥].

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٠٣.

٢. التعريفات: الجرجاني/ ٢٠.

٣. ينظر: الميزان: الطباطبائي/ ٤ / ٨٢؛ وينظر: سنة الله في الاستدراج والإملاء _ دراسة قرآنية _ / د. عمر حيدوسي / كلية العلوم الإسلامية / جامعة باتنة /بحث منشور: مجلة الإحياء / العدد: ١٩/ ٢٠١٦ م / ٨٠.

٤. تفسير الطبري: الطبري/ ٣ / ٥٤٦.

٥. ينظر: سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: علي الجندي وآخرون / مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة / ١٩٦٧ م / ٣٨٣ / هامش ٥.

وفي النص السابق للإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) تنبيه على ضرورة الوعي بأنَّ طبيعة الابتلاء بالنعم يُعَدُّ ركيزة أساسية للعلاقة بين العبد وربه؛ فالعطاء الإلهي ليس دليلاً على الرضا دائمًا؛ بل ربَّما يكون استدراجًا؛ لذا يجب الحذر من ثلاثة مزالق تصيب الفرد؛ فقد يكون الإحسان الإلهي والستر وحسن الثناء هي فتنة تُغري بالتمادي في الخطأ وتوقع الفرد في فخ العجب، فالله سبحانه قد يُغدق على عباده بالنعم ويسترهم عن الناس اختبارًا لهم وإقامة للحجة عليهم، فإنَّ توالي النعم ربّما هو وسيلة لإغراء النفس بالاطمئنان وليس علامة قبول، وقد يكون الستر الإلهي إمهالاً وليس دلالة على الرضا، وقد يكون الثناء والمدح سببًا في تضليل الفرد عن حاله في الحقيقة، أما الإملاء فهو أخطر الابتلاءات؛ فهو يأتي بلباس النعمة؛ لكنه في الواقع امتحان للبصيرة والوعي [1] . ومن خلال ذلك نرى كيف تتجلى الوظيفة التربوية للنص القرآني في هذه الموعظة، فالإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) جعل القرآن الكريم مرجعية تقويمية لسلوك الفرد؛ فهو يُصحح المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بالإحسان الإلهي والستر والمدح، فالخطاب لم يكتفِ بالوعظ؛ بل أنشأ وعيًا أخلاقيًا لتحصين الفرد من الاغترار بالمظاهر، ودعا إلى المحاسبة الذاتية وعدم الركون إلى المقاييس الظاهرية، فاستحضار النص القرآني عزّز مفهوم الوعي الذاتي، فينبغي أن يكون الإحسان باعثًا على الخوف ومراجعة النفس بدلاً من الغفلة، والستر دافعًا للتوبة لا مصدرًا للأمان الزائف.

[1]. ينظر: شرح حكم نهج البلاغة: الشيخ عباس القمي (١٣٥٩ هـ) / دار الأنصار / إيران_ قم /١١٦.

٢. قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) "لرجل تجاوز الحد في التقشف:( يا هذا أما سمعت قول الله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ الضحى:١١، فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالكها بالمقال)" [١] .

تُعَدُّ عملية التحديث بنعم الله تعالى من الممارسات الإيمانية التي تتجاوز البعد اللفظي؛ إذ تُشَكِّلُ نسقًا تربويًا ذا أثر فعال في صياغة شخصية الفرد المسلم؛ فعملية استحضار النعم وإظهارها شكرًا وثناءً تُمَثِّلُ مظهرًا من مظاهر الارتقاء في سُلَّم العبودية للوصول إلى التكامل، فالعبد الذي يُظهر نعم الله تعالى عليه سيُقِرُ بافتقاره إليه ممّا يُرسِّخ مفهوم العبودية، واظهار النعم يخلق حالة من التوازن النفسي؛ لأنَّ الانشغال بتعداد النعم الإلهية الحاضرة يُقلل من الشعور بالنقص والحرمان؛ فعندما يتعرض الإنسان لفقد نعمة ما يقوم بتفعيل آلية الشكر كوسيلة دفاعية تخفف من وطأة الألم النفسي وذلك بالنظر إلى النعم الأخرى المتبقية، فالذي يُديم ذكر نعم الله تعالى عليه يصبح بمنأى عن القنوط واليأس، ويكون أقوى وأكثر قدرة على مواجهة التحديات وتجاوز الأزمات، ويمنحه الرغبة في المسارعة إلى إغاثة المحرومين [٢] . وقد ورد في تفسير الآية الكريمة: أي حدّث بما أمرك الله به من صلاة وزكاة وصوم وحج وولاية وبفضل الله عليك [٣] . والتحديث: "الإخبار، أي أخبر بما أنعم الله عليك اعترافًا بفضله وذلك من الشكر" [٤]. ونعم الله تعالى على نبيه كثيرة منها نعمة القرآن الكريم، ونعمة الرسالة، ونعمة

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٢٢.
٢. ينظر: الأمثل: الشيرازي/ ٢٠ / ٢٢٣.
٣. ينظر: تفسير القمي: القمي/ ٢/ ٤٢٨.
٤. التحرير والتنوير: ابن عاشور/ ٣٠ / ٤٠٣.

الاصطفاء، وغيرها، والتي أُمِرَ بالتحديث بها وتبليغها للناس [1]. وهذه الآية ليست خاصة بالنبي الأكرم (ﷺ)؛ بل تشمل عامة المسلمين [2]، فإظهار نعمة الله على العبد وشكرها يتمثل بالقول والعمل؛ إذ ورد عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أحاديث كثيرة في الحثِّ على ذلك منها: عن أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنَّه قال: "(إنَّ الله جميل، يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: إني لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها)" [3].

وبالرجوع إلى النص السابق عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوجه الرجل الذي أفرط في التقشف إلى عدم المبالغة في ذلك وأن ينظر إلى النعم الإلهية نظرة متوازنة، فلا إسراف ولا اقتار، بل إظهارها بالشكر، والاعتراف بها، وتجسيد ذلك من خلال الملبس والمأكل، وحسن الاستغلال لها عن طريق الإحسان إلى الغير وتقديم المعونة المادية والمعنوية، فمن رُزِقَ نعمة المال عليه الإنفاق على نفسه وأهله بما يُرضي الله ومساعدة الآخرين، ومن كانت نعمته الجاه والسلطة فعليه أن يؤدي شكرها بأن يكون عونًا لإخوانه ومساندتهم فيما يحتاجون إليه، ومن تفضل الله عليه بالعلم فعليه أن يؤدي شكر ذلك بتعليم غيره، فإنَّ إظهار النعم بالأفعال أحبّ إلى الله من إظهارها بمجرد الكلام بدون أثر، فالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وظَّفَ النص القرآني لتصحيح مفهوم تربوي خاطئ؛ فالحديث عن النعم ليس باللفظ فحسب، بل بظهور أثرها على هيئة الفرد وأسلوب حياته، وفيه توجيه نحو الاعتدال

---

[1]. ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠ /٤٠٤.

[2]. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/تحقيق: هاشم سمير البخاري/دار عالم الكتب/ الرياض/٢٠ /١٠٢.

[3]. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٦ / ٤٣٨، ٤٣٩ / كتاب الزي والتجمل والمروءة / باب التجمل وإظهار النعمة / ١، ٩.

والتوازن؛ وبهذا تبرز الوظيفة التربوية للنص القرآني في بناء الشـــخصـــية المتوازنة، ورفض الابتذال، والدعوة إلى إظهار نعم الله تعالى على عبده.

٣. من وصية الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): "(لا يكون العبد مؤمنًا حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنة من الله، وسنة من رسوله وسنة من الإمام، فأما السنة من الله عزَّ وجلَّ فهو أن يكون كتومًا للأســـرار، يقول الله جلَّ ذكره: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ الجن: ٢٦، وأما التي من رســـول الله فهو أن يداري الناس ويعاملهم بالأخلاق الحنيفية، وأما التي من الإمام فالصبر في البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج)" [١].

كتمان السر: هو من الأفعال المحمودة، ويُعَدُّ من جملة الصفات الكمالية التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان[٢] "والكتمان نقيض الإعلان" [٣]، فمن كانت صفته المحافظة على أسرار الآخرين واحترام خصوصياتهم فهو ممّن وصفتهم الروايات الشريفة ب"(...مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ليســوا بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرائين...)" [٤] وعن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أيضًـــا: "(قولوا الخير تُعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عُجُلاً مذاييع، فإن خياركم الذين إذا نُظر إليهم ذُكر الله، وشـــراركم المشـــاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبرآء المعايب)" [٥] فالدين الإسـلامي يهتم بترويض النفس على الصـفات الممدوحة، والأخلاق النبيلة التي تبني شـخصـية

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣١٢.
٢. ينظر: الطريق إلى الله: حسين البحراني/ ٩٣.
٣. كتاب العين: الفراهيدي/ مادة (كتم) / ٤/ ١١.
٤. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ٢٢٥ / كتاب الإيمان والكفر/ باب الكتمان /١١.
٥. المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٥ / كتاب الإيمان والكفر/ باب الكتمان /١٢.

الفرد المسلم، ويضع معايير عملية للتعامل مع الذات ومع المجتمع، إذ يجب على الفرد المسلم أن يترفع عن إفشاء الأسرار وإذاعتها بين الناس؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى هدم الروابط البينية للمجتمع الإسلامي، وانعدام الثقة ممّا يؤدي إلى انهيار المجتمع، فلا يليق بالمؤمن أن يُخبر بكل ما يعلم من أسرار؛ بل عليه الكتمان والستر فإذا اطلع على سر ما أو كُلِّف بحفظه من شخص ما، فهذه تُعَدُّ أمانة وَجبَ عليه الحفاظ عليها؛ وفي النص الذي أوردناه سابقًا من وصية الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نجد أنَّه يركّز على أمر مهم وهو، أنَّ الإنسان المؤمن عليه أن يتحلى بصفة إلهية وهي، (الكتمان)، وصفة نبوية وهي مداراة الناس والتعامل بالأخلاق الحسنة، وصفة من الإمام وهي الصبر وانتظار الفرج، واستدعى دليلاً قرآنيًا لتأكيد ذلك، وليجعل من حفظ السر سُنّة ضرورية يجب التحلي بها، تأسيًا بالخالق عزَّ وجلَّ فكما أنَّه اختص بعلم الغيب ولا يمكن لأحد أن يطّلع عليه إلا من كانت لديه مؤهلات ربانية وفي حالات خاصة وليس مطلق الغيب، فيجب على المؤمن أن يتمثّل هذه الصفة في حياته فيكون كتومًا للسر، وليس المراد من هذه الصفة مجرد الإخفاء الظاهري، بل هو خُلُقٌ مركب يقوم على صيانة اللسان وضبط النفس وحسن التقدير للمواطن التي ينبغي فيها الكتمان أو الإعلان[1]، وبهذا تحوّل النص القرآني من نص عقائدي إلى نص توجيهي مؤسس لفضيلة الكتمان، فنرى أنَّ الإمام(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لم يقتصر على تقديم صفة الكتمان كنصيحة أخلاقية فحسب، وإنَّما أصَّل ذلك قرآنيًا وربطه بصفة إلهية ثابتة؛ إذ استحضر الآية القرآنية لأجل رفع قيمة السلوك الإنساني من مستوى العادة إلى مستوى الوظيفة الإيمانية النابعة من القرآن الكريم. وفي ظل التطور المعلوماتي والثورة الرقمية المعاصرة يحتاج الفرد المؤمن إلى الرجوع إلى هذه الركيزة التربوية، فالعالم اليوم يعيش واقعًا تسيطر عليه وسائل تواصل

[1]. ينظر: الطريق إلى الله: حسين البحراني/ ٩٥.

متعددة، وسادت ثقافة كشف الخصوصية؛ إذ يندفع الفرد بشكل طوعي لكشف أسراره وتفاصيل حياته، بل وحتى ما يدور في نفسه من أجل الشهرة أو الافتخار على الغير، ممّا يؤدي إلى حدوث مشاكل كثيرة، فنجد الكثير من حالات الابتزاز والجرائم الإلكترونية، والتفكك الأسري يعود سببها إلى إفشاء الأسرار والاطلاع المفرط على الخصوصيات، وهذا لا يمكن تجاوزه إلا بالرجوع إلى التربية القرآنية، فإذا كان الخالق بعظمته وغناه عن خلقه يحفظ أسرار ملكوته، ولا يُظْهِرُ عليها إلا من ارتضاه لذلك من الرسل والأنبياء، فالإنسان أحوج إلى حفظ أسراره ليحفظ كرامته ويعيش في أمان في وقت تسعى فيه شركات عالمية كبرى لاستغلال خصوصيات الناس لأغراض مختلفة، فالمؤمن الذي يستن بسنة الله في كتم أسراره في ظل فوضى الإعلان والكشف عن الخصوصية سيكون في مأمن، ويسهم في إعادة بناء الثقة في المجتمع، كما أنَّ هذه الصفة ترتبط بحسن التدبير؛ لأنَّ الإعلان عن بعض الأمور قبل أوانها قد يؤدي إلى نتائج سلبية، في حين أنَّ الكتمان يحقق مصالح راجحة، وبهذا تكون هذه الصفة جزءًا من منظومة متكاملة من العقل والأخلاق، والموازنة بين المصلحة والمفسدة ومجاهدة النفس، وتعويدها على الصمت في مواضع معينة [1].

٤. **مكافحة الغيبة**: عن الإمام أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(إياكم والغيبة فإن المسلم لا يغتاب أخاه وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات:١٢)" [2].

---

[1]. ينظر: الطريق إلى الله: حسين البحراني/ ٩٣.

[2]. تحف العقول: الحرّاني/ ١١٢.

تُعَدُّ الغيبة من أسوء آفات اللسان وهي: "ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه، وقيل هي أن يذكر الغير بما يكرهه لو بَلَغَه، سواء كان ذلك بنقص في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله أو في أفعاله المتعلقة بدينه أو دنياه ..." [1]، وقد ورد تعريفها على لسان المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في أكثر من موضع منها ما ورد عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قوله: "(الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه)" [2]. وهي من الذنوب المحرمة بالإجماع، ومن الكبائر الموبقة التي نص الله تعالى ورسوله على ذمِّها وتَوَعَّدَ صاحبها بالعذاب، والسبب الذي يوجب التشديد في النهي عنها وجعلها من المعاصي العظيمة هو: أنَّها تشتمل على المفاسد الكلية التي تنافي ما أراده الله تعالى من اجتماع النفوس على طاعة الله والالتزام بالأوامر واجتناب النواهي، وهذا لا يتم إلا عن طريق التعاون والتعاضد بين البشر؛ لأنَّ في اجتماعهم وتصافي قلوبهم على الألفة والمحبة يُصَيِّرُهُم بمنزلة العبد الواحد في الطاعة، فإذا كانت الضغائن والأحقاد منتشرة بينهم_ والغيبة هي التي تثير تلك الضغائن_ فهذا ينافي المقصود الكلي، ويؤدي إلى مفسدة عامة. والغيبة نوعان: منها ما هو ظاهر معلوم، ومنها ما هو خفي كما في التعريض كقول أحدهم: لا أحضر مجالس السلاطين، لا آكل مال اليتيم، إشارة إلى من يقوم بذلك، أو الإيماء إلى نقص في غيره ولو بحضرته، والأخفى من ذلك ذم النفس بصفة غير محمودة ليست فيه ليُنَبّه على عورة غيره [3] . فالغيبة ليست في اللسان فقط، بل تتحقق بكل فعل يُظهِر النقص كالمحاكاة

---

[1]. التبيان: الطوسي/ ٩ /٣٥٠؛ وتفسير القرطبي: القرطبي/ ١٦ / ٣٣٥؛ وجامع السعادات: النراقي/ ٢/ ٤٠٩.

[2]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ٣٥٨ /كتاب الإيمان والكفر/ باب الغيبة والبهت / ٧.

[3]. ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المولى محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) / ط٢/ دار الكتب الإسلامية / ١٠ / ٤٠٩ / ٤٢٨.

أو الكتابة وغير ذلك. ويشترك في الإثم كل من المغتاب والسامع للغيبة، إلا أن يمتنعَ عن السماع بأن يترك المجلس، أو يُنكرَ ذلك قولاً أو بقلبه إذا لم يقدر على ذلك [1].

وللغيبة أسباب منها: "شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه، وتهمة، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجّب وتبرّم وتزيّن" [2]. والغيبة تمحق الحسنات؛ فعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "(الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه)" [3]، ولذا فهي من المهلكات العظيمة وتؤدي إلى كسر أواصر المحبة والإخاء بين الأفراد، وتهدم المروءة.

وفي ظل الانفتاح على العالم الرقمي نرى أنَّ الغيبة لم تعد مجرد كلمات تُهمس في المجالس بين عدد محدود من الأشخاص، بل تحولت إلى تسجيلات صوتية وصور تنتقل عبر الفضاء الرقمي أسرع من لمح البصر، أدى ذلك إلى سهولة تتبع العثرات، وهتك الأعراض، إذ يختبئ الفرد خلف لوحات التحكم متجاهلاً أثر الكلمة فهو لا يُدرك أنَّ ذلك أشد فتكًا وأعظم وزرًا؛ لأنَّ الكلمة قد تصل إلى الملايين من البشر، لذا يجب أن يكون الوازع الديني حاضرًا، وأن يُحَكِّم الإنسان ضميره، فلا ينزلق في مستنقع الغيبة؛ لأنَّ حرمة الإنسان ثابتة ولا تتغير مهما تغيرت الوسائل. ومن خلال النص الذي تقدَّم عن الإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نجد كيف تجلّت الوظيفة التربوية للنص القرآني؛ عبر الصورة الفنية لتقبيح هذا السلوك المذموم، فالهدف من استحضار الآية الكريمة هو إحداث صدمة لتنفير النفس من الغيبة

---

[1]. ينظر: جامع السعادات: النراقي/ ٢ / ٤١٢.

[2]. مرآة العقول: المجلسي/ ١٠ / ٤١٣.

[3]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ٣٥٧/ كتاب الإيمان والكفر/ باب الغيبة والبهت / ١.

وهي أكل لحم الأخ ميتًا؛ فلم يكتفِ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بالنهي المجرد، بل عزَّز ذلك بنص قرآني صريح ليمنح الخطاب قوة تأثيرية مما يسهم في تقويم سلوك الأفراد وفق الثوابت القرآنية.

يمكننا القول في ختام هذا المبحث أنَّ وظائف النص القرآني (البيانية التفسيرية، والاستدلالية الحجاجية، والتربوية التوجيهية) شكَّلت منظومة متكاملة في فكر أهل البيت(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" فالوظيفة البيانية نجحت في ايضاح المفاهيم التربوية والفقهية وتفسير مقاصدها، أما الوظيفة الحجاجية والاستدلالية فقد تولّت مهمة ترسيخ الجانب البرهاني للنص عبر الاستناد إلى القرآن الكريم لمعالجة القضايا الفقهية، بينما تكفّلت الوظيفة التربوية ببناء الوعي وتوجيه السلوك عن طريق إعادة بناء الذات وفق القيم القرآنية الثابتة، وكانت الوظيفة الأكثر حضورًا هي الوظيفة التربوية والتوجيهية، بحكم طبيعة الكتاب والغرض من تأليفه، وبهذا تتجلى المرجعية القرآنية في خطاب النبي والعترة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول".

# الفصل الثاني

المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع .

- المبحث الأول: دور المرجعية القرآنية في تفعيل الحجة الباطنة (العقل) وبناء الفكر .
- المبحث الثاني: المرجعية القرآنية في بناء المنظومة الأسرية والرعاية الحياتية .

# المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع.

يُعدُّ خطاب المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) دستورًا عمليًا لتقويم المسارات الحياتية للفرد والمجتمع؛ لأنَّهم يستلهمون أدواتهم من المعين الذي لا ينضب وهو القرآن الكريم، فبعد أن تبيَّنت في الفصل الأول منهجية العترة الطاهرة في استحضار النص القرآني، نشرع في هذا الفصل بتسليط الضوء على المرجعية القرآنية في البعدين المعرفي والواقعي؛ إذ لم تتوقف وظيفة النص القرآني عند حدود التربية والتوجيه أو بيان المفاهيم، بل مَثَّلَ طاقة محرِّكة للعقل البشري، وقاعدة متينة تُبنى عليها الحجج والبراهين المنطقية. وامتد الأثر القرآني ليشمل تنظيم شبكة العلاقات في المجتمع، وضبط الحقوق والواجبات ليصل إلى أدق التنبيهات الوقائية التي تُسهم في حفظ التوازن البدني والمعيشي، لذا سنقوم في هذا الفصل ببيان الكيفية التي استنطق بها المعصومون (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) الآيات الكريمة ليجعلوا منها منهجًا يسوس العقل، ويحمي النفس، ويُدير المجتمع، ليحققوا بذلك الوحدة المنهجية بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، والانتقال بالنص القرآني من حيّز التجريد إلى فضاء التطبيق الواقعي.

## المبحث الأول:

## دور المرجعية القرآنية في تفعيل الحجة الباطنة (العقل) وبناء الفكر.

لم يقدّم الأئمة(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) العقل بوصفه أداة بشرية مستقلة فحسب، بل بوصفه ضرورة إيمانية، ومن أعظم النعم على العباد فهو "حالة في النفس داعية إلى اختيار الخير والنافع، بها يُدرك الخير والشر ويُميّز بينهما" [1]، وهو أيضًا المسار التكاملي لعلوم الإنسان المكتسبة طيلة حياته والعمل بها [2]، ويستطيع الإنسان الوصول إلى السعادة والابتعاد عن الشقاء عن طريق العقل، وقد أكدت الشريعة المقدسة على أهمية هذه النعمة، وتفعيلها، وبيان أثرها، والحفاظ عليها وما يترتب عليها، ويتجلى ذلك بوضوح في آيات القرآن الكريم، وفي كلام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ووصاياهم [3].

---

[1]. الذريعة إلى حافظ الشريعة: شرح أصول الكافي / رفيع الدين محمد بن محمد مؤمن الجيلاني (قرن ١١هـ) / تحقيق: محمد حسين الدرايتي /ط١ / دار الحديث إيران– قم المقدسة / ١/ ١٢١.

[2]. ينظر: القلب مركز الإدراك العقلي وصية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهشام بن الحكم أنموذجًا: علاء إبراهيم المليسي الموسوي / جامعة بابل – كلية التربية الأساسية / مجلة الكلية الإسلامية الجامعة / العدد: ٦٢ / جزء: ٢ / ٢٤.

[3]. ينظر: إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى هشام في العقل / عماد الكاظمي / ط١ / دار المجيب، العراق – الكاظمية المقدسة / نشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر / ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣ م / ٥.

## المطلب الأول: الحثُّ على التفكّر والتعقّل في كلام المعصـومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) اسـتنادًا إلى النص القرآني.

من أبرز الأمثلة على ذلك وصية الإمام الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لهشام بن الحكم*، إذ تُعَدُّ أوسع وثيقة معرفية في كتاب (تحف العقول) تناولت جدلية العقل والقرآن الكريم[1]. وقد اخترناها في هذا المطلب لتكون أنموذجًا لحرص أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) على بيان أهمية العقل ودوره في بناء الشـخصـية المؤمنة وتكاملها، فالإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لا يكتفي بالحث على استخدام العقل، بل يستدعي آياتٍ قرآنية لتكون دليلاً على أنَّ الخطاب القرآني موجّهٌ إلى أصحاب العقول، والوصية مشتملة على مقاطع عدة اخترنا منها ما تضمّن نصوصًا قرآنية لتلائم عنوان البحث.

### ١. النص القرآني ودوره في تفعيل العقل:

يستهل الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) الوصية** بجعل القرآن الكريم شاهدًا ودليلاً على منزلة العقل وأنَّه الحجة الباطنة، وهو متمم للحجج الظاهرة (الرسل والأنبياء) وذلك بقوله: "( يا هشام: إنَّ الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

*"هو من أكبر أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وكان فقيهًا وروى حديثًا كثيرًا وصَحب أبا عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وبعده أبا الحسن موسى (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، وكان يكنّى أبا محمد وأبا الحكم، وكان مولى بني شيبان، وكان مقيمًا بالكوفة ... وكان حاذقًا بصناعة الكلام حاضر الجواب" أعيان الشيعة: محسن الأمين/ ١٠ /٢٦٤.

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٨٣.

** هناك اختلاف في بعض ألفاظ الوصية بين كتاب الكافي وكتاب "تحف العقول" لذا اعتمدنا على نص الوصية في كتاب الكافي للشيخ الكليني(٣٢٩هـ).

هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ الزمر: ١٧، ١٨ )"[١] نلاحظ هنا أنَّ الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لم يأت بالآية لمجرد التبرك، بل بيَّن أنَّ البشرى والهداية الإلهية والمدح بأولي الألباب مشروط بالاستماع والتمييز واتباع الأحسن، "وبفعل الاستماع، ومع رفع المانع؛ يتحقق الفهم والافهام" [٢]، والقول يعني به القرآن الكريم أو مطلق المواعظ، ويمكن أن يُحمل على مطلق الكلام؛ لأنَّ كل قول حق لا بدَّ له من ضد باطل [٣]. وبهذا يبيّن أنَّ العقل هو الأداة الوحيدة التي لها القدرة على استيعاب مقاصد القرآن الكريم. وفي الآية دلالة على أنَّ الهداية تنتج عندما يميّز الإنسان بين القشر واللباب، فإذا سمع شيئًا عليه أن يختار منه الأصوب والأحسن، فلا يقبل كل ما يُلقى عليه دون تمحيص وتحليل، وهذا لا يحصل دون رعاية الله ومَنِّه على الإنسان فهو الذي منحه العقل لتلقّي تلك الهداية [٤].

## ٢. العقل أداة الاستدلال على الربوبية:

ينتقل الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) من إيضاح مكانة العقل إلى التوظيف العملي، وهنا لا يكتفي بمدح العقل، بل يرسم خارطة للوصول إلى الخالق عبر التفكير في الكون فيقول: "(يا هشام: إنَّ الله تباركَ وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيّين بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلّة، فقال: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ

---

[١]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٣/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[٢]. من أنظمة الدال إلى تشكيل الخطاب (قراءة نسقية في وصية الإمام موسى الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لهشام بن الحكم في العقل): عماد جبار كاظم/ مؤتمر (الصادق والكاظم (عليهما السلام) صادقا آل محمد) / العتبة العباسية المقدسة/١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٣م/ ٢٠.

[٣]. ينظر: مرآة العقول: المجلسي/ ١/ ٣٩.

[٤]. ينظر: شرح أصول الكافي: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي / تصحيح: محمد خواجوي / مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرسنكي/ طهران / ١ /٢٥٣.

وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة :١٦٣،١٦٤)"[1]. والمقصود هنا من الحجج "البراهين أو الأنبياء أو الأوصياء والاحتجاج وقطع العذر، أي أكمل حجته على الناس بما آتاهم من العقول" [2] ، ومعنى ذلك أنَّ كمال الرسالة لا يتم إلا بوجود وعاء يستوعب مقاصدها وهو العقل، والبيان: هو الفصاحة أو المعجزات، أو تمكنهم من إتمام الحجة والجواب على كل شبهة [3]. فالإمام هنا يريد إثبات أنَّ الوصول إلى حقيقة الإله الواحد لا يتم إلا عبر الأدلة ومنها، الظواهر الكونية التي لا يدركها إلا ذوو العقول، وبذلك فإنَّ النص القرآني جعل من العقل وسيلة يُتَوَصّل بها إلى عظمة الخالق عن طريق نظام الخلق؛ "إذ العقل يحكم بديهة بأنَّ الكامل من جميع الجهات العاري من جميع النقايص، والآفات القادر على إيصال جميع الخيرات والمضرّات هو أحق بالمعبودية من غيره لجميع الجهات" [4].

بعدها نلاحظ أنَّ الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) استدل بجملة من الآيات القرآنية التي تحثُّ على التفكّر والتأمل في نظام الكون والطبيعة إذ يقول: "(يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأنَّ لهم مدبرًا، فقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٣/ كتاب العقل والجهل / ١٢.

[2]. بحار الأنوار: المجلسي/ ١ / ١١٢.

[3]. ينظر: مرآة العقول: المجلسي/ ١/ ٣٩.

[4]. المصدر نفسه: ١ /٤٠.

﴾ النحل: ١٢ ، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾ غافر: ٦٧ ، وقال:﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ ﴾ الجاثية: ٥ ، وقال: ﴿ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾ الحديد: ١٧، وقال: ﴿ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ الرعد:٤ وقال: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٤ ﴾ الروم :٢٤ ، وقال: ﴿ ۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ ﴾ الأنعام: ١٥١ ، وقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨ ﴾ الروم :٢٨ )" [1] .

فنرى هذه الآيات تُركز على الذين يعقلون، وأنَّهم المقصودون بالخطاب، وأنَّ الأسرار الإلهية العظيمة، والدلائل الكاشفة هي للعقلاء وأهل المعرفة؛ لأنَّهم أحق بالانتفاع بها دون غيرهم. [2]

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٤/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[2]. ينظر: شرح أصول الكافي: صدر الدين الشيرازي/ ١ /٣١٩.

### ٣. العقل أداة للمفاضلة:

ينتقل الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بعد ذلك من الوظيفة الاستدلالية للعقل إلى الوظيفة التقييمية؛ فيقول: "(يا هشام: ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنعام: ٣٢)" [١] ؛ ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى "بعد أن علّم أهل العقل طريق العلم والعرفان، وبيّن لهم الآيات الدالة على التوحيد، والإيمان بالبرهان زهّدهم عن الدنيا، ورغّبهم في الآخرة بالموعظة الخطابية" [٢] ، إذ تبرز وظيفة النص القرآني هنا من خلال توجيه خيارات الإنسان من خلال المفاضلة بين الباقي والفاني، فدور العقل هو الموازنة بين الأمور وترسيخ قيم الزهد والترفّع عن زخارف الدنيا الفانية، فنلاحظ أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يرى أنَّ نقص التعقّل هو سبب في الاغترار بالدنيا الفانية، ويصحح المفاهيم من منظور قرآني؛ إذ إنَّ العقل يمنح الإنسان القدرة على إدراك أنَّ ما عند الله خير من لعب الدنيا ولهوها الزائل، فليس من المنطق أن يختار العاقل متاعًا زائلاً ويترك خيرًا باقيًا. ونرى أنَّ تكرار عبارة (أفلا تعقلون) في ختام الآيات المباركة التي استشهد بها الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فيه تأكيد على أنَّ القرآن الكريم يجعل من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة نتيجة حتمية لتفعيل العقل وليس مجرد عاطفة مؤقتة.

---

[١]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٤/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[٢]. شرح أصول الكافي: صدر الدين الشيرازي/١/ ٣١٩، ٣٢٠.

### ٤. التحذير من الجهل:

ثم ينتقل الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) من الترغيب إلى الترهيب، فيقول: "(يا هشام: ثم خَوَّف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصافات: ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ ، وقال:﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٣٤، ٣٥) " [١].

فبعد أن بيَّن أنَّ العقل يقود إلى الرغبة فيما عند الله، وتركِ ما دون ذلك، انتقل إلى بيان خطورة عدم التعقل؛ إذ يربط بين الهلاك وتعطيل العقل، فالمرور على الأقوام الهالكة في الصباح وفي المساء دون أخذ العبرة والموعظة ما هو إلا علامة على نقص العقل، وبهذا فإنَّ النص القرآني هنا يُعلّم الإنسان كيف يجعل بصره طريقًا لبصيرته، فعند مشاهدة آثار الهالكين يجب أن يتحرك العقل ويتعظ ليعتبر بمن مضى [٢]. ونلاحظ هنا أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قد تَدَرَّجَ في الوصية من الترغيب إلى الاستدلال ثم الوعظ والتحذير، وهو التسلسل نفسه الذي يتبعه القرآن الكريم، وفي هذا دلالة على أنَّ خطاب أهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) هو خطاب القرآن الكريم؛ فهما من منبع واحد.

---

[١]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٤/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[٢]. ينظر: بحار الأنوار: المجلسي/ ١/ ١١٤.

## ٥. تلازم العقل والعلم في المنظور القرآني:[١]

تنتقل الوصية إلى الربط بين العقل والعلم؛ إذ لا ينفك أحدهما عن الآخر فالعلم يُمَثِّلُ المادة، والعقل يُمَثِّلُ الأداة للتحليل والفهم، فيقول: "(يا هشام: إنَّ العقل مع العلم فقال:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣)" [٢] ، فنرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يضع القانون الكلي للعلاقة بين العقل والعلم، فيتجاوز مرحلة الحثِّ على التفكّر، ليصل إلى بيان ثمرة العلم وهو التعقّل؛ لأنَّ العقل ليس غريزة فطرية فحسب، بل هو طاقة تحتاج إلى مادة أولية وهي العلم، فيستشهد الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بالآية الكريمة ليوضح أنَّ الأمثال الإلهية تبقى رموزًا مغلقة مالم يمتلك الإنسان الأداة لفكِّ شفراتها وهي العلم، والعقل الذي يربط معانيها، فالأمثال القرآنية "لا يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به ... وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله" [٣]. وهنا تتكامل الأدوات المعرفية، فأهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) لا يقبلون التعبد بلا وعي، والإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يضع معيارًا دقيقًا لنوعية العقل المطلوب، والذي يَتَمَثَّل بامتلاكه الأدوات ويرفع قيمة التعلّم، فمن خلال ربطه بين العلم والعقل يحثّ على الاستزادة من العلم؛ لأنَّ التعقّل يزداد كلما اتسعت دائرة العلم.

---

١. ينظر: من أنظمة الدال إلى تشكيل الخطاب: عماد جبار كاظم/ ٢١.

٢. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٤/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

٣. مجمع البيان: الطبرسي/ ٨/ ٢٨.

### ٦. ذم تعطيل العقل:

في هذا المقطع ينتقل الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى معالجة الجانب المقابل وهو (ذم تعطيل العقل) فيقول: "(يا هشام: ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾ البقرة: ١٧٠، وقال: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾البقرة: ٧١ وقال: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢ ﴾يونس: ٤٢ وقال: ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤ ﴾الفرقان: ٤٤ وقال: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ ﴾الحشر: ١٤ وقال: ﴿ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤ ﴾البقرة: ٤٤ )" [1].

فنرى هنا أنَّ الإمام(عَلَيْهِ السَّلَامُ) يحدّد العلة التي تحول دون حصول الفائدة من الهداية وهي تعطيل العقل، فجاء بالنص القرآني ليُبيّن فداحة خسارة العقل؛ لأنَّ "الذين يتمتعون بنعمة الفكر والعقل، ولكنهم لا يُصححون تفكيرهم، فهؤلاء في عداد المجانين" [2] ، ويضع القرآن الكريم الذين لا يعقلون في أدنى درجات سلّم الوجود، ويشبههم بالأنعام التي لا تعقل؛ لأنَّ تعطيل أدوات الإدراك هو انحدار عن الرتبة

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٥/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[2]. الأمثل: الشيرازي/ ٥/ ٢٦٦.

البشرية، فالغرض من استحضار الآية الأولى هو للتحذير من التقليد الأعمى للآباء والأسلاف ورفض التبعية غير المستندة إلى حجة عقلية، أما الآية الثانية والثالثة فتشير إلى سلب الإنسانية عن الذي لا يُفَعّل عقله؛ لأنَّ الإنسان بدون العقل يفقد الميزة التي وهبها الله له وكرّمه بها، فيتحول إلى كائن يسمع ويُبصر بلا عقل، فنرى أنَّ الوصية لا تكتفي بعرض الجوانب الإيجابية للعقل، وإنَّما توضّح الجانب المظلم الذي يقع فيه الإنسان عندما يُلغي عقله.

## ٧. نقد الميزان الكمّي وتعزيز القيمة النوعية للعقل:

ينتقل بعدها الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ليكسر قاعدة اجتماعية خاطئة يقع فيها الكثير وهي، أنَّ الحق مع الكثرة، فيقول: "(ثم ذمَّ الله الكثرة فقال: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ الأنعام:١١٦، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥ ﴾لقمان: ٢٥ وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣ ﴾العنكبوت: ٦٣ )" [1] . ففي هذا المقطع نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يوظّف النص القرآني لتحرير العقل من الاتباع الأعمى، فليس كل أكثرية على حق، فالنص يدعو العقلاء أن لا يغتروا بالزحام، فالآيات الشريفة تربط بين الكثرة والضلال وعدم العلم، فالمقياس ليس العدد، وإنَّما الدلائل والبراهين، وفي مقابل ذلك يُبرز القلة الممدوحة في القرآن الكريم فيقول: "(ثم مدح القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ سبأ: ١٣، وقال: ﴿ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۖ ﴾ ص:

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٥/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

٢٣، وقال: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠)" [١]. وهو بهذا يجعل من العقل أداة فاعلة للتمييز فلا تغتر بالكثرة ولا تستوحش مع القلة.

## ٨. العقل محل الحكمة:

ثم ينتقل الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى تتويج ذوي العقول بأرقى الأوصاف ومنها الحكمة فيقول: "(يا هشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاهم بأحسن الحلية، فقال:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩ ...)" [٢]، فيبيّن التكريم الإلهي للذين أوتوا العقل فيشير إلى أنَّ العقول (الألباب) هي الأوعية القابلة لاستقبال الحكمة، والحكمة هي: "شيء يجعله الله في القلب يُنَوِّرُه به كما يُنَوِّر البصر فيدرك المبصر وكل حسن" [٣] وهي التي ترفع الإنسان من مجرد مخلوق مفكّر إلى مخلوق حكيم فينال الخير الكثير، وبهذا يكون أولوا الألباب هم الطبقة العليا التي خصّها الله بعمق التذكّر والفهم، [٤] ، وقيل المراد منها "علم القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله" [٥] ووردت لها معان أخرى منها: علوم

---

١. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٥/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.
٢. المصدر نفسه: ١/ ١٥/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.
٣. التبيان: الطوسي/ ١ /٤٦٧.
٤. ينظر: من هدي القرآن: محمد تقي المدرسي/ ١/ ٣٥٠.
٥. مجمع البيان: الطبرسي/ ٢ /١٩٤.

الدين، النبوة، الفهم، الخشية، القرآن الكريم، والفقه وغيرها [1] ، "والخير الكثير معرفة أمير المؤمنين والأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)" [2] .

## ٩. مصاديق العقل في القرآن:

في هذا المقطع يقدّم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تأويلاً لبعض المصطلحات القرآنية ليُثبت أنَّ للعقل مركزية في النص القرآني مهما تعددت أسماؤه فيقول: "(يا هشام، إنَّ الله تعالى يقول:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧ يعني عقلٌ، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ لقمان: ١٢، قال: الفهم والعقل)" [3].

فنرى أنَّه يوضّح أنَّ المراد من القلب في سورة (ق) ليس العضلة الصنوبرية، بل هو العقل الواعي الذي يتدبر ويُدرِك، و"معنى القلب هنا العقل من قولهم أين ذهب قلبك، وفلان ذاهب القلب، وفلان قلبه معه، وإنَّما قال:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧؛ لأنَّ من لا يعي الذكر لا يُعتدُّ بما له من القلب" [4]. ويُبيّن أنَّ الحكمة التي أوتيَت للقمان ماهي إلا الفهم والعقل، ممّا يدل على أنَّ العقل في منظور القرآن الكريم هو هبة إلهية تتطلب استعدادًا فطريًا.

---

[1]. ينظر: التبيان: الطوسي/ ٢ / ٣٤٩؛ وينظر: مجمع البيان: الطبرسي/ ٢/ ١٩٤.

[2]. تفسير القمي: القمي/ ١/ ٩٢.

[3]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١٦/١/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[4]. التبيان: الطوسي/ ٩ / ٣٧٤.

## ١٠. وقاية العقل من الزيغ:

وفي مقطع آخر من الوصية نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يُبيّن أنَّ الإنسان بحاجة إلى تسديد من الله لحفظ عقله (قلبه) كي لا يزيغ بعد الهداية، إذ ينتقل إلى جانب نفسي دقيق وهو ضرورة الحذر الشديد من الانحراف بعد الاستقامة ويأتي بالنص القرآني الذي يتضمن دعاء الصالحين ليستشهد به، فيقول: "(يا هشام، إنَّ الله حكى عن قوم صالحين أنَّهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ آل عمران: ٨ حين علموا أنَّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها)" [١] . فيوضّح أنَّ القلوب (العقول) مهما بلغت من الكمال تظل مفتقرة إلى التثبيت الإلهي؛ فهي ليست بمأمن من الانحراف، فقد يُصيبها الزيغ إذا اغتر الإنسان بعقله وظنَّ أنَّه مستغنٍ عن خالقه، واستشهاد الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بالآية الكريمة فيه دلالة على أنَّ أصحاب العقول هم أكثر الناس ادراكًا لخطر الزيغ بعد الهداية، وضعف النفس الذي يؤدي إلى زيغ القلب لذا يُحذّر من الغرور، ويحثُّ على دوام الدعاء لضمان بقاء العقل في طريق الهدى والاستقامة ولا يعود إلى الغيّ والضلال، فالدعاء بمثابة صمّام الأمان الذي يحمي الإنسان من الغرور، وعمى البصيرة، والتردي في مهاوي الضلال.

## ١١. العقل معيار لتحديد أهل الفضل:

في مقطع آخر من الوصية يُشير الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى بعد عملي يمسُّ حياة الإنسان وهو: بيان الصفات المؤهلة للأشخاص الذين توكَل إليهم بعض الأمور ومنها: السؤال لأي أمر، أو طلب المشورة،

[١]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٨/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

أو قضاء الحاجات، فيقول:"(إنَّ أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يُجيب إذا سُئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويُشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق)". [1] ثم يعضد ذلك بقول للإمام الحسن (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) حين سُئِلَ عن ذلك فقال: "(إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قصَّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ الزمر: ٩. فقال: هم أولوا العقول)" [2] . فدلالة الكلام على أنَّ السؤال سواء أكان لطلب العلم، أو المال، أو المشورة، أو أي حاجة أخرى لا ينبغي أن يوجّه لغير العقلاء لعدم أهليتهم؛ إذ إنَّ ناقص العقل غير مؤهل لذلك، فإما أن يضع المعروف في غير أهله، أو يكون عاجزًا عن تحقيق المقصود على الوجه الصحيح؛ فهو لا يستطيع تقدير الأمور[3] ، فيتبيَّن لنا من ذلك أنَّ العقل ليس مجرد ملكة، بل هو شرط صلاحية الفرد لتحمل المسؤولية وقضاء الحوائج، فالعاقل يوازن بين المصلحة والمفسدة، ويُحسن التقدير، ويُشير بالرأي الراجح، ويضع العطاء في الموضع المناسب، ويُدرك أنَّ الإحسان للخلق وقضاء حوائجهم هو الطريق لرضا الله تعالى.

يتبيَّن لنا من خلال ذلك كله أنَّ وصية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لم تقتصر على هشام فحسب، بل هي ترياق دائم لكل أزمة تواجه الإنسان "لا تكتفي الوصية بحمل مخصوصها المتعيّن بالمنادى الخاص فحسب، بل هي خطاب معرفي شمولي يتحول من "يا هشام" في لحظة تأريخية إلى "يا أيها

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٩/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[2]. المصدر نفسه: ١/ ١٩/ كتاب العقل والجهل/ ١٢.

[3]. ينظر: شرح أصول الكافي: صدر الدين الشيرازي/ ١ / ٣٩٣.

الأنســـان" بلا قيد من حلقات الزمن" [1]، ففي عصـــر التطور الرقمي نرى ضـــرورة الرجوع إليها في مواجهة ثقافة القطيع، فالقاعدة التي وضـعها القرآن الكريم واسـتمدتها الوصـية في نقد الكثرة والدعوة إلى الاسـتقلال الفكري لحماية المجتمع من الانسـياق خلف الإشـاعات، لا بدَّ من اسـتحضـارها على الدوام، فليســت الكثرة دلالة على الحق، بل يجب التبيّن والتحليل والمقارنة واختيار الأفضــل، وكذلك يجب أن يحصــل توازن بين التطور المادي وبين القيم الإيمانية، فلا يغتر الإنســان بمتاع الدنيا ولذّاتها في ظل التسابق الحاصل في مجال الاستهلاك؛ فينسى الآخرة، وأخيرًا على الإنسان أن يشعر بفقره وحاجته إلى الله، فالعقل المعاصــر يظنُّ أنَّه مالكٌ للكون بعلمه، وهذا أدى إلى حدوث الفوضــى والدمار، فلا بدَّ أن يسـتحضـر دعاء الصـالحين على الدوام للوقاية من الزيغ الفكري والعدول عن طريق الاسـتقامة، وبهذا فإنَّ منهج أهل البيت(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) النابع من القرآن الكريم يمنح العقل البشــري البوصــلة التي تمنعه من الغرق في الماديات، وتمكّنه من قيادة الحياة المعاصــرة بروح مســتبصــرة وواعية، وهذا ما يُريده الدين الإسلامي.

## المطلب الثاني: المرجعية القرآنية في أدب الحوار والمناظرة:

بعد أن تبيَّنت لدينا ملامح التأسيس العقلي في خطاب أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في كتاب (تحف العقول)، ننتقل في هذا المطلب لنتعرف على المنهج الذي اتبعوه في ممارسة الحوار، وكيف جعلوا من القرآن الكريم مرجعية عليا في ضبط آداب المناظرة مع الخصم، فالنص القرآني لم يكن مجرد وسيلة

[1]. من أنظمة الدال إلى تشكيل الخطاب: عماد جبار كاظم/ ٢٧.

للاحتجاج، بل كان سمة أخلاقية لضبط لغة الحوار، بما يضمن إقامة الحجة دون الخروج عن مقتضى الموعظة الحسنة، مستندين إلى القاعدة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾النحل: ١٢٥، فهم يُحوّلون الصراع الفكري إلى فرصة للهداية، لا للمغالبة فنلاحظ الانضباط اللفظي في المناظرات فهي تخلو من السباب والتسفيه؛ لأنَّ الهدف هو استنقاذ العقل وليس غلبة الخصم، وسنستعرض بعض النصوص لتكون أمثلة على ذلك:

**أولاً:**

احتجاج الإمام أبي عبد الله الصادق (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) على جماعة من الصوفية: وفيه كلام طويل سنأخذ منه موضع الشاهد: "(...قال: ثم أتاه قوم ممَّن يُظهر التزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف، فقالوا: إنَّ صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة فقال (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لهم: هاتوا حججكم، فقالوا إنَّ حججنا من كتاب الله فقال (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لهم: فأدلوا بها فإنَّها أحق ما اتُبع وعُمل به، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبرًا عن قوم من أصحاب النبي (ﷺ): ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ الحشر: ٩ فمدح فعلهم، وقال في موضع آخر: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ ﴾ الإنسان: ٨ ، فنحن نكتفي بهذا...)" [1] ، فنرى أنَّ هؤلاء الصوفية دخلوا على الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) يعتبون عليه لبسه للثياب الناعمة واحتجوا بنصوص من القرآن الكريم وهي الآيات التي تدعو إلى الزهد والإيثار وهم

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٤٩.

يحسبون أنَّ حجتهم كافية، فرد عليهم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بذات السلاح الذي حاولوا استخدامه، وبيّن بطلان حجتهم؛ لأنَّهم فهموا الآيات بشكل مُجتزأ، ولم يلتفتوا إلى سبب النزول والقرائن الأخرى، وبيّن لهم أنَّ ما استدلوا به من الآيات كان في صدر الإسلام حين كان فعلهم هذا حسنًا وأنَّ الله قد أثابهم عليه، ثم بيّن أنَّ الله تعالى أمر بخلاف ذلك في آيات أُخر لاختلاف السبب، فاستند الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى قاعدة النسخ في القرآن الكريم وطرح الآيات المباركة التي تبيّن النهي عن التشدد في الزهد، فقال: "(...ثم هذا ما نطق به الكتاب ردًا لقولكم، ونهيًا عنه مفروض من الله العزيز الحكيم، قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ الفرقان: ٦٧ ، أفلا ترون أنَّ الله تبارك وتعالى عيّر ما أراكم تدعون إليه والمسرفين، وفي غير آية من كتاب الله يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ الأنعام: ١٤١، ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١ فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين الأمرين، لا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله تعالى أن يرزقه فلا يستجيب له ...)" [1] ، فجاء بالآيات القرآنية التي تدعو إلى الوسطية في الإنفاق، فلا إسراف ولا اقتار، وواجههم بنصٍ صريح من القرآن الكريم، مبينًا أنَّ الاعتدال في الإنفاق ليس مجرد خيار أخلاقي، بل هو أمر إلهي يجب على المسلم الالتزام به ثم جاء بآية قرآنية أخرى لتعزز المنهج القرآني الوسطي فقال: "(... فأدَّب الله نبيه (ﷺ) بأمره إياه فقال: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾ الإسراء: ٢٩ يقول: إنَّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد خسرت من المال، فهذه

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٥٠.

أحاديث رسـول الله يصـدقها الكتاب، والكتاب يصـدقه أهله من المؤمنين...)" [1] ، فالآية تدل دلالة واضـحة على بطلان دعوى الصـوفية في أنَّ الزهد هو إنفاق كل المال، وأنَّ العيش في الفقر هو قمة التديّن، ولم يكتف الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بهذا، بل جاء بأمثلة قرآنية من الأنبياء والأولياء السابقين وهم النبي سليمان والنبي داوود والنبي يوسف (عليهم لسلام) وذو القرنين، فهؤلاء ذَكر القرآن الكريم قصصهم، وبيّن أنَّ الله تعالى وهبهم ملكًا عظيمًا فقال (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): "(...وأخبروني أنتم عن سـليمان بن داود (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) حيث سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله جلَّ اسمه ذلك وكان (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ولا أحد من المؤمنين، وداود (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قبله في ملكه وشدد سلطانه، ثم يوسف النبي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) حيث قال لملك مصر:﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ يوسف:٥٥)" [2] ، فنرى أنّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) استنطق الآيات في الرد على الخصوم، وأبطل حجتهم، ونهاهم عن مسلكهم المتشدد، ووجه لهم النُصح في اتباع المحكم من الآيات القرآنية، وعدم النظر الجزئي للآيات القرآنية، وفهم الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، ومعرفة حلال الله وحرامه؛ لأنَّ ذلك يقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ ويبعدهم عن الجهالة والضلال .

**ثانيًا:**

مناظرة الإمام الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في مجلس المأمون حول الاصطفاء والتي تُعَدُّ مثالاً رائعًا في آداب الحوار ومناظرة الخصوم، فقد جرت في مجلس المأمون، وقد حضرها جماعة من العلماء من

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٥١.

[2]. المصدر نفسه: ٣٥٣.

خراسان والعراق، وكان محورها آية الاصطفاء وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢ فسأل المأمون عن معنى الآية، فأجاب العلماء بأنَّ المراد هو الأمة كلها، ثم التفت إلى الإمام الرضا (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) ليرى ما يقول، فأجاب الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) بأنَّ المراد هم العترة الطاهرة مستنبطًا ذلك من سياق الآية الكريمة ذاتها؛ فكيف يستوي السابق بالخيرات مع الظالم لنفسه في مقام الوراثة [1] ، فقال الرضا (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): (...لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر:٣٢ ثم جعلهم كلهم في الجنة، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴿٣٣﴾ ﴾ فاطر: ٣٣ فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم)" [2] ، ثم بيّن أنَّ العترة المقصودة هم الذين وصفهم الله تعالى في آية التطهير فقال:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣ فلجأ أيضًا إلى نص قرآني لبيان المراد من العترة، وتستمر المناظرة بين الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) والعلماء لإثبات مَنْ هم (الآل)، فيسوق الإمام آيات قرآنية أخرى توضح المراد فيقول: "(...من قول الله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحديد: ٢٦ فصارت وراثة النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنَّ نوحًا سأل ربه، فقال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ هود: ٤٥ وذلك أنَّ الله وعده أن ينجيه وأهله، فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾هود:

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢٦.

[2]. المصدر نفسه: ٤٢٦.

٤٦...)"[١] ، ثم يسأل المأمون عن تفضيل الله تعالى للعترة، وهل هو مذكور في الكتاب الكريم، فيأتي الإمام بشواهد قرآنية على ذلك منها: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾آل عمران: ٣٣ ، ٣٤ ، ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ النساء: ٥٩. فأثبت فضل العترة الطاهرة من القرآن الكريم، وهذا الاستناد المباشر إلى النص القرآني يدعم الحجة ولا يدع مجالاً للاعتراض والشك، ويثبت أنَّ تفضيل العترة ليس استنتاجًا ظنيًا، بل هو أمر ثابت في محكم الكتاب، ممّا يعكس أدب الحوار، والثقة في طرح الحجة؛ وذلك بالرجوع إلى النصوص القطعية. ثم يبادر العلماء بالسؤال: "(...هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب...)" [٢] فيجيب الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بكل ثقة ويستدل بمصاديق نصية مباشرة فيقوم باستقصاء الآيات المباركة التي فسرت الاصطفاء على المستويين الظاهر والباطن، ممّا يدل على أنَّ مرجعية الإمام القرآنية مرجعية محكمة لا تستند على التأويلات البعيدة، بل تستند على الدلالات اللفظية الصريحة. "(... فقال الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): فسر الاصطفاء في الظاهر ليس سوى الباطن في اثني عشر موضعًا فأول ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤ ...)" [٣] فجعل هذه الآية منطلقًا لباقي المواضع؛ لأنَّها حددت دائرة الإنذار وحصرته في العشيرة، وهم الفئة

---

[١]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢٧.

[٢]. المصدر نفسه: ٤٢٨

[٣]. المصدر نفسه: ٤٢٨.

اللصيقة بالنبي الأكرم (ﷺ) وهذه تُمَثّلُ الخطوة الأولى للاصطفاء، والآية تُثْبِتُ أنَّ (الآل) لم يكونوا أقارب فحسب، بل كانوا شركاء في تبليغ الرسالة منذ اللحظات الأولى.

**الموضع الثاني:** ثم يطرح الإمام الآية الثانية والتي تعد أقوى نص للدلالة على التنزيه الإلهي ليؤكد أنَّ الاصطفاء ليس تشريفًا فحسب، بل هو صناعة ربانية وهذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣ ، فالإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) استشهد بآية التطهير لتكون دليلاً حاصرًا ليُخرج كل من تلبّس بالرجس من دائرة الوراثة والاصطفاء، وليُثْبت أنَّ وراثة الكتاب لا تصح إلا للذين طهّرهم الله، وردًا على من حاول تعميم المفهوم ليشمل الأمة، فالآية خصَّصت المطهَّرين بأهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وبهذا ينتقل الإمام من إثبات الحق إلى توضيح علّته وهي، التطهير الإلهي. [1]

**الموضع الثالث:** ثم ينتقل الإمام(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى آية المباهلة، والتي تُعَدُ حجة دامغة؛ لأنَّها ترفع العترة الطاهرة من مقام التبليغ إلى مقام الشهادة ومساواة النبي (ﷺ) في مواجهة الخصوم، ففيها دلالة واضحة على أنَّ تخصيص العترة الطاهرة في هذا الحدث المهم لم يكن عفويًا، بل هو نص من الله تعالى على أحقيتهم لهذه المنزلة فيقول: "(...والآية الثالثة حين ميّز الله الطاهرين من خلقه أَمَرَ نبيه في آية الابتهال فقال: قل- يا محمد- ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ آل عمران: ٦١، فأبرز النبي (ﷺ) عليًا والحسن والحسين وفاطمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) فقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله: وأنفسنا وأنفسكم، قالت العلماء: عنى

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢٩.

به نفسه قال أبو الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ): غلطتم، إنَّما عنى به عليًا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)...)" [1]، ومن خلال استشهاد الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بهذه الآية هناك إشارة دقيقة وهي، لفت نظر الخصوم إلى أنَّ الله تعالى جعل عليًا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بمثابة نفس النبي وهذا أعلى مراتب الاصطفاء، وأنَّ الاستدلال هنا اعتمد على التوثيق التأريخي، فجعل من حادثة المباهلة الثابتة تأريخيًا وقرآنيًا برهانًا لا يمكن دحضه لإثبات أنَّ العترة هم النخبة المصطفاة لا غيرهم.

**الموضع الرابع:** ينتقل الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هنا إلى الاستدلال بمكانة بيوت الأنبياء السابقين، ويأتي بالآية الكريمة التي تثبت تخصيص بيوت معينة لتكون محلاً للعبادة (قبلة)، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يونس: ٨٧؛ فهي سُنة إلهية، فكما أنَّ الله تعالى أمر النبي موسى وأخيه هارون (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) بأن يتخذا بيوتًا خاصة للعبادة، وجعلها قبلة لقومهما، أمر النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بأن يسد جميع الأبواب إلا باب علي وفاطمة (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فيربط الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين حادثة سد الأبواب إلا باب علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهي حادثة مشهورة تأريخيًا وبين ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يونس: ٨٧، وفي ذلك دلالة على أنَّ الله تعالى لا يأمر باتخاذ أحد البيوت قبلة، أو فتح بابه على المسجد إلا إذا كان أصحابه في أعلى مراتب الطهر، ففي هذا الاستشهاد إثبات اصطفاء العترة ككيان أسري كامل وليس مجرد أفراد،

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢٩.

وفيه دلالة على أنَّ المكانة التي نالتها العترة الطاهرة لم تكن لمجرد العلاقة النسبية، بل هي تطبيق لسنة قرآنية جرت في الأنبياء السابقين [1].

**الموضع الخامس:** ثم يأتي في هذا الموضع بآية قرآنية تثبت الحق التشريعي والمادي للعترة الطاهرة وهي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ الإسراء: ٢٦، فالإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يثبت من خلال استشهاده بها أنَّ الله تعالى لم يكتف بالثناء على العترة الطاهرة، بل جعل لهم حقًا مفروضًا في الكتاب وبيَّن أنَّ التكليف موجه للنبي الأكرم (ﷺ)، بتعيين وإعطاء هذا الحق ووضَّح أنَّ المقصودين بالآية هم الذين اصطفاهم الله تعالى وأنزل فيهم فضل الطهارة والوراثة، ووجه الدلالة في الآية هو أنَّ الله تعالى ربط بين القرابة من النبي (ﷺ) وبين الحق المفروض له، ممّا يدل على أنَّ هذا الحق ليس صلة رحم فحسب، بل فريضة ترتبط بمقام الاصطفاء [2] .

**الموضع السادس:** وهنا يستدل الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بآية المودة ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى: ٢٣ والذي يمثل الركيزة الأساسية لبيان جزاء الرسالة وأنَّه محصور في موالاة أهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) فالآية تربط بين استمرار الرسالة وبين المودة والاتباع للقربى بوصفها الفريضة التي لا يُقبل الدين إلا بها [3]، فنرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يوضّح أنَّ الأنبياء السابقين لم يسألوا أجرًا على رسالتهم، بينما أُمر النبي (ﷺ) أن يطلب أجرًا وهو: (مودة قرباه)، وهذا يعكس خصوصية الاصطفاء

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٠.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٠.

[3]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٣١.

لهذه العترة، إذ جعل مودتهم ضمانة لبقاء المنهج الإلهي، فاستشهاد الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بهذه الآية هو للرد على من يحاول تعميم مفهوم القربى؛ لأنَّ المودة المطلوبة لم تكن لكل قريب للنبي (ﷺ) نَسبيًا، بل هي محصورة في جماعة طهَّرهم الله واصطفاهم، وأنَّ هذه المودة ليست تفضّلاً من الناس، بل هي حق فرضه نص القرآن الكريم، فلا يمكن لأحد أن يقرأ القرآن الكريم وينكر فضل العترة وهو يقرأ أنَّ مودتهم هي أجرٌ للرسالة، فالولاء للعترة جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان بالوحي.

**الموضع السابع:** يستحضر الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هنا آية الصلاة على النبي (ﷺ) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾الأحزاب: ٥٦ [1]ليُحوّل عبادة يومية يمارسها المسلمون إلى دليل قطعي على اصطفاء العترة، فأثبت أنَّ الاصطفاء هو فعل تعبدي متكرر، وأوضح أنَّ الأمة حين سألت النبي (ﷺ) عن كيفية الصلاة عليه، أجابهم بصيغة الصلاة وأدخل (الآل) في الصيغة؛ لأنَّ الصلاة بدونهم تسمى صلاة بتراء، وبما أنَّ الله تعالى لم يجعل لأحد من الخلق نصيبًا في الصلاة مع النبي (ﷺ) إلا لهؤلاء الصفوة؛ فهذا يدل على أنَّ الاصطفاء المذكور في سورة فاطر وفي سائر المواضع قد تُرْجِم في صورة عبادة يومية وهي الصلاة على النبي وآله، واستحضار الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهذه الآية هو لقطع الطريق على أي محاولة لتهميش العترة، فمَنْ يُقِرُّ بوجوب الصلاة على النبي في صلاته اليومية يكون ملزمًا قرآنيًا بالإقرار بفضل العترة؛ لأنَّ الفصل بينهم هو مخالفة للأمر

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٣.

الإلهي. وإنَّ رجوع الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لهذه الآية يعزز مسألة أنَّ العترة هم المصداق الأتم للاصطفاء وهم الامتداد الشرعي للنبوة [1].

**الموضع الثامن:** ثم يورد الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) هنا آية الخمس ﴿ ۞وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الأنفال:٤١. مستدلاً بها لتكون رابطًا بين السيادة التشريعية لأهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) وبين استحقاقهم المالي الذي فرضه الله تعالى لهم، فيثبت أنَّ الله تعالى لم يجعل لأهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) فضلاً معنويًا فحسب، بل جعله مقرونًا بحكم مالي يمتد مع الزمان، وبيَّن أنَّ هذا السهم المالي هو تعويض إلهي لهم وتشريف عن الصدقة التي نُزِّهوا عنها، ويوضح الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّ الله تعالى بدأ بنفسه ثم بالرسول ثم بذي القربى، وهذا الاقتران في آية واحدة يُمَثِّلُ دليلاً على أنَّ منزلة (ذي القربى) تتبع منزلة الله ورسوله في هذا التشريع المالي، ممّا يقطع الطريق على من يحاول مساواتهم بسائر الناس في هذا الحق [2] ، وفي الآية دلالة على الشمول؛ لورود كلمة (شيء) النكرة في سياق الشرط وهو ما يفيد العموم[3]؛ وهذا يدل على أنَّ حق (ذي القربى) ثابت في كل شيء يُغْنَم "حتى في الخيط والمخيط" [4] وباقٍ حتى بعد وفاة النبي (ﷺ) فهو باقٍ مع بقاء الغُنْم، وفي هذا دلالة على استمرارية الاصطفاء

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٣.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٣.

[3]. ينظر: البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم /ط٣/ دار التراث/ القاهرة/ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م/٢/ ٦.

[4]. الكشاف: الزمخشري/ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض / ط١/ مكتبة العبيكان/ الرياض/ ١٤١٨هـ_ ١٩٩٨م/ ٢/٥٨١.

الإلهي، ووجوب رعاية هذا الحق لأهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في كل زمان، وأنَّ هذا الاستقلال المالي لهم هو جزء من منظومة الاصطفاء التي أراد الله تعالى بها صون كرامتهم ومنع حاجتهم للناس.

**الموضع التاسع:** في هذا الموضع يستدل الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) بآية أهل الذكر ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣، وهي دليل جوهري على أنَّ العلم بالكتاب محصور في فئة محددة مُصطفاة لتكون مرجعًا للأمة، فيضع الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قاعدة مهمة وهي، أنَّ البحث عن الحقيقة لا يتم إلا بالرجوع إلى حَمَلَة العلم الحقيقيين الذين أمر القرآن الكريم بأخذ العلم منهم، فأوضح الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّ (الذكر) هو رسول الله (ﷺ) وأهله هم أهل بيته (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وذلك من خلال استحضار آية قرآنية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ ﴾ الطلاق: ١٠، ١١، فبما أنَّ عترته هم أهل بيته فهم أحق بصفة أهل الذكر، وهذا الربط بين الآيتين لتحديد مصداق واحد هو قمة المرجعية القرآنية في لغة الحوار والمناظرة [1]، وتدل الآية الأولى على وجوب الرجوع إلى مرجعية معصومة لديها علم بالكتاب؛ لأنَّ الله تعالى لم يترك الأمة لاجتهاداتها الظنية، وهذا يعزز مبدأ أنَّ العلم لا يؤخذ إلا من أهله المنصوص عليهم في الكتاب، وأنَّ هناك تمايز بين العترة الطاهرة وسائر الأمة في فهم القرآن الكريم، فلو كان الجميع متساوين في الفهم لما كان للأمر الإلهي بالسؤال معنى، وبهذا تصبح الآية دليلاً على الاصطفاء العلمي للعترة بما يمنحهم حق القيادة الفكرية للأمة.

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٥.

**الموضع العاشر**: أما في هذا الموضع فينتقل الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى استدلال فقهي عميق لإثبات القرب من النبي(ﷺ) من خلال آية المحارم ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ النساء: ٢٣، فيستخدم لغة الفقيه المحاجج ليُحَوِّل آيات النكاح والمصاهرة إلى دليل على اصطفاء العترة الطاهرة، وقربها الحصري من النبي الأكرم (ﷺ)، فوجَّه سؤالاً للحاضرين: "(...أخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة ابني أو ما تناسل من صلبي لرسول الله أن يتزوجها لو كان حيًا؟ قالوا: لا. قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها، قالوا: بلى. قال: ففي هذا بيان أنا من آله ولستم من آله...)"[1]. فبيَّن الفرق بين الآل والأمة، لأنَّ الله تعالى حين قال: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ النساء: ٢٢ أدخل بنات عترة النبي (ﷺ) في حكم بناته اللاتي يحرمن عليه تحريمًا أبديًا، أما سائر المسلمين فيمكن للنبي (ﷺ) أن يصاهرهم. وبهذا أثبت الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنَّ هذا الانتساب يترتب عليه أحكام شرعية، فالتحريم في الآية جعل العترة في منزلة البيت الواحد مع النبي (ﷺ)، وهذا لا ينطبق على غيرهم من سائر الأمة. واستطاع الإمام أيضًا أن يُحوِّل مسألة النسب إلى حجة دامغة لإثبات خصوصية العترة الطاهرة، وهذا من أدق أساليب المناظرة.[2]

**الموضع الحادي عشر**: وفيه استدل الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بآية مؤمن آل فرعون من سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٥.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٥.

مِن رَّبِّكُمۡ﴾ غافر: ٢٨ وهو استدلال تأريخي وقرآني وهدفه التأصيل لنسب الإيمان وتفضيله على مجرد صلة القربى فبرهن على أنَّ ( الآل) في لغة الوحي لها ارتباط بالعقيدة والاتصال الروحي، وهذا متحقق في العترة الطاهرة؛ لأنّهم جمعوا بين الاتصال النسبي والامتداد الرسالي فأوضح الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّ الله تبارك وتعالى نسب هذا الرجل المؤمن إلى (آل فرعون) مع كونه مخالفًا لفرعون في عقيدته، ممّا يدل على أنَّ وصف (الآل) يُطلق لتشريف المؤمن الذي يرتبط بصلة ما إلى بيت معين، فكيف بآل النبي (ﷺ) فإنّهم جمعوا بين الإيمان الكامل وبين القرابة اللصيقة؟ [1] . فنرى أنَّ وجه الاستدلال هنا هو الأولوية، فلما خلّد القرآن ذكر مؤمن آل فرعون، وجعل نسبه تشريفًا له في القرآن على الرغم من ضلال بيئته، فالأَوْلى أن يكون عترة النبي (ﷺ) الذين طهرهم الباري هم الأحق بلقب (الآل) ومنصب الاصطفاء، فاستدل الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) بهذه الآية ليبيّن أنَّ فضل آل النبي (ﷺ) ثابت بنص الكتاب، ولفظة (الآل) لها دلالات أعمق من كونهم في بيت واحد، ففيها إشارة إلى الامتداد الرسالي لهؤلاء المصطفَون.

**الموضع الثاني عشر:** يختم الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) المواضع بآية قرآنية من سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ طه: ١٣٢ ليستدل بها على الجمع بين التكليف الخاص وبين الكرامة الاستثنائية لبيوت العترة بوصفها محطًا للعناية الإلهية. فيُبيّن كيف أنَّ القرآن الكريم أفرد العترة (الأهل) بخطاب خاص، فبعد أن أمر الله تعالى النبي (ﷺ) أن يأمر الأمة بالصلاة قال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ البقرة: ١١٠، خصص أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) بهذه الآية لما لهم من المنزلة العظيمة

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٦.

التي تتطلب عناية مباشرة من النبي [1] ، وربط الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين الآية وبين فعل النبي الأكرم (ﷺ)، فلما نزلت هذه الآية "(كان رسول الله (ﷺ) يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله)" [2] . ممّا يؤكد على أنَّ المراد من (الأهل) هنا هم هؤلاء المصطَفَون الذين طهرهم الله عزَّ وجلَّ وليس عامة الأمة، فنرى أنَّ رجوع الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهذه الآية هو لقطع الحجة على من يقول بالمساواة مع غيرهم، وهذا الاصرار من النبي(ﷺ) هو دليل على كونهم القدوة العملية للأمة، وهم الذين يستحقون الاصطفاء، ووراثة الكتاب في الآية من سورة فاطر. فيختم بهذا الدليل الذي حوّل الأمر العبادي إلى وسام للاصطفاء، وبهذا تكتمل السلسلة التي بدأت بالاصطفاء العام لآل إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم انتهت بالاصطفاء الخاص لآل بيت النبي (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

في الختام نخلص إلى أنَّ المرجعية القرآنية في كلام المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم تكن مجرد استشهاد عابر، بل هي دستور متكامل، فقد أثبتت مناظرتي الإمام الصادق والرضا (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أنَّ القرآن الكريم هو المرجع الأعلى في فضِّ النزاعات الفقهية والفكرية، فعندما يستند الخصم إلى أذواق شخصية و تأويلات ظنية، يُعيد الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الحوار إلى محكم الكتاب، والمنهج الوسطي، وتتجلى أيضًا براعة الاستدلال في الربط بين الآيات، فقد استطاع الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بناء منظومة استدلالية محكمة تربط بين وراثة الكتاب، والطهارة ووجوب الطاعة، وكشفت المناظرة عن القدرة الفائقة في استنباط الفوارق بين المفاهيم المتشابهة، من خلال توظيف الآيات (آية المحارم، آية التطهير، آية المباهلة) ممّا

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٣٦.

[2]. مجمع البيان: الطبرسي/ ٧ / ٦٨.

حرر المصـــطلحات العقدية من الخلط والتعميم. وهذا يدل على أنَّ المرجعية القرآنية في حوارات أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) تُمَثِّلُ صـمّام الأمان لحفظ العقيدة من التحريف، وتعالج قضـايا الإنسـان في كل زمان ومكان.

## المبحث الثاني:

## المرجعية القرآنية في بناء المنظومة الأسرية والرعاية الحياتية.

بعد أن تم الكلام عن المرجعية القرآنية في بناء العقل، ينتقل البحث إلى بيان دورها في تنظيم العلاقات الأســرية، والحث على الرعاية الصــحية؛ وهذا ينبع من شــمولية القرآن الكريم، فهو لم يترك صــغيرة ولا كبيرة إلا وأطّرها بإطار الوحي، ولذا قُمنا بالجمع بين هذين الجانبين؛ لانَّهما يشــكلان معًا كتلة الأمن الاجتماعي والصــحي التي يحرص عليها المنهج القرآني. فنرى أنَّ خطاب المعصـومين في كتاب (تحف العقول) لم يقتصــر على الجانب القولي، بل تعدّى ذلك ليشــمل صــياغة نمط متكامل للحياة، إذ يوازن بين الحقوق الأسرية والسلامة البدنية للإنسان، بوصفه مستخلَفًا في الأرض، فلم يفصل أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) بين الحقوق والواجبات الأســرية، وبين حقوق البدن والصــحة العامة، بل جعلوا القرآن الكريم ضـامنًا لاسـتقرار المجتمع عن طريق تنظيم علاقات الفرد مع أسـرته، والاهتمام بصـحته وجســده، فكلا الجانبين مهمّين، وينطلقان من رؤية قرآنية لحفظ كرامة الفرد المســلم، وتتجلى المرجعية القرآنية في كتاب (تحف العقول) في اسـتحضـار النصـوص القرآنية الصـريحة التي تحثُّ على صـلة الرحم وبر الوالدين كقاعدة أولى لبناء النســيج المجتمعي، ثم إبراز الجانب الصــحي المتمثل بالآيات

القرآنية التي تُشكّل قاعدة للوقاية الصحية والاستشفاء، وبناءً على ذلك نسعى في هذا المبحث لبيان كيفية توظيف النصوص القرآنية في ضبط العلاقات الأسرية والتربية الصحية، بما يضمن كرامة الإنسان وصيانة وجوده المادي والمعنوي.

## المطلب الأول:

## المرجعية القرآنية في تنظيم العلاقات الأسرية.

يُمثِّل الكيان الأسري في رؤية أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) اللبنة الأولى في بناء المجتمع[1]؛ لذا فإنَّ توجيهاتهم لم تكن مجرد نصائح أخلاقية، بل كانت انعكاسًا مباشرًا للنص القرآني الذي جعل حقوق الأسرة ذات صلة بحق الله تعالى، لذا سنقوم بتتبع النصوص التي استشهد أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فيها بآيات صريحة لتأصيل بر الوالدين وصلة الرحم، وكيف نقل الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) النص القرآني من حيّز التشريع إلى حيّز الممارسة السلوكية، فهم يعدّون امتثال هذه الحقوق تجسيدًا لتقوى الله، فاستشهاد المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بالنصوص القرآنية التي تأمر ببر الوالدين وصلة الرحم يُمَثِّل ضمانة أخلاقية وشرعية للاستقرار الأسري، وبقاءه ككيان محصّن بالوحي.

[1]. ينظر: الشاب بين العقل والعاطفة: محمد تقي فلسفي/ تعريب: نور الدين مير زادة / مؤسسة الأعلمي/ بيروت_ لبنان/ ٢/ ٧٣.

**أولاً: بر الوالدين .**

عن الإمام علي بن موسى الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في جوابه للمأمون حين طلب منه أن يجمع له (جوامع الشريعة) ، نأخذ منه موضع الشاهد: "(...وبرُّ الوالدين وإن كانا مشركَين فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا لأنَّ الله يقول: ﴿ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ لقمان: ١٤، ١٥، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): ما صاموا لهم ولا صلوا ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم ثم قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من أطاع مخلوقًا في غير طاعة الله جلَّ وعزَّ فقد كفر واتخذ إلهًا من دون الله...)" [1]

بر الوالدين من أعظم الطاعات التي أكّد عليها الدين الإسلامي وحثَّت عليها الآيات المباركة في أكثر من موضع؛ لأهميتها، وقرنت الإحسان إليهما بطاعة الله عزَّ وجلَّ، فالمرء يطيع ربه من خلال بره بوالديه، فقد وردت صيغة ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ في أربعة مواضع البقرة: ٨٣، النساء: ٣٦ ، الأنعام: ١٥١ الإسراء: ٢٣، أما صيغة ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ فقد وردت في ثلاثة مواضع: العنكبوت: ٨ ، لقمان: ١٤، الأحقاف: ١٥، فضلاً عن آيات أخرى في مدح من يبرُّ بوالديه ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ مريم: ٤ ، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ مريم: ٣٢ ، وآيات أخرى تذكر الدعاء لهما وآيات تحذر من عقوق الوالدين، فحين يأمر الله تعالى بأن تكون العبادة خالصة له، يقرن معها الإحسان للوالدين والبر بهما كما يقرن الصلاة بالزكاة، ويقرن الإيمان بالأعمال الصالحة، والبار

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢٠.

بوالديه أكرم منزلة عند الله [١] ، ويتجلّى بر الإنسان بوالديه من خلال معرفة فضلهما عليه، ومقابلته بالإحسان إليهما وقضاء حوائجهما وتكريمهما، وتجنب الإساءة إليهما، فالأم حملته في جوفها بمشقة ووهن، ووضعته بألم ومعاناة، وتحملت كل ذلك وهي في فرح وسرور، ولم تتذمر يومًا من ذلك، ثم الرضاعة والفطام والتربية وتحمّل المسؤولية والرعاية، وغير ذلك، كذلك دور الأب في توفير الحياة الكريمة والعيش الرغيد[٢] ، "ولمّا كان الآباء والأمهات أعظم المحسنين إحسانًا إلى الأولاد بعد الله تعالى كان حقهم على الأبناء أعظم الحقوق بعد حق الله عزَّ وجلَّ" [٣]، فالوالدان هما السبب في وجودنا لذا استحقا هذا الفضل. "إنَّ نعمة الله على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعم النعم، وذلك لأنَّ الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنَّهما منعمان عليه بالتربية" [٤] وقد ذكر الإمام زين العابدين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حق كل من الأم والأب في رسالة الحقوق وبيّن العلّة وراء ذلك فقال: "فحق أمك أن تعلم أنَّها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحدًا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحدًا، وأنَّها وَقَتْكَ بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة

---

[١]. ينظر: التفسير المبين: محمد جواد مغنية / ط ٢/ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر / بيروت – لبنان / ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م/ ١٥ / ٣٦٧.

[٢]. ينظر: من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله/ ١٨ / ١٩١.

[٣]. منهاج التربية الصالحة: أحمد عز الدين البيانوني / دار السلام للطباعة والنشر / ١٤٩.

[٤]. النظر إلى الوالدين بين الحقوق والعقوق: قاسم صالح علي العاني/ جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٤٥.

بذلك فرحة ... وأما حق أبيك فتعلم أنَّه أصلك وأنَّك فرعه لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنَّ أباك أصل النعمة عليك فيه واحمد الله واشكره على قدر ذلك" [١]

إنَّ الله تعالى أمر بتقديم الشكر للوالدين؛ لأنَّهما أوصلا النعمة للإنسان؛ فهما واسطة الفيض الإلهي، إلى جنب شكر الخالق الذي هو أصل كل نعمة. [٢] والشكر والإحسان لهما بغض النظر عن عقيدتهما، فاختلاف الدين لا يمنع البر والصحبة لهما، "بل هو تعالى يأمر بصلتهما وإن حصلت منهما المجاهدة، وحصول المجاهدة لا يُسقط حقهما وصلتهما، بل يزيده عظمًا فإنَّ حق الوالدين إذا لم يسقط مع المجاهدة على الشرك كان أعظم منه مع عدم المجاهدة" [٣]. وقد ورد عن أبي جعفر (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "ثلاث لم يجعل الله لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برّين كانا أو فاجرين" [٤].

والبر هو مظهر من مظاهر التقدير والوفاء والرحمة، وهو خلاف العقوق [٥]، ولا يتوقف بر بالوالدين في حياتهما فحسب، بل يمتد ليشمل ما بعد موتهما، فيكون الإنسان بارًا بوالديه بعد وفاتهما من خلال القيام بالأعمال الصالحة نيابة عنهما، كقضاء الصلاة والصيام عنهما، واعطاء الصدقة، عنهما وقراءة القرآن الكريم، والإحسان إلى معارفهما وغير ذلك من أنواع البر، قال أبو عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ): "ما

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٦٣.

٢. ينظر: الأمثل: الشيرازي/ ١٣ / ٢٨؛ الأخلاق في القرآن: الشيرازي/ ٣ /٦٩.

٣. مرآة العقول: المجلسي/ ٨/ ٤٠٧.

٤. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢/ ١٦٢ / كتاب الإيمان والكفر/ باب البر بالوالدين / ١٥.

٥. ينظر: النظر إلى الوالدين بين الحقوق والعقوق: قاسم صالح علي العاني/ ٤٢.

يمنع الرجل منكم أن يبرَّ والديه حيّين وميّتين؛ يصلّي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله عزَّ وجلَّ ببره وصلته خيرًا كثيرًا" [1] وقد خصَّ القرآن الكريم حالة الكبر لأنهما يحتاجان فيها إلى المساعدة، وتقديم العون كونهما في حالة ضعف، قال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء :٢٣، وكذلك عدم الضجر والتأفف منهما؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى أذيتهما [2] ، وطاعتهما في الأمور المباحة والمندوبة "إنَّ أمرهما بالمباح يصيره في حق الولد مندوبًا إليه وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدًا في ندبيته" [3]

وفي المقطع الذي ذكرناه في بداية المطلب عن الإمام الرضـــا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) تبرز رؤية أهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) لبر الوالدين بوصفها قيمة إنسانية مطلقة، ولا تسقط في أي حال وإن اختلفت العقيدة، وذلك بالاستناد إلى القرآن الكريم الذي يوازن بين البر والصحبة بالمعروف، وبين التوحيد الخالص. فنرى أنَّه يؤكد على وجوب بر الوالدين حتى في حالة شركهما، وإنَّ استشهاد الإمام بالآية الكريمة فيه دلالة على أنَّ الصحبة والمعاشرة الحسنة هي حق إنساني حتى مع المشرك؛ لكن الطاعة لهما في معصية الله لا تجوز، وتُخرِج الإنسان من الإيمان إلى الكفر، "إنَّ الوصية بالإحسان إلى الوالدين قد توجِد الاشتباه والوهم عند البعض، وذلك حينما يُظنُّ أنَّه يجب مداراتهما، واتباعهما حتى في مسألة العقيدة والكفر والإيمان؛ لكنَّ الآية تقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ لقمان :

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ)/ ١٥٩/٢ / كتاب الإيمان والكفر/ باب بر الوالدين / ٧.

[2]. ينظر: تفسير القرطبي: القرطبي/٢٤١.

[3]. المصدر نفسه: ٢٣٨.

١٥" [١] وقد ورد في تفسيرها: أنَّه قيَّد الصحبة لهما في دار الدنيا لإخراج الاستغفار والدعاء والشفاعة؛ لأنَّها من الصلات الأخروية. [٢] "فيجب أن لا تكون علاقة الإنسان بأمه وأبيه مقدمة على علاقته بالله مطلقًا، وأن لا تكون عواطف القرابة، حاكمة على عقيدته الدينية أبدًا" [٣] ، ثم إنَّ البر من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله، يقول الإمام الكاظم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في وصيته لهشام: "يا هشام: أفضل ما يتقرب به إلى الله بعد المعرفة به، الصلاة وبر الوالدين، وترك الحسد والعجب والفخر" [٤] ثم ينتقل الإمام الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى تعزيز الفكرة بقول الإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لتأكيد ذلك؛ لأنَّه فسَّر معنى الشرك المراد في الآية، وهو الطاعة لهم في معصية الله، وحذَّر من طاعة المخلوق إذا كانت في معصية الخالق، فالآية بمثابة كابح شرعي لمنع الغلو في تقديس البشر حتى وإن كانا الأبوين، في حالة تصادم ذلك مع توحيد الله وطاعته،[٥] وبهذا يكون النص القرآني هو الضابط الذي يمنع الجفاء مع الوالدين من جانب، ويمنع الانحرافات العقدية من جانب آخر، فقد جمع نص الإمام الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بين التوجيه التربوي وبين التوجيه العقدي في مقام واحد. ومن خلال ذلك كله نرى أنَّ قضية بر الوالدين هي من القضايا المهمة التي ركز عليها الدين الحنيف، وفي ظل التحديات المعاصرة وكثرة الانشغال، أصبح من الضروري الرجوع إلى توجيهات القرآن الكريم والعترة الهادية، وإعادة إحياء هذه القيمة الأخلاقية؛ لأنَّها من القيم الثابتة، ويجب أن لا تتأثر بإسقاطات الواقع المعاصر، كالانشغال بالتكنلوجيا

---

١. الأمثل: الشيرازي/ ١٣/ ٢٨، ٢٩.
٢. ينظر: الذريعة إلى حافظ الشريعة: رفيع الدين الجيلاني/ ٢/ ٣٥٥.
٣. الأمثل: الشيرازي/ ١٣/ ٢٨، ٢٩.
٤. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٩١.
٥. ينظر: المصدر نفسه: ٤٢٠.

ووسائل التواصل الحديثة التي أدت إلى تراجع التواصل الفعلي مع الوالدين، فتحوّل الأمر من الرعاية إلى الإهمال غير المباشر، فلم يعد العقوق صريحًا، بل تحول إلى تقصير في بعض المسؤوليات كالزيارة، والدعم العاطفي والنفسي، واقتصر في بعض الأحيان على الدعم المادي، وإهمال الجانب المعنوي، لذا لا بد من تفعيل البعد العملي للبر من خلال تخصيص وقت يومي أو أسبوعي لهما، والاهتمام بالحاجات النفسية والعاطفية لهما، وتحويل وسائل التواصل الحديثة من مانع، أو معيق لبر الوالدين إلى وسيلة لخدمة هذا المبدأ الأخلاقي العظيم الذي يحفظ للأسرة دورها الكبير في بناء المجتمع السليم .

## ثانيًا: صلة الرحم.

من آداب أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) لأصحابه "(صِلوا أرحامكم ولو بالسلام لقول الله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ النساء: ١)" [1].

تُعَدُّ صلة الرحم من القربات العظيمة والطاعات الجليلة، وهي امتداد لبر الوالدين؛ لأنَّ الوالدين هما أصل الرحم، والإحسان إليهما يُقوي الصلة مع بقية الأقارب، ويرسّخ هذه القيمة الأخلاقية التي أمر الله عزَّ وجلَّ بها في القرآن الكريم، وأكدت عليها الروايات الشريفة؛ وذلك لأثرها العظيم في ترسيخ أواصر التكافل بين الأفراد، وهي من علامات الإيمان والخلق الحسن؛ إذ تترتب عليها آثار إيجابية؛ فهي تؤدي إلى الاستقرار الأسري وتجعل المجتمع متماسكًا، والرحم هم "قرابة الرجل من جهة طرفيه، آبائه وإن علوا،

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ١٠٣.

وأولاده وإن سفلوا، وما يتصل بالطرفين من الأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام والعمات" [1]، وهي مأخوذة من "(الرحم) رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة" [2]. والمراد من صلة الرحم هو: أن يُحسن المرء إلى أقاربه قولاً وفعلاً، ومن ذلك زيارتهم، والسؤال عنهم، وتفقد أحوالهم، ومساعدتهم عند الحاجة، وعيادة مرضاهم وغير ذلك من صور الإحسان [3]. وقد مدح الله الذين يصِلون أرحامهم في مواضع عدة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ الرعد:٢١، وذم الذين يقطعون الرحم، قال تعالى:﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد: ٢٢، ٢٣، وقد حظيت هذه القيمة الأخلاقية بمنزلة عظيمة في الروايات الشريفة فقد وردت روايات كثيرة في فضل صلة الرحم، ومن ذلك ما ورد عن جميل بن درّاج "قال: سألت أبا عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) عن قول الله جلَّ ذكره: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١ قال: فقال: هي أرحام الناس، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر بصِلتها وعظّمها، ألا ترى أنّه جعلها منه" [4]، وورد في تفسيرها "أي يسأل بعضكم بعضًا به...أي تتساءلون بالله وبالأرحام، كقولهم: أسألك بالله وبالرحم أن تفعل كذا" [5]، وصلة الرحم تزيد في الرزق، وتطيل العمر، وتدفع السوء قال أبو جعفر

---

[1]. مرآة العقول: المجلسي/ ٨ / ٣٦١.

[2]. المفردات: الراغب الأصفهاني/ ١٩٠.

[3]. ينظر: حقوق العائلة في الإسلام: سعيد السدّاوي / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان / ٤٢١.

[4]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ)/ ٢/ ١٥٠ / كتاب الإيمان والكفر/ باب صلة الرحم/ ١.

[5]. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من أعلام القرن الثاني عشر) / تحقيق: حسين دركاهي/ط١/ مؤسسة شمس الضحى/طهران/ ١٤٣٠هـ/ ٣/ ٣٢٦.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ): "صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتنمّي الأموال، وتدفع البلوى، وتُيسّر الحساب، وتُنسيء في الأجل" [1] وينبغي لمن أراد رضا الله تعالى ونعيم الجنة أن يكون وصولاً للرحم؛ لأنَّ قاطع الرحم محروم من دخول الجنة إلا أن يتوب [2] . ومن خلال الرجوع إلى المقطع الذي ذكرناه في البداية نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ذكر صلة الرحم ضمن الآداب المأثورة عنه، وهو ما يعرف بحديث الأربعمئة [3]، مما يدل على أنَّ هذا العمل من الأمور التي هذّب عليها أصحابه، وحين نقرأ الآية الكريمة التي استشهد بها الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نرى الترابط الوثيق بين صلة الرحم والتقوى فهي من سمات المتقين، فقد جعلها الله تعالى مقرونه به، فقد ورد في تفسيرها "واتقوا الله الذي تسائلون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها" [4] مما يؤكد على أهميتها، فهي عبادة جليلة لا مجرد عرف اجتماعي، والإخلال بها هو إخلال بجانب من جوانب التقوى، ويبرز في هذا النص الجانب الرقابي، فقد نقل الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مفهوم صلة الرحم من الإطار العاطفي إلى الإطار الرقابي، ممّا يؤكد على أنَّ علاقة الإنسان برَحِمه هي تحت رعاية الله تعالى ونظره، ونظرًا لأهميتها فلا يمكن التهاون بها، ويمكن أن تتحقق بشتى الطرق، فتتحقق بمجرد السلام، فالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يريد أن يبيّن أنَّ الهدف هو بقاء الود ونبذ القطيعة، وأنَّ الحد الأدنى لتطبيق ذلك هو

---

[1]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٢ / ١٥٠ / كتاب الإيمان والكفر/ باب صلة الرحم/ ٤.

[2]. ينظر: أسنى المطالب في صلة الأقارب (فضائل صلة الرحم وتحريم قطعها) / أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ) / تحقيق: خلاف محمود عبد السميع / منشورات: محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان / ١٣٣.

[3]. ينظر: كتاب الخصال: الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) / تحقيق: علي أكبر الغفاري / منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم المقدسة / ١٤٠٣هـ / ٢ /٦١٠ / أبواب المئة فما فوقه / ١٠؛ وينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ١٠٠.

[4]. جامع البيان: الطبري/ ٣ /١٥٢.

السلام، ممّا يقطع الطريق أمام التبريرات التي تسبب قطيعة الرحم، وتحت وطأة الانشغالات المتزايدة، وصخب الحياة العصرية، هناك من يظنُّ أنَّ بعض القيم الإنسانية النبيلة _ ومنها صلة الرحم_ هي من الطقوس الموسمية في الأعياد والمناسبات فقط، أو أنَّها من مخلّفات الماضي، وفي الواقع إنَّ صلة الرحم عبارة عن علاقة إنسانية متجددة، وسلوك نبيل يُمَثِّلُ قاعدة أساسية لبناء المجتمع المتماسك، فلابد من إيجاد صيغ جديدة لمواكبة التطور ومتغيرات العصر، واستغلال الوسائل الحديثة في تفعيل هذه الطاعة المقدسة والمحافظة على دوامها، فهي ليست مجرد طقس أخلاقي، بل هي فريضة دينية ومن أعظم القربات، فهي تمنح الفرد إحساسًا بالأمان والانتماء، فبدلاً من أن يكون التطور الرقمي عائقًا أمام التواصل بين الأهل والأقارب، يمكن تسخيره في خدمة هذه الفريضة المهمة عبر إنشاء مجموعات للتواصل مع الأقارب حتى في الأماكن البعيدة، وتنظيم الأوقات للحصول على فرص للتواصل والزيارات المتبادلة؛ لأنَّ صلة الرحم مرآة لرقي المجتمعات وتعبير عن الإنسانية، فالإنسان اجتماعي بطبعه، فمن الأولى أن يكون اجتماعيًا مع أرحامه، وبالرغم من العزلة التي فرضتها الحياة المعاصرة، تبقى العلاقات الأسرية هي الملاذ الآمن الذي يحمي الفرد من قسوة وضغوط الحياة، [1] فنحن نرى كيف تعاني المجتمعات الغربية البعيدة عن روح الإسلام من التشتت والغربة، فهم يفتقدون لهذه التجمعات العائلية التي تملؤها الألفة والحب والتراحم، بينما نجد المجتمع الإسلامي الذي يستند إلى تعاليم القرآن الكريم والعترة الطاهرة

[1]. ينظر: صلة الرحم: موفق هاشم الرحال / ط١ / الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / تدقيق: مصطفى كامل محمود /كربلاء المقدسة / ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦ م/ ١٧.

ظلَّ محافظًا ولو بمقدار جيد على تلك القيمة الأخلاقية الفاضلة، وبهذا النص تتجلى المرجعية القرآنية في كلام المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بوضوح.

## المطلب الثاني :

## المرجعية القرآنية في تفعيل ثقافة الوعي الصحي.

الإنسان عبارة عن جسد وروح، وقد تناولنا في المطلب الأول الجانب الروحي من خلال الوقوف على المرجعية القرآنية في بناء الأسرة، واتمامًا لمنظومة الرعاية الإنسانية التي تمثلت في تنظيم الأواصر الاجتماعية بوصفها الضامن للاستقرار الأسري، سننتقل هنا إلى الجانب المادي الذي يتعلق بصحة وسلامة البدن، إذ لا ينفصل الجسد عن الروح في الرؤية القرآنية، فالحقوق المتبادلة بين الأرحام تكتمل ثمرتها بالوعي الصحي الذي يضمن سلامة الفرد المسلم، كي يكون قادرًا على أداء الحقوق والواجبات المترتبة عليه في الجانب الأسري؛ لأنَّ البدن أمانة يجب المحافظة عليها من خلال الاهتمام بالغذاء الصحي، والاستشفاء ببعض الأطعمة والأشربة، ومن هنا برزت ضرورة دراسة الجانب الصحي مع الجانب الأسري في مبحث واحد؛ لأنَّهما المقوم الأساس لضمان كفاءة الإنسان، وقدرته على أداء دوره الاجتماعي والرسالي؛ لذا سنقوم باستقصاء النصوص التي وردت في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، والتي تضمنت آياتٍ قرآنية فيها إشارات صحية، وكيف وظّف المعصومون (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) تلك النصوص في التوجيهات الصحية، والحثِّ على الاهتمام بسلامة البدن، من خلال نوعية الأطعمة والأشربة التي يُفَضّل تناولها؛ لينعم الإنسان بصحة جيدة وبدن معافى

## أولاً: العسل.

من الآداب الصحية لأمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأصحابه: "(لعق العسل شفاء، قال الله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ النحل :٦٩)" [١]

العسل "هو لعاب النحل تخرجه من أفواهها" [٢]، وهو "مادة سكّرية تُنْتَجُ بدءًا من الرحيق والمحاليل السكرية الأخرى التي يجنيها النحل من النباتات، ثم تُغنى بمواد من جسمها فتحولها جميعها إلى العسل الذي تضعه في داخل إطاراتها وتقوم بإنضاجه" [٣] وهو غذاء طبيعي أنعم الله به على بني آدم، فقد ظل الإنسان يعتمد على العسل في الأكل لقرون عديدة قبل معرفة أنواع الأغذية كالخبز واللبن والحبوب ... وغيرها [٤]. وهو "غذاء كامل، به تحصل قوة الشفاء، والمفعول الطبي له هو خلاصة لمفعول جميع الزهور التي يجني منها النحل رضابه" [٥] فهو شفاء من العديد من الأمراض؛ لأنَّه "يحوي عناصر ثمينة " [٦]؛ لذا فهو قاتل للجراثيم المسببة للأمراض.

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ١١٣.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي / منشورات: دار مكتبة الحياة / بيروت – لبنان / مادة (عسل)/ ٨ / ١٦.

٣. نباتات العسل (النحل ومنتجاته، التداوي بالعسل): آلان سوري / ترجمة: دار طلاس / مراجعة: الدكتور لؤي أهدلي اليماني / ١٩٩٢م / ١٦.

٤. ينظر: معجزة العسل شفاء ودواء: ياسر كنعان / ط١/ المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م/ ٨.

٥. طب الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ): شاكر شبع/ ط١/ دار الأثر/ بيروت _ لبنان/ ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٢م/ ٢٨٧/ هامش: ١.

٦. معجزة العسل شفاء ودواء: ياسر كنعان/ ٣٩.

وللعسل أنواع تختلف حسب نوعية الأزهار التي يحصل منها النحل على الرحيق و"يعتمد مذاق العســـل على نوع الزهرة، التي يتغذى عليها النحل في مرحلة جني الرحيق، فكلما كانت رائحة الزهرة طيبة، كلما كان العسل طيب المذاق" [١]. وأجود أنواع العسل ما كان شديد الحلاوة "أجوده ما كان في غاية الحلاوة، وكان فيه حذو للسان، طيب الرائحة مائل إلى الحمرة، ما هو ليس برقيق، بل متين، وإذا أخذ بالأصبع انجذب المتعلق بها، الناصع اللون الصافي، الذي ينفذ فيه البصر، ومذاقته حرّيفة حادة لذيذة، في غاية اللذاذة، إذا رفعت منه بأصبعك سال إلى الأرض ولم ينقطع" [٢].

وقد ورد ذكره في وصايا النبي وأهل بيته (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الصحية، فقد ورد عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: "(ما استشفى الناس بمثل العسل)، وعن أبي الحسن (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال:(ما استشفى مريض بمثل العسل)" [٣] . وعن النبي (ﷺ): "(لا تردوا شربة العسل على من أتاكم بها)" [٤]. والعسل نافع للحفظ، فعن النبي (ﷺ): "(من أراد الحفظ فليأكل العسل)" [٥] . وغيرها من الروايات الشريفة في فوائد العسل وفضل الاستشفاء به، وبالنظر إلى النص الذي قدمناه من آداب أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأصحابه،

---

١. أسرار العسل العجيبة: هيام رزق، معصومة علامة / ط١ / دار القلم/ ١٣.

٢. المعتمد في الأدوية المفردة: الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني صاحب اليمن (٦٩٤هـ) / تحقيق: مصطفى السقا / ط٢ / مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر / ١٣٧٠هـ – ١٩٥١ م /٣٢٣.

٣. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ٦/ ٣٣٢ / كتاب الأطعمة / باب العسل / ١، ٥.

٤. عيون أخبار الرضا: أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) /تعليق وتصحيح: حسين الأعلمي / ط٢ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان / ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م / ٢ / ٣٩.

٥. مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / دار الأمير / النجف الأشرف / ١٠٤.

نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يربط بين الفعل وعلّته الشـــرعية فبيّن أنَّ "لعق العســـل" [1] هو شـــفاء من الأمراض اسـتنادًا إلى نص قطعي من القرآن الكريم، وفي ذلك إشـارة دقيقة إلى أنَّ العسـل ليس مجرد مادة طبيعية، أو نوع من الأطعمة فحســـب، بل هو آية من آيات الله تعالى، وبهذا يوجّه الأنظار إلى التدبر في آيات الله، ومنها هذا المخلوق الصـغير، وكيف سـخّره الله تعالى لمنفعة الإنسـان، ممّا يؤكد على أنَّ الطبيعة كلها مسخَّرة بأمر الله عزَّ وجلَّ لخدمة الإنسان وصحته، وفي النص دلالة على اهتمام أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بالتوعية الصـــحية، وهذا نابع من اهتمام القرآن الكريم بذلك فهم يأخذون تعاليمهم عنه.

## ثانيًا: الماء.

ننتقل إلى مقطع آخر من آداب أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لأصحابه أيضًا وهو قوله: "(اشربوا ماء السماء، فإنَّه طهور للبدن، ويدفع الأسقام، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ الانفال :١١)".[2]

الماء من أعظم النعم التي مَنَّ الله بها على الإنسان، فهو المادة الأولى التي خلق الله منها جميع الأشياء قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء ٣٠، [3] . وتُعَدُّ الكرة الأرضية من أكثر كواكب المجموعة الشمسية

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ١١٣.

[2]. المصدر نفسه:١٢٤.

[3]. ينظر: الماء بين العلم والإيمان: الدكتور هاني عبد القادر عمارة / زهران للنشر / ٢٩.

وفرة بالماء، وتقدر نسبته ٧١٪ من مساحة الكرة الأرضية [١]، وللماء خاصية فريدة وهي: أنَّه يتوفر بحالاته الثلاث على وجه الكرة الأرضية (السائلة، الصلبة، الغازية) [٢] "وهذه الميزة الفريدة تجعل الماء هو المادة الوحيدة المؤهلة لتقوم بواحدة من أهم الدورات الحيوية على سطح الأرض تلك هي الدورة المائية التي من دونها، لا يمكن أن تكون حياة برية على سطح الأرض" [٣].

وأنواع المياه حسب مصدرها هي: مياه الأمطار، والمياه السطحية وتشمل: (مياه البحار والبحيرات والأنهار وغيرها)، والمياه الجوفية [٤] . وفي المقطع الذي تقدَّم لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يوصي أصحابه بشرب ماء السماء؛ أي مياه الأمطار؛ و"المراد من السماء هنا مطلق العلو، فإن كل ما علاك فهو سماء، ولأجل ذلك يطلق على السحاب، فيكون المراد بالماء هو ماء المطر" [٥] وقد ورد أنَّ السماء سميت سماء: "لأنها وسم الماء يعني معدن الماء" [٦]، ومياه الأمطار ذات خصائص مميزة تختلف عن غيرها من أنواع المياه الأخرى، ولها فوائد صحية عظيمة، وقِيل إنَّ "مياه المطر أخف المياه وأعذبها وأرقها وأصفاها" [٧] فهي الأفضل من بين أنواع المياه؛ لأنَّها تتكون بفعل تصاعد بخار الماء من البحار والأنهار وسائر

---

١. ينظر: الماء " الذهب الأزرق " في الوطن العربي: خالد محمد الزواوي / مجموعة النيل العربية / ١٣٢.

٢. ينظر: عجائب الماء (ملائمة الماء المثالية للحياة على الأرض والبشر) / مايكل دنتون / ترجمة: فداء ياسر الجندي / ط١ / مركز دلائل للنشر / الرياض – المملكة العربية السعودية/ ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢١ م / ٢٣.

٣. عجائب الماء: ٢٣.

٤. ينظر: الماء "الذهب الأزرق" في الوطن العربي: خالد محمد الزواوي ١٢٤.

٥. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري / ط٥ / منشورات دار التفسير /قم – إيران/ ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م / ١٤ / ٢١٦.

٦. علل الشرائع: الشيخ الصدوق / ط١ /دار المرتضى / بيروت – لبنان / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م / ١/ ١٠.

٧. كتاب الأهوية والمياه والبلدان: لأبي الطب أبقراط / ترجمة: شبلي شميل/ طبع: مكتبة المقتطف – القاهرة / ١٨٨٥ م/ ٣٠.

المسطحات المائية بسبب الحرارة، فيتجمع في طبقات الجو العليا بفعل الرياح، ثم يتكاثف ليُكَوّن السحب، وكلما زاد التكاثف اصطدمت السحب بعضها ببعض، فتشكلت قطرات الماء، لتسقط مطرًا، ولأنَّ ماء المطر تكوَّن من بخار متصاعد خال من الأملاح والشوائب؛ فهو أقرب إلى العذوبة والصفاء مقارنة بالمياه الأخرى التي تختلط بعناصر الأرض المختلفة [١] . "وماء المطر من المياه الفاضلة، وخصوصًا ما كان صيفيًا، ومن سحاب راعد، لا يكون من سحاب ذي رياح عاصفة، فيكون كَدِر البخار ... وأجوده ما أُخِذَ من أرض جيدة وهو أبرد المياه وأعذبها وأخفها وزنًا" [٢]، ولمياه المطر فوائد كثيرة فهو نافع للسعال إذا تم طبخه مع أدوية السعال [٣] . وقد تحدث العلماء عن خاصية عجيبة لماء السماء وهي أنَّه يستطيع أن يجدد خلايا الجسم، وعلماء الطاقة أكدوا على أنَّ ماء المطر غني بالطاقة التي لها أثر إيجابي على حالة الإنسان النفسية [٤]. من خلال ذلك نستنتج أنَّ الإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في وصيته لأصحابه بشرب ماء السماء، قد وصفه ب ( الطهور)، وهو تعبير يفيد المبالغة في الطهارة؛ فهذا الماء له القدرة على تنقية الجسم والمحافظة على صحته؛ فهو يحدُّ من أسباب الأمراض، وهذا ما ينسجم مع الرؤية القرآنية لوظيفة ماء المطر، فقد وصفه القرآن بخاصية التطهير، لذا لجأ الإمام إلى توظيف النص القرآني الذي يربط بين الطهارة البدنية ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ الأنفال:١١، وبين الطهارة النفسية ﴿ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾الأنفال:١١، وهذا ما يحتاج إليه الإنسان ليتمكن من تجاوز الصعوبات، فقد ورد في نزول

---

[١]. ينظر: كتاب الأهوية والمياه والبلدان: أبقراط/ ٣٢

[٢]. المعتمد في الأدوية المفردة: يوسف بن عمر الغساني/ ٤٧٣، ٤٧٥.

[٣]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٥.

[٤]. ينظر: الماء بين العلم والإيمان: هاني عمارة / ٣٢.

هذه الآية أنَّها نزلت في معركة بدر قال ابن عباس: "(معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان، بأنَّه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلّوا وأنتم مجنبين؛ لأنَّ المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء، فأصبحوا مجنبين، فوسوس إليهم الشيطان، فيقول: تزعمون أنَّكم على دين الله وأنتم على غير الماء تُصلّون مجنبين، وعدوكم على الماء، فأرسل الله عليهم السماء فشربوا واغتسلوا، وذهب به وسوسة الشيطان)" [١].

فتعامَلَ الإمام(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) مع النص القرآني كداعم لقضية صحية تهم بدن الإنسان، ولم يفسر الآية تفسيرًا تأريخيًا محصورًا في معركة بدر فحسب، فعلى قاعدة الجري والانطباق "فإن الآية لا تختص بمورد نزولها، بل تجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكًا" [٢]، فالإمام استحضر مرجعية الآية الكونية والتشريعية؛ لأنَّ الماء وفق الرؤية القرآنية هو مصدر للطهارة والشفاء في كل زمان ومكان، وبهذا نرى أنَّ المعصومين (عَلَيۡهِمۡ ٱلسَّلَامُ) جعلوا من النص القرآني دليلاً مرشدًا نحو مصادر القوة والعافية، ممّا يعزّز الثقافة الصحية في الدين الإسلامي.

## ثالثًا: الرطب.

ومن آداب أمير المؤمنين علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لأصحابه أيضًا: "(ما تأكل الحامل شيئًا ولا تبدأ به أفضل من الرطب، قال الله: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ ﴾ مريم: ٢٥)" [٣].

---

١. التبيان: الطوسي/ ٥ / ٨٦.

٢. اللباب في تفسير الكتاب: كمال الحيدري/ تدقيق: عبد الرضا عبد الحسين/ط١/ دار فراقد / قم _ إيران/ ١٤٣١هـ_ ٢٠١٠م/ ١/ ٧١.

٣. تحف العقول: الحرّاني/ ١٢٤.

نستكمل الآن رسم الخريطة الصحية للإنسان من خلال التركيز الدقيق على الفئات التي تحتاج إلى رعاية أكثر، كالمرأة الحامل، فالإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) يذكر ضمن مجموعة الآداب فائدة الرطب للمرأة في وقت الحمل مستندًا إلى قصة السيدة مريم (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)، إذ تضمنت إشارة طبية، وهي فائدة أكل الرطب في فترة الحمل وعند اقتراب الولادة. فالحادثة لم تكن مجرد قصة تأريخية تُسْرد لغرض التسلية، بل يمكن الإفادة منها من جوانب عدة، ومنها الجانب الصحي، فالله تعالى عندما اختار الرطب دون غيره من أنواع الأطعمة والأشربة ليكون غذاءً خاصًا في لحظة المخاض، فهو يضع دستورًا صحيًا لتغذية الحوامل في كل زمان ومكان، وليس للسيدة مريم فحسب، فالرطب له خاصية فريدة، إذ يحتوي "على هرمون (اليتوسين) وهذا الهرمون يعمل على تقوية عضلات الرحم وينظم انقباضاته العضلية عند الولادة فيقوم بأداء وظيفة وعكسها في آنٍ واحد حسب حاجة الجسم" [١] ، فهو مفيد في عملية الطَلَق ويمنع النزيف ويسهم في الوقاية من حمّى النفاس، والوقاية من خطر ارتفاع ضغط الدم، وهو مهدئ جيد للأعصاب [٢]. وله دور في زيادة لبن الأم للرضاعة [٣] . وكذلك يُعَدُّ الرطب مادة مُلَيِّنَة فهو يساعد في تنظيف القولون وتسهيل الولادة [٤] . والرطب غني بعنصري الكالسيوم والحديد؛ لذا فهو أفضل طعام للمرأة وقت النفاس، فكمية الكالسيوم والحديد الموجودَين في الرطب تكفي لتكوين لبن الرضاعة، ولتعويض الأم عن النقص الحاصل

---

١. صحتك ومرضك في طعامك: فؤاد عبد العزيز أحمد الشيخ/ دار النشر للجامعات / ٢١٦.

٢. ينظر: خلاصة تذكرة داوود في التداوي بالأعشاب والنباتات: جمع وترتيب: سيد مبارك / الناشر: المكتبة المحمودية/ ١٩

٣. ينظر: صحتك ومرضك في طعامك: فؤاد عبد العزيز أحمد الشيخ/ ٢١٦.

٤. ينظر: فوائد التمر: عبد العزيز إسماعيل أحمد / مجلة الفيصل / نشر: دار الفيصل الثقافية / العدد: ٢٩١ / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م/ ١١١.

بسبب الولادة أو الرضاعة، والكالسيوم والحديد عنصران حيويان لنمو الطفل الرضيع، إذ يُعَدَّان من أهم العناصر التي تدخل في تكوين الدم ونخاع العظم [١]. ويحتوي أيضًا على الألياف التي تقلل من الأمراض كالإمساك وعسر الهضم، وهو غني بالأحماض الأمينية والبروتينات والسكريات ... وغيرها من المركبات النافعة للجسم [٢]. ونجد في كثير من الروايات الحثُّ على إطعام المرأة الحامل التمر في الشهر الأخير من حملها ومنها، قول النبي (ﷺ): "(أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإن ولدها يكون حليمًا نقيًا)، وعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أيضًا قوله: (أطعموا نسائكم التمر البرني في نفاسهن تجمّلوا أولادكم)" [٣].

نستنتج من خلال ذلك كله أنَّ أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يرجعون إلى مصدرهم الأول وهو القرآن الكريم في توجيه النصائح لصحة البدن، وهذا الرجوع يمنح السلوك الصحي سمة القدسية، فالمؤمن يتعبد بالامتثال لتلك النصائح بوصفها نابعة من القرآن الكريم، فكمال العافية مرهون باتباع الإشارات القرآنية.

ومن كل ما سبق نخلص إلى أنَّ المرجعية القرآنية في خطاب المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تشكّل الركيزة الأساسية في صياغة دستور متكامل لحياة الفرد؛ إذ إنَّ خطابهم يوازن بين الواجبات الاجتماعية والضرورات البدنية، فقد أثبتنا أنَّ المنظومة الأسرية ليست مجرد علاقات عاطفية، بل هي عبارة عن

---

١. ينظر: طب الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ): محسن عقيل/ ط٣/ منشورات ذوي القربى/قم/٦٠ /د.ت.

٢. ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.

٣. مكارم الأخلاق: الحسن بن الفضل الطبرسي/ ١٠٦.

تكليف شـرعي مسـتند إلى الوحي، إذ اسـتُحضِـر النص القرآني مؤصِّـلاً لبر الوالدين، وصـلة الرحم، ولضـمان حفظ النسـيج المجتمعي، وبالتوازي مع ذلك كشـفنا عن ملامح الرعاية الصـحية عن طريق اسـتنطاق الآيات الكونية والطبية، فكانت آيات (العسـل، وماء السـماء، والرطب لمريم (عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ )) مؤكدة على أنَّ القرآن الكريم هو مرجع أعلى يصـون الأبدان كما هو مرجع لصـلاح المجتمع، وإنَّ نصـوص "تحف العقول عن آل الرسـول" حوَّلت المفاهيم القرآنية إلى ممارسـات سـلوكية وصـحية دقيقة هدفها بناء الشـخصـية القرآنية المعافاة صـحيًا، والتي تتمتع بعلاقات طيبة مع الأسرة والأقارب، وهذا ما يهدف إليه الدين الإسلامي الحنيف.

# الفصل الثالث

## المرجعية القرآنية في تأصيل العقيدة وتنظيم التشريع.

- المبحث الأول: دور المرجعية القرآنية في التأصيل للعقيدة
- المبحث الثاني: المرجعية القرآنية في تنظيم التشريع.

# المرجعية القرآنية في تأصيل العقيدة وتنظيم التشريع.

بعد أن استعرضنا في الفصلين السابقين منهجية أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في استحضار النصوص القرآنية، والوظائف التي اضطلعت بها تلك النصوص في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، وأثر المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع، ننتقل إلى الفصل الثالث لنعرج فيه إلى فضاءين مهمّين هما: فضاء العقيدة، وفضاء التشريع، لنختم بهما رحلة هذه الدراسة عن المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول"، إذ نسعى هنا إلى بيان دور الوحي في مسارين متكاملين لا ينفصلان في الفكر الإمامي؛ فمسار العقيدة يُعَدُّ ركيزة أساسية يُبنى عليها ميزان النجاة، إذ يقوم المعصوم باستنطاق الآيات كي يثبت دعائم (التوحيد، والنبوة، والعدل، والإمامة، والمعاد)، فتتحول العقيدة من مفهوم ذهني إلى حقيقة يقينية يستند إليها الإنسان ليصل إلى الخالق، أما المسار الثاني فيتجلى فيه دور النص القرآني في تنظيم الأحكام الفقهية، وبيانها، فنرى أنَّ أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) يرجعون إلى القرآن الكريم لبيان الحكم الفقهي وتوضيحه للناس، فالعقيدة هي الأصول، والتشريع هو الفروع، وسنقوم باختيار مجموعة من النصوص أمثلة على ذلك.

## المبحث الأول:

## دور المرجعية القرآنية في التأصيل للعقيدة:

العقيدة لغة: هي: "ما يدين الإنسان به، وهي مأخوذة من (عقد) وتعني الإحكام، والإبرام" [١]

واصـــطلاحًا: هي: "ما يؤمن به الإنســـان ويعتقده كوجود الله تعالى، وبعثة الرســـل، والعقاب والثواب وغيرها" [٢] ، أو هي: "مجموعة الأفكار والقيم التي يرتبط بها القلب ارتباطًا وثيقًا على مستوى التصديق والتديّن" [٣]. من خلال ذلك يتبيّن لنا أنَّ العقيدة هي: ما يعقد المرء عليه قلبه عقدًا جازمًا من غير شك. وفي كتاب "تحف العقول عن آل الرســـول" برهنت النصـــوص الواردة عن الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على أنَّ العقيدة هي حصن معرفي يستقي مشروعيته من صريح النص القرآني.

---

[١]. المصباح المنير: الفيومي(٧٧٠هـ) / مادة (عقد) /٤٢١.

[٢]. المعجم الفلسفي: جميل صليبا/ ١ / ٩٢.

[٣]. دروس منهجية في شرح عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر: حسين عبد الرضا الأسدي / قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية – معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية / ط١ / كربلاء المقدسة/ ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م / ١ / ١٨.

**المطلب الأول:**

## المرجعية القرآنية في مجال التوحيد والعدل الإلهي:

تُمَثّلُ مسألة التوحيد والعدل الإلهي القطب الذي تدور عليه منظومة العقيدة الإسلامية، وأساس معرفة الله تعالى بما يليق بجلاله، فالتوحيد هو الأصل الذي يُعرف به الله تعالى بوحدانيته في الربوبية والإلهية والأسماء والصفات، أما العدل فهو الثمرة المباشرة لهذا التوحيد في تنزيهه تعالى عن الظلم والعبث، فالإنسان يجد راحته وسكونه حين يدرك أنَّ هذا الكون الفسيح لم يخلق سدىً، وأنَّ أفعال الخالق سبحانه صادرة عن حكمة وعدل مطلق، فقد جرت السنة الإلهية بإن لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ مثقال ذرة[1]، ومن هنا جاءت فكرة الجمع بين هذين الأصلين، فلا يمكن استقامة مفهوم التوحيد في قلب العبد مالم يقترن بالاعتقاد الجازم بحكمة الله وعدله في قضائه وقدره فتتكامل أصول الإيمان لتشكل عقيدة ناصعة تربّي النفس على العبودية الصادقة والرضا والتسليم .

### أولا: التوحيد:

من النصوص التي وردت عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في التوحيد "(...قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود، إنَّ معرفة عين الشاهد قبل صفته

[1]. ينظر: العدل الإلهي: مرتضى مطهري/ ترجمة: عرفان محمود / مؤسسة أم القرى / دار الهدى/ ط٤/١٣٨٦هـ_٢٠٠٧م/ ٩، ١٠.

ومعرفة صفة الغائب قبل عينه. قيل: وكيف تعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): تعرفه وتعلم علمه وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك. وتعلم أنَّ ما فيه له وبه، كما قالوا ليوسف: ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ﴾ يوسف: ٩٠ فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب...)" [١].

يُعَدُّ التوحيد في منظور أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الأصلُ الذي تنبثق عنه سائر المعارف، فقد اتسمت الآيات القرآنية التي تؤصّل له بصبغة التنزيه تارة والشهود تارة أخرى، فنرى أنَّهم يستحضرون الآيات المحكمات لنفي التشبيه والتجسيم عن ذات الله المقدسة، ولإثبات التباين بين الخالق والمخلوق، ومن جانب آخر نرى الآيات الدالة على الحضور والشهود حاضرة في كلامهم أيضًا، فهم خزّان أسرار علم الله، وبهم عُرِفَ، وبهم عُبِدَ [٢]. "والتوحيد هو: أنَّ الله عزَّ وجلَّ واحد في الإلهية والأزلية لا يشبهه شيء ولا يجوز أن يماثله شيء، وأنَّه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب، وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلا من شذَّ من أهل التشبيه فأنهم أطلقوا ألفاظه وخالفوه في معناه" [٣] . ولأنَّ التصديق "بدين الله لا يمكن إلا بعد معرفته سبحانه، ولا تحصل المعرفة الكاملة إلا بالإخلاص في التوحيد، أي

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٢٨.

٢. ينظر: بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠ هـ) [من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عَلَيْهِ السَّلَامُ)] / تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم / ط١ / انتشارات المكتبة الحيدرية / ١٣٨٤ – ١٤٢٦ هـ/١ /٢٢١/ ٤١٠.

٣. أوائل المقالات: الشيخ المفيد [محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ – ٤١٣ هـ)] / تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري / ط ١/ الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد / ١٤١٣ هـ / ٥٢.

حصول التوحيد الخالص المنزَّه عن شوائب الشرك والتركيب والتشبيه" [1]؛ فقد حرص أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) على بيان التوحيد الخالص لله تعالى في مواقف كثيرة، وأثبتوا أنَّ الإدراك البشري للذات الإلهية محدود، فقد سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرّفني نفسه، قيل: وكيف عرّفك نفسه؟ فقال: لا تشبهه صورة، ولا يُحس بالحواس، ولا يُقاس بالناس، قريب في بُعده، بعيد في قُربه فوق كل شيء ولا يُقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يُقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره، ولكل شيء مبتدأ)" [2] . وعنه أيضًا قوله: "(أعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان)" [3]. أي أنَّ معرفة الله تعالى تتحقق عن طريق معرفة آثاره في هذا الكون، فكل الموجودات تدل على الخالق سبحانه لما فيها من الحكمة والإتقان، فمن أراد معرفة الخالق فعليه النظر في آثار وبديع صنعه، فهي تدل على تفرده بالخلق والتدبير [4]. وللتوحيد أنواع هي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأفعال والذي يتفرع منه توحيد الخالقية، وتوحيد الربوبية [5]. وفي

---

[1]. شرح توحيد الصدوق: القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمي (١٠٤٩ هـ – ١١٠٧ م) / تحقيق: الدكتور نجفقلي حبيبي / ط١ / مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي / طهران / ١ / ١٧٩.

[2]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ)/ ١/ ٢١٤/ كتاب التوحيد / باب أنه لا يعرف إلا به/٢٣٠؛ والتوحيد: الشيخ الصدوق [أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي] / تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني / ط ١٠ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم – إيران/ ١٤٣٠هـ / ٢٧٩.

[3]. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ)/ ١/ ٢١٣/ كتاب التوحيد/ باب أنه لا يعرف إلا به/٢٢٩؛ والتوحيد: ٢٧٩.

[4]. ينظر: التوحيد: الصدوق/ ٢٧٩ / هامش ٢.

[5]. ينظر: العقائد الإسلامية على ضوء القرآن الكريم: الشيخ محسن قراءتي / ترجمة: أحمد حسين بكر / المركز الثقافي للدروس القرآنية /٨٢.

المقطع الذي تقدَّم ذكره في بداية المطلب نرى أنَّ الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد وضع قاعدة معرفية قلبت الموازين التقليدية في البحوث العقدية؛ لأنَّه جعل الأصل هو "معرفة عين الشاهد قبل صفته" [1]، فهو يؤصّل لفكرة أنَّ الله تعالى هو مَن يُعرّفنا بنفسه، والنفس لا تُعرف إلا به، وقد استدل بنص قرآني من قصة النبي يوسف (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ لانَّ إخوته لم يعرفوه بالقياس الظني ولا بالتوهم القلبي، بل عرفوه عندما كشف لهم عن حقيقته. فهم حينما اعتمدوا على أنفسهم لم يعرفوه؛ لكنّه حين تكلّم وقال:﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ ﴾ يوسف: ٩٠ عرفوه وزال عنهم اللبس، فنرى كيف ربط الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بين الآية الكريمة وبين ضرورة الحذر من الأوهام والقياسات في معرفة الله تعالى وتوحيده، فالله سبحانه هو الشاهد الذي نعرفه بذاته أولاً ثم بصفاته، وكما قال الشيخ الصدوق (قدس سره): "القول الصواب في هذا الباب هو أن يُقال: عرفنا الله بالله، لأنَّا إن عرفناه بعقولنا، فهو عزَّ وجلَّ واهبها، وإن عرفناه عزَّ وجلَّ بأنبيائه ورسله وحججه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، فهو عزَّ وجلَّ باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حججًا، وإن عرفناه بأنفسنا فهو عزَّ وجلَّ مُحدثها، فبه عرفناه" [2].

نستنتج من خلال ذلك أنَّ المرجعية القرآنية في كلام المعصومين(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هي مرجعية استنطاقية تستخرج من النص القرآني القصصي قواعد معرفية كبرى، ولا تقف عند حدود السرد، وبذلك تصل إلى عمق التوحيد الخالص، وأنَّ المعرفة هي مِن مِنَن الله تعالى على عباده؛ فكما أنَّ يوسف (عَلَيْهِ السَّلَامُ) هو

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٢٨.

[2]. التوحيد: الصدوق/ ٢٨٣؛ وكتاب الاعتقادات: الشيخ الصدوق [أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي] (٣٨١ هـ) / تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام) / ط ٣ / قم المقدسة / ١٤٣٥هـ / ١٢٤.

الذي عرّف نفسه لإخوته، فكذلك الله تعالى يتجلى لخلقه فيعرفونه به، لا بغيره من المخلوقات وكما يقول الإمام أبو عبد الله الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في دعاء عرفة: "(...كيف يُسْتَدَلُّ عليك بما هو في وجوده مُفْتَقِرٌ إليك أيكونُ لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المُظهِرَ لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك ومتى بَعُدْتَ حتى تكونَ الآثارُ هي التي تُوصِلُ إليك...)" [1].

**ثانيًا: العدل:**

عن علي بن موسى الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في جوابه للمأمون حين طلب منه أن يجمع له الحلال والحرام والفرائض والسنن نأخذ منه موضع الشاهد وهو قوله: "(... ولا يأخذ الله عزَّ وجلَّ البريء بجرم السقيم، ولا يعذب الله الأبناء والأطفال بذنوب الآباء وإنَّه قال:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨،﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النجم: ٣٩، والله يغفر ولا يظلم...)" [2].

يُعَدُّ العدل الإلهي من المسائل المهمة في العقيدة، وهو مبدأ أكَّده القرآن الكريم؛ لأنَّه أساس الجزاء والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، وتتجلى فيه حكمة الله تعالى، وقد قرر القرآن الكريم تنزيه الله تبارك وتعالى عن الظلم والجور، وأنَّه يعامل عباده بالعدل المطلق، فلا يؤاخذ أحدًا بجُرم غيره، ولا يُحمّلُه ذنب

---

[1]. إقبال الأعمال: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (٦٦٤هـ) / تعليق: الشيخ حسين الأعلمي / ط١ / منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م / ٦٦٠.

[2]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٢١.

ما لم يفعل، والعدل هو "أن لا نتهم الله سبحانه، فيجب على كل مسلم الاعتقاد بأنَّ الله عادل، وأن يكون اعتقاده هذا عن علم ويقين وتصديق بأنَّه تعالى أعطى كل موجود ما يستحقه" [1] وفق الحكمة الإلهية، فالله تعالى منزّه عن العبث والقبح. وهو أصلٌ تتفرع عنه سائر القضايا الكلامية، فمسألة النبوة والإمامة نابعة منه، وقضية الجبر والتفويض، والقضاء والقدر، والإيمان بالمعاد كلها ترجع إلى العدل الإلهي وترتبط به ارتباطًا وثيقًا، [2] "فالعدل في القرآن قرين التوحيد، وركن المعاد، وهدف تشريع النبوة، وفلسفة الزعامة والإمامة، ومعيار كمال الفرد، ومقياس سلامة المجتمع" [3] وبه تمام التوحيد [4]. وعَدَّهُ الإمامية أصلاً مستقلاً من أصول الدين، رغم كونه من مباحث الصفات الإلهية، لذا فهو والإمامة من ضرورات المذهب، واختلفت المذاهب الأخرى في جعله أصلاً [5] . ونجد روايات كثيرة عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ) تشير إلى قضية العدل الإلهي ومنها الرواية التي ابتدأنا بها عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في جوابه للمأمون، إذ تؤكد هذه الرواية المبدأ القرآني الذي يقوم على العدالة الإلهية والمسؤولية الفردية، إذ يقرر النص أنَّ الله تعالى لا يؤاخذ أحدًا بذنب غيره، ولا يعاقب البريء بفعل المذنب، ويرجع هذا

---

[1]. عقائد ومفاهيم: السيد عبد الحسين دستغيب / ترجمة: موسى قصير / ط٣/ دار البلاغة / بيروت – لبنان /١٤١٣ هـ– ١٩٩٣ م / ٥٥.

[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٥٦.

[3]. العدل الإلهي: مرتضى مطهري / ط٢ / دار الإرشاد / بيروت / ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م /٣٦.

[4]. ينظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين: السيد عبد الله شبر (١٢٤٢هـ) / ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م / ١/ ٨٣.

[5]. ينظر: موسوعة العدل الإلهي – دراسة عقلية نقلية تحليلية – تقريرًا لأبحاث السيد كمال الحيدري / الشيخ حيدر اليعقوبي / مؤسسة الإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) /الكاظمية المقدسة – بغداد / ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦ م / ١ / ٢٨؛ وينظر: العدل شهيد المحراب: آية الله السيد عبد الحسين دستغيب الشيرازي / ترجمة: السيد أحمد القبانچي / منشورات مكتبة الفقية – الكويت / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م / ١٣.

المعنى إلى عدد من الآيات المباركة التي استحضرها الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وأنَّ رجوعه إلى تلك الآيات يكشف عن منهج أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في استنباط القواعد الكلية التي تنظم علاقة الإنسان بعمله، ومهامه أمام ربه، فالإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يربط بين مجموعة من الآيات القرآنية ليُثَبِّتْ قاعدة أخلاقية وعقدية مفادها أنَّ جزاء الله يقوم على العدل المحض، وأنَّ محاسبة الإنسان تكون تبعًا لسعيه واختياره وليس تبعًا لأفعال غيره، وبذلك تتجلى قيمة قرآنية كبرى وهي نفي الظلم عن الله تعالى، وإثبات عدله المطلق، ونرى في ذلك إشارة إلى الجمع بين العدل الإلهي والرحمة الإلهية؛ فالإنسان الذي لم يرتكب الذنب ليس من العدل أن يُعاقَب، بل هو في ظل رحمة الله تعالى، وكذلك الأطفال فالعقل يحكم بعدم محاسبتهم بذنوب آبائهم .

نستنتج من خلال ذلك أنَّ المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يُرجِعون المسائل العقدية والتشريعية إلى أصولها القرآنية، فيجعلون القرآن الكريم هو المرجع الأساس في ذلك، فهو المصدر المؤسس للمفاهيم العقدية، والأخلاقية، والتشريعية، وغيرها.

## ثالثًا: الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين:

من رسالة الإمام علي الهادي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في رَدّه على من قال بالجبر والتفويض، واثباته العدل والمنزلة بين المنزلتين، يقول فيها: "(... فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه، ورد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ الكهف: ٤٩، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ

ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ١٠ ، وقوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤ مع آيٍ [آيات] كثيرة في ذكر هذا. فمن زعم أنَّه مجبَر على المعاصي، فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته، ومن ظلم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة...)" [١] .

إنَّ من أدق القضايا العقدية، وأكثرها جدلاً في الفكر الإسلامي هي قضية الجبر والتفويض، فقد شغلت حيّزًا كبيرًا في الكتب الكلامية، وهي في الأصل متفرعة من العدل الإلهي، وتُعَدُّ قضية شائكة وحساسة في التأريخ الإسلامي، والجبر يعني: "إجبار الله تعالى عباده على ما يفعلون خيرًا كان أو شرًا، حسنًا كان أو قبيحًا، دون أن يكون للعبد إرادة واختيار الرفض والامتناع" [٢] ، أو هو "الاعتقاد بأنَّ الإنسان إنَّما هو آلة مسيرة لا إرادة له، وأنَّه ليس سوى وسيلة لحدوث الفعل الذي يريده الله ويقرره له" [٣] ، وهو مذهب الأشاعرة * أما التفويض فيعني: "هو أنَّ الله تعالى فوَّض أفعال العباد إليهم يفعلون ما يشاءون على وجه الاستقلال، دون أن يكون لله سلطان على أفعالهم" [٤] ، أو يعني "الاعتقاد بأنَّ

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٦١.

٢. عقائد الإسلام من القرآن الكريم: السيد مرتضى العسكري / ط٢ / المجمع العالمي لأهل البيت / بيروت / ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م / ١ / ٤٤٨.

٣. عقائد ومفاهيم: عبد الحسين دستغيب/ ١٠.

* "وهم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري" الملل والنحل: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩_ ٥٤٨هـ) / تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور/ ط٣/ دار المعرفة /بيروت _ لبنان/ ١٩٩٣م_ ١٤١٤هـ/ ١٠٦.

٤. عقائد الإسلام من القرآن الكريم: السيد مرتضى العسكري/ ١ / ٤٤٨.

الإنسان مستقل ومُخيّر في أعماله ويمكنه فعل ما يشاء، وترك ما لا يشاء لا يمنعه عما يشاء أحد، ولا يجبره على فعل ما لا يشاء أحد" [١] وهو مذهب المعتزلة*. وكلا الاعتقادين خاطئ ومرفوض على رأي الإمامية ومن قال بذلك فهو ضال [٢] ؛ لأنَّ الله تعالى لم يسلب الإنسان الاختيار فهو فاعل مختار، وفعله واختياره موافق لمشيئة الله وإرادته، فالواسطة "بين هذين القولين أنَّ الله أقدر الخلق على أفعالهم وملكهم من أعمالهم، وحدَّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبرًا لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع لهم الحدود فيها وأمرهم بحُسنها ونهاهم عن قبحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض" [٣] وهذا ما يُعَبَّرُ عنه بالأمر بين الأمرين، أو "المنزلة بين المنزلتين" وقد وردت روايات عن أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) تبيّن كيف أنَّهم وقفوا في وجه المعتقدين بهذه الأفكار الضالة، وإرشادهم إلى العقيدة الصحيحة، فعن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنَّه قال: "( لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين...)" [٤] . وعنه أيضًا: "(الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله في حكمه، وهو كافر، ورجل يزعم أنَّ الأمر مفوض إليهم، فهذا

---

١. عقائد ومفاهيم: عبد الحسين دستغيب/ ١٠.

* "وهم أصحاب واصل بن عطاء، ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويُلقَّبون بالقَدَرية لقولهم بقول جهم في إنكار القدر، والعدلية لقولهم بعدل الله وحكمته " الملل والنحل: الشهرستاني/ ٥٦؛ وينظر: مرآة العقول: المجلسي/ ٢/ ١٩٧، ٢٠٧.

٢. ينظر: بحار الأنوار: المجلسي/ ٥ / ١٦.

٣. حق اليقين في معرفة أصول الدين: السيد عبد الله شبر /١٠٣.

٤. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٦٠/ كتاب التوحيد/ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين/ ١٣.

وهن الله في سلطانه، فهو كافر، ورجل يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ كلَّف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ)" [1] .

من خلال ذلك كله نرى أنَّ الرواية التي وردت عن الإمام الهادي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) والتي ردَّ فيها على من قال بالجبر والتفويض ما هي إلا امتداد للروايات الواردة في هذا الشأن وقد استند فيها الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى جملة من الآيات القرآنية التي تنفي الجبر عن الله تعالى، وهذه الآيات تربط بين الحرية الشخصية والعدالة الإلهية، فانطلق الإمام من قاعدة عقلية مفادها أنَّ إجبار العباد على فعل المعاصي ثم معاقبتهم عليها هو (ظلم)، وأنَّ الله تعالى منزّه عن الظلم بنص قرآني صريح، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾الكهف : ٤٩، فكل قول ينسب الظلم إلى الله تعالى فهو قول باطل؛ لأنَّه يخالف النص القرآني، ثم تأتي الآية الثانية والتي أثبتت نسبة الفعل إلى العبد، فهو ينال جزاء ما قدمته يداه، ومُحالٌ أن يُعاقب الله الإنسان على فعل لم يرتكبه، وقد عبّرت الآية عن تنزيه الله عن الظلم بصيغة المبالغة (ليس بظلّام) تأكيدًا على نفي ذلك[2]، بعدها جاء الإمام بآية أخرى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤ لتقلب المسؤولية من الله إلى العبد؛ لأنَّه هو الذي يظلم نفسه بارتكاب الذنوب والموبقات؛ ليستحق العذاب في الآخرة جزاء ذلك. ثم يأتي الإمام بجملة من الآيات القرآنية لتعضيد الفكرة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا

---

[1]. التوحيد: الصدوق/ ٣٥١ / باب نفي الجبر والتفويض/ ٥.

[2]. ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: العلامة الشنقيطي/ دار عطاءات العلم/ط٥/١٤٤١هـ_ ٢٠١٩م /٥/ ٤٦.

يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾الأنعام: ١٦٠، ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ آل عمران: ٣٠، ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ﴾ غافر: ١٧، فيقول (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(... فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به ومثلها في القرآن كثير...)" [1]. وفي نفي التفويض يقول (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(... وأما التفويض الذي أبطله الصادق (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وأخطأ من دان به وتقلّده، فهو قول القائل إنَّ الله جلَّ ذكره فوَّض إلى العباد اختيارًا أمره ونهيه وأهملهم ... ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء، أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته ورده إلى اتباع أمره، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله وابطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول :﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ ﴾ الزمر: ٧ ، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، ٥٧ ، وقوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ النساء: ٣٦ ، وقوله: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾ الأنفال: ٢٠...)" [2] ، إذ تؤصّل هذه الآيات لمبدأ نفي التفويض المطلق، فالله تعالى لم يترك العباد ويخلّي بينهم وبين أفعالهم، دون تدخل من سلطانه ومشيئته، فالعبد محكوم بغاية وجودية، وليس مفوضًا إليه أمره، بل هو مقيّد بمنظومة الأوامر والنواهي، وإنَّه لا يملك من دون الله شيئًا، وإنَّ فعله وإن كان مختارًا فيه، إلا أنَّه يقع في دائرة سلطان الله وتدبيره. وبهذا نرى أنَّ تضافر هذه الآيات الكريمة في هذا

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٦٢، ٤٦٣.

[2]. المصدر نفسه: ٤٦٤.

النص يكشف عن منهج أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في الرجوع إلى القرآن الكريم وجعله حاكمًا على النظريات العقدية، فكل نظرية تصطدم مع النصوص القرآنية الصريحة هي مرفوضة، وبذلك يكون القرآن الكريم هو الأصل والمرجع الذي يستند إليه التوحيد المنزّه عن العبث والظلم.

**المطلب الثاني :**

## المرجعية القرآنية في تأصيل مبدأ الإمامة.

تُعَدُ الإمامة من المسائل المهمة التي احتلت حيزًا كبيرًا من خطابات المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)؛ كونها تعرضت للرفض من قبل طائفة كبيرة من الأمة الإسلامية؛ فكان من الضروري أن يتصدى أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) للدفاع عنها وإثباتها قرآنيًا، وهذا ما نراه واضحًا في جملة من نصوص كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" وقد ارتأينا إفرادها بمطلب مستقل ومن هذه النصوص:

**أولاً:**

من كلام للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) مع هارون الرشيد، وهو خبر طويل نأخذ منه موضع الشاهد: "(... ثم قال له: أريد أن أسألك عن العباس وعلي بما صار علي أولى بميراث رسول الله (ﷺ) من العباس والعباس عم رسول الله (ﷺ) وصنو أبيه؟ فقال له موسى (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): أعفني، قال: والله لا أعفيتك، فاجبني قال: فإن لم تعفني فآمنّي قال: آمنتك قال موسى (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): إنَّ النبي (ﷺ) لم يورِّث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، إنَّ أباك العباس آمن ولم يهاجر وإنَّ عليًا (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) آمن

وهاجر، وقال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴿٧٢﴾ ﴾ الأنفال: ٧٢ ، فالتمع لون هارون وتغير)" [1] .

بعد رحيل النبي الأكرم (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، انتهت النبوة؛ وذلك بانقطاع الوحي، ولأنَّه خاتم الأنبياء، فلا شريعة بعد شريعته فقد خُتمت الشرائع السماوية بها؛ لكن التكاليف والوظائف لم تنته؛ لأنَّ رسالة الإسلام شاملة وعامة لكل زمان ومكان؛ لذا فمن الضروري أن يكون هناك من يتكفّل بتحمّل هذه المسؤولية، ويجب أن تتوفر فيه صفات معينة ليتمكن من مواصلة أداء تلك المهام والوظائف، وقيادة الأمة الإسلامية، والذي يقوم بهذه المهمة هو (الإمام)، ومسألة الإمامة نابعة من ضرورة وجود خليفة تُلقى على عاتقه أعباء حفظ الرسالة الإسلامية ودوامها إلى أن يشاء الله [2] .

والإمامة تعني: منصب الإمام، ورئاسة المسلمين، والإمام هو الذي يأْتَمُّ به الناس من رئيس أو غيره [3]. وتُعَدُّ الإمامة مفهومًا محوريًا في الفكر الإسلامي؛ فهي تُمَثِّلُ امتدادًا لقيادة الأمة، وقد نالت هذه القضية اهتمامًا كبيرًا من النبي الأكرم (ﷺ) في كثير من المواطن، فمنذ الأيام الأولى للرسالة وهو يمهّد للإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لخلافة الأمة بعده، ففي سبب نزول قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء:٢١٤ في الحادثة التأريخية المعروفة التي قال فيها النبي (ﷺ): "(...أيكم يكون وصيّي ووزيري، وينجز عداتي ويقضي ديني؟ فقام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وكان أصغرهم سنًا وأحمشهم ساقًا وأقلهم مالاً فقال:

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٠٤.

[2]. ينظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام): الشيخ جعفر السبحاني / ترجمة: جعفر الهادي / ط ٢/ مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) / قم / ١٤٢٥ هـ / ١٧٩.

[3]. ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية/ ٢٧.

أنا يا رسول الله فقال: رسول الله (ﷺ) أنت هو)" [1] ، وقد ورد أنَّ فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) سُئِلَت: "(هل نص رسول الله (ﷺ) قبل وفاته على علي بالإمامة؟ قالت: واعجباه أنسيتم يوم غدير خم؟ ... ولقد سمعته يقول: علي خير من أخلفه فيكم... وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار...)"[2] ، فنرى أنَّ التأكيد على الإمامة، وتعيين مصداق الإمام في أحاديث عدة، ما هو إلا لعِظَم المسؤولية الملقاة على عاتق الإمام، في مقابل ذلك نرى اختلاف المسلمين بعد النبي (ﷺ) فيها "فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وتابعه أكثر الناس طلبًا للدنيا ... وبعضهم اشتبه الأمر عليه، ورأى طالب الدنيا مبايعًا له فقلَّده، وبايعه، وقصّر في نظره، فخفي عليه الحق، واستحق المؤاخذة من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه بسبب إهمال النظر، وبعضهم قلّد لقصور فطنته، ورأى الجمّ الغفير فبايعهم، وتوهّم أنَّ الكثرة تستلزم الصواب ... وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق، وتابعه الأقلّون الذين أعرضوا عن الدنيا وزينتها، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، بل أخلص لله تعالى واتبع ما أمر به من طاعة من يستحق التقديم" [3] ، ثم إنَّ الإمام يضطلع بمهام عظيمة ومسؤوليات كبرى من شأنها حفظ الدين والرسالة ومنها: القضاء، والرئاسة العامة، والمرجعية

---

[1]. تفسير القمي: القمي/ ٢ / ١٢٤، ١٢٥؛ وينظر: البداية والنهاية: ابن كثير (٧٠١_ ٧٧٤) / تحقيق: حسان عبد المنان/ بيت الأفكار الدولية/١ /٣٨٢.

[2]. كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: الخزاز القمي(٤٠٠هـ) /٣٠٣/باب ما جاء عن فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ) / تحقيق: محمد كاظم الموسوي، وعقيل الربيعي/ط١/ نشر: دليل ما/١٤٣٠هـ/ ٦؛ والإنصاف في النص على الأئمة الإثني عشر الأشراف (عليهم السلام) / السيد هاشم البحراني (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) /تحقيق: سلام الزبيدي؛ ويوسف العلي/ ط١/ مؤسسة أم القرى/ لبنان_ بيروت /١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م/ ٤٤٨.

[3]. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: الحسن بن يوسف بن المطهر [العلامة الحلي (٧٢٦ هـ)] /تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم مبارك / ط١ / مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية– لجنة المعارف الإسلامية/ مشهد المقدسة / ٣٥، ٣٦.

الدينية وغيرها من المهام التي كانت للنبي (ﷺ) ثم انتقلت إلى الإمام، ومن شروط منصب الإمام أن يكون معصومًا؛ لأنَّ الاعتقاد بأنَّ النبي (ﷺ) لا يمكن أن يصدر منه السهو والخطأ، ولا يشتبه عليه شيء؛ كونه معصومًا؛ يؤدي إلى الاعتقاد بعصمة الإمام أيضًا، لأنَّه ينوب عنه في كل مهامه عدا النبوة، وهذا ما يعتقده الشيعة الإمامية [1]. وكذلك يرون "أنَّ الإمامة منصب إلهي، وعهد منه لا يناله غير المعصوم، والرسول يبلّغ عن الله وينص عليه وذلك لقوله تعالى لخليله إبراهيم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ البقرة : ١٢٤ إذن فالإمامة عهد من الله ولا ينالها الظالمون"[2] ، ونرى أنَّ الأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) يؤكدون على هذه المسألة، وأنهم حجج الله تعالى على الخلق، وهم أحق الناس بوراثة النبي الأكرم (ﷺ) كما ورد في المقطع الذي ذكرناه في البداية من مناظرة الإمام الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) للرشيد، إذ يقدّم دليلاً قطعيًا على أحقِّية الإمام علي(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في الإمامة، ووراثة النبي (ﷺ) في حفظ الشريعة الإسلامية ودوامها، فقد استشهد بآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ الأنفال: ٧٢، والتي وضعت شروطًا للولاية وهي (الهجرة، الإيمان) وهذه تنطبق على شخص الإمام علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، ولا تنطبق على عم النبي (العباس)، وبهذا فإنَّ الإمام علي(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) وبعده الأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، هم أصحاب الإرث المادي والمعنوي للنبي

---

[1]. ينظر: الإمامة: الشهيد الشيخ مرتضى المطهري / ترجمة: جواد علي كسار / دار الحوراء للطباعة والنشر – مؤسسة أم القرى / ٥٠؛ وينظر: عقيدتنا (مختصر عقيدة الشيعة الإمامية: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي) / تقديم: سيد هادي خسرو شاهين/ إعداد: صالح الورداني/ ٨٣.

[2]. مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة السيد مرتضى العسكري /دار الكتب الإسلامية / ١٣٦٣ هـ/ ٢ / ٤٤٤.

الأكرم (ﷺ)، وتشير الرواية إلى أنَّ هارون قد التمع لونه وتغيّر[1] بعد سماع هذا الكلام، وهذا دليل على قوة حجة الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) المستندة إلى القرآن الكريم، التي جعلت الأولوية في الوراثة والولاية للإيمان والهجرة، وليس لمجرد القرابة النَسبية، وبهذا فإنَّ للنص القرآني حكم الفصل في تحديد أحقِّية الإمام علي(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) دون غيره.

**ثانيًا :**

عن الإمام الحسن العسكري (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في كلام له نأخذ منه موضع الشاهد: "(...لولا محمد (ﷺ) والأوصياء من ولده، لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضًا من الفرائض، وهل تدخل مدينة إلا من بابها؟ فلمّا منَّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم، قال الله في كتابه:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ المائدة: ٣، ففرض عليكم لأوليائه حقوقًا وأمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم، قال الله:﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ الشورى:٢٣)."[2] .

بعد أن بيَّنا في الفقرة الأولى من هذا المطلب مفهوم الإمامة والإمام، وتأكيد الروايات الشريفة عليها، وبم استحق الأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) هذه المنزلة، سنتطرق من خلال هذا المقطع إلى دور النبي الأكرم (ﷺ) والأوصياء من بعده في حفظ الشريعة، والعلاقة بين الرسالة والإمامة، فكما نعلم أنَّ "الأئمة القائمين مقام

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٠٥

[2]. المصدر نفسه: ٤٨٥.

الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء، وأنّهم لا يجوز منهم صغيرة ... وأنَّه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام" [١] لذا فهم أحقُّ بحفظ الشريعة المقدسة، فمن الشروط التي يجب أن تتوفر في الإمام هي: "أنَّ الإمام يجب أن يكون حافظًا للشرع عالمًا بجميع أحكام الله تعالى المودعة في كتابه لانقطاع الوحي بموت النبي (ﷺ) وقصور ما يفهمه الناس من الكتاب والسنة عن جميع الأحكام، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى عالم بجميع أحكام الله تعالى منزّه من الزلل في الاعتقاد والقول والعمل" [٢] وقد علمنا أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين وأنَّها من ضرورات المذهب، وأنَّها تتمتع بمكانة خاصة "فالتوحيد وهو الأصل الأول في الدين يصبح رمزًا حينما يكون الحاكم في المجتمع إمامًا معصومًا، وإلا فالشرك والطاغوت سوف ينموان بدلاً من التوحيد، وتظل النبوة والشريعة قائمتين ما دام القائد المعصوم يحافظ عليهما، وإلا فإنهما سوف يختلطان بالخرافات والتحريف والبدعة والطبائع الشخصية، وعندئذ يفقد الوحي اعتباره" [٣] ، وكذلك الحال في بقية الأصول والفروع فالمعاد لا يمكن معرفته، والاهتمام بمسائله بدون الإمام المعصوم، والإمامة لها دور محوري في إحياء الروح في العبادات، كالصلاة، والحج، والصيام، كما أنَّها ترسّخ مشروعية الجهاد في سبيل الله [٤]. والإمامة "هي منزلة الأنبياء، وأرث الأوصياء، إنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول

---

١. أوائل المقالات: المفيد/ ٦٥.

٢. حق اليقين في معرفة أصول الدين: السيد عبد الله شبر/١٩٢.

٣. العقائد الإسلامية على ضوء القرآن الكريم: محسن قراءتي/ ٣٥٦.

٤. ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٦.

(ﷺ) ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين، إنَّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ..." [1] .

من خلال ذلك نرى أنَّ حديث الإمام العسكري (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) الذي تقدَّم ذكره، يُعَدُّ مثالاً لمنهجية أهل البيت (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) في جعل الولاية أصلاً حاكمًا على فروع الشريعة؛ فالإمام يوظِّف النص القرآني للربط بين الرسالة والإمامة، فالإسلام الذي أراده الله تعالى، قد تمَّ وبلغ الكمال بتنصيب الإمام، إذ ينطلق الإمام من تشبيه الإمامة بالباب الذي يُدْخَلُ منه إلى المدينة، كذلك الأحكام يتعذر الإحاطة بها دون دليل، وهو الإمام المعصوم الذي أُمِرَ النبي الأكرم (ﷺ) بإعلان تنصيبه يوم الغدير بعد الرجوع من حجة الوداع [2]، فيربط الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) بين إتمام النعمة، وبين تنصيب الأوصياء بعد النبي (ﷺ)، فكمال دين الله مشروط بوجود الامتداد الرسالي، وهم الأئمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ)، فاستحضار الآية الكريمة ليس لمجرد السرد التأريخي لحادثة الغدير، بل لبيان البعد التشريعي في الآية، فالدين لا يكتمل إلا بالولاية والإمامة، ثم ينتقل الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ليتمم الاستدلال التشريعي الذي يُبيّن الحق المفروض لهؤلاء الأولياء وذلك عن طريق استحضار الآية الكريمة ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ الشورى: ٢٣، فيربط بين مودة الأولياء وأداء حقوقهم، وبين حليّة التصرف في الأموال والأزواج والمأكل والمشرب، وبهذا أصبح واضحًا لدينا دور المرجعية القرآنية في تأصيل عقيدة الإمامة والدفاع عنها.

---

[1]. مرآة العقول: المجلسي/ ٢ / ٣٨٦

[2]. ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي (٦٤٨_ ٧٢٦هـ) /تعليق: الشيخ جعفر السبحاني/ ط٢/ مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) / قم / ١٣٨٢هـ.ش/ ١٩١.

**ثالثًا :**

من النصوص التي وردت في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" هذا المقطع من آداب أمير المؤمنين علي(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) لأصحابه يقول: "(...نحن الخزّان لدين الله، ونحن مصابيح العلم إذا مضى منّا علمٌ بدا علمٌ، ولا يضلّ من اتبعنا، ولا يهتدي من أنكرنا، ولا ينجو من أعان علينا عدونا، ولا يُعان من أسلمنا، ولا يخلو عنا بطمع في حطام الدنيا الزائلة عنه فإنَّه من آثر الدنيا علينا عظُمت حسرته غدًا وذلك قول الله: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ الزمر:٥٦)" [١].

تطرقنا في الفقرتين السابقتين من هذا المطلب إلى بيان معنى الإمامة ودورها في حفظ الرسالة، وسنبيّن هنا مَن هم الأئمة المخصوصون بهذه المنزلة العظيمة، الذين ستوكل إليهم هذه المهمة الكبرى. فقد وردت روايات كثيرة في تسمية الأئمة (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) وذكر أوصافهم [٢] . فلم يترك النبي الأكرم (ﷺ) الأمة بلا إمام يُكمِل المسيرة فقد ورد عن أبي جعفر(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في معنى قوله تعالى :﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ٧﴾ الرعد: ٧ "قال: (رسول الله المنذر، وفي كل زمان منا هادٍ، يهديهم إلى ما جاء به نبي الله، ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحدًا بعد واحد)" [٣] ، وورد عن الإمام الباقر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ١٢١.

٢. ينظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي (٧٦ ه): أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي / تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني / ط٥ /منشورات دليل ما / إيران– قم/ ١٣٢٨ ه ق – ١٣٨٦ ه ش / ٦٢٧، ٧٦٣، ٨٢٥.

٣. بصائر الدرجات: الصفار(٢٩٠ه) /١٢٢.

عن آبائه (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): قال: "(قال رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): اكتب ما أملي عليك فقال: يا نبي الله أتخاف عليَّ النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك؛ ولكن أكتب لشركائك قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله قال: الأئمة من ولدك، بهم تُسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم يُنزِّل الرحمة من السماء، وهذا أولهم وأومأ بيده إلى الحسن بن علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ثم أومأ بيده إلى الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثم قال: الأئمة من ولده)"[1]، فضلاً عن الكثير من الروايات الشريفة، التي نصّت على أسمائهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وآخرهم الحجة المهدي (عجّل الله فرجه).

من خلال ذلك كله نرى أنَّ الرواية التي ابتدأنا بها عن أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في وصيته لأصحابه تؤكد هذه الفكرة، إذ يستند إلى مرجعية قرآنية لتأصيل مقام الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بوصفهم الضمانة العقدية للأمة، والامتداد الرسالي، فالنص يقدّم الإمامة كضرورة وجودية، وليس منصبًا سياسيًا فحسب، فيصف الأئمة بأنهم خزّان الدين، ومصابيح العلم، فالإمام(عَلَيْهِ السَّلَامُ) يجعل العلم الإلهي أشبه بالمادة المخزونة التي لا تُنال إلا عن طريق أفراد مخصوصين منصوصٌ عليهم، ووظيفتهم أشبه بوظيفة المصابيح التي يُسْتَدَلُّ بها في الظلام، وأنَّهم سلسلة نورانية باقية ما بقي الإسلام، والخروج عن طريقهم هو خروج عن الدين، ويوجب الحسرة والندامة يوم القيامة، وهذا ما صرَّحت به الآية الكريمة التي استشهد

[1]. أمالي الصدوق: أبو جعفر الصدوق [محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)] / تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان / منشورات: المطبعة الحيدرية / النجف / ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م / ٣٥٩/ المجلس الثالث والستون/ الحديث الأول.

بها الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لأنَّ المراد من (جنب الله) هم الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وهذا يُعضِّدُه قول الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في تفسير هذه الآية: "(نحن جنب الله)" [1] نستنتج من ذلك كله أنَّ استنطاق الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلَامُ) للآية الكريمة كشف عن المصداق الأتم للتعبير القرآني، إذ إنَّ (جنب الله) في كلام المعصوم هو اتباع منهج أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وبالتالي فإنَّ الانحراف عنه هو تفريط في القرب الإلهي ممّا يؤدي إلى الحسرة والندامة في الآخرة.

يتبيّن لنا من خلال ذلك كله أنَّ الروايات الشـريفة في كتاب "تحف العقول عن آل الرسـول" التي تخص العقيدة الإسـلامية تمتعت بدقة التوظيف القرآني، وقد ركزت أغلب الروايات على المسـائل المُختَلف فيها بين المذاهب، وعلى الرغم من كون الكتاب وعظي، إلا أنَّنا لاحظنا أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قد وظَّفوا المواعظ والحكم في بيان المسائل العقدية، فنرى روايات تناولت التوحيد وبيَّنت كيف أنَّ مذهب الإمامية قد تبنّى التوحيد الخالص المنزَّه عن التشـبيه والتجسـيم، ونجد روايات أخرى بيَّنت معالم نظرة أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) للعدل الإلهي، وأنَّ الخالق منزّه عن الظلم، وكيف أوصـل المعصـومون فكرة المنزلة بين المنزلتين، وأنَّ الله تعالى لم يسلب إرادة البشـر ولم يتركهم وشـأنهم، بل إنَّ الإنسـان مختار في أفعاله تحت رعاية الله ونظره، وغير خارج عن قدرته تعالى، أما مسـألة الإمامة فنرى أنَّها أخذت مساحة واسعة في روايات الكتاب، بوصفها أكثر القضـايا العقدية التي دافع عنها أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وبيَّنوا ضـرورتها، في حين نجد أنَّ الكتاب يكاد يخلو من روايات عن قضـية النبوة؛ لأنَّها من الأمور

[1]. تفسير القمي: القمي/ ٢/ ٢٥١؛ وغاية المرام وحجة الخصام: السيد هاشم البحراني/ تحقيق: السيد علي عاشور/ط١ /مؤسسة التأريخ العربي/بيروت _ لبنان/١٤٢٢هـ_٢٠٠١م/ ١١.

المتفق عليها بين المذاهب، ولم تتعرض للتشويه بالقدر الذي يستدعي دفاعًا واهتمامًا بالغًا، ونرى أيضًا أنَّ تأصيل العقيدة لم يكن مجرد استدعاء للنصوص القرآنية، بل هو ربط بين الوحي الناطق والوحي الصامت، فقد أسهمت النصوص القرآنية في تثبيت الوعي الفكري العقدي، وجعلت القضايا العقدية قريبة من الفهم واليقين، وبعيدة عن التعقيد الكلامي، فالقرآن الكريم هو المعيار الوحيد والأصيل الذي تُعرض عليه جميع الأفكار، مما أدى إلى تحصين المنظومة العقدية من الانحراف والتشويه.

## المبحث الثاني :

## المرجعية القرآنية في تنظيم التشريع.

بعد أن أنهينا في المبحث الأول موضوع تأصيل العقيدة، ننتقل في هذا المبحث لبيان دور المرجعية القرآنية في كلام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) في تنظيم التشريع، حيث كانت العقيدة منطلقًا للإلزام التشريعي، فالعقيدة هي الإيمان، والتشريع هو العمل الصالح؛ وقد قرن القرآن الكريم بينهما دائمًا، "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، وكلاهما يهدف إلى بناء الشخصية المؤمنة الكاملة، فالعقيدة تُطهّر باطن الإنسان من الشرك، والتشريع يُطهّر الظاهر من الظلم والفواحش، العقيدة محلها القلب والذهن، والتشريع محله الجوارح، التشريع يمثل الترجمة الحركية لاعتقادات الإنسان، والعقيدة بدون تشريع تظل أفكارًا نظرية لا واقع لها.

وسنختار النصوص التي تضم بين طيّاتها آياتٍ من القرآن الكريم، استحضرها أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لإثبات حكم، أو تأسيسه، أو دعمٍ لحجة شرعية.

## المطلب الأول:

## تنظيم العبادات وتقنين علاقة العبد بربه:

تُشــكّل المرجعية القرآنية الإطار الحاكم لمنظومة التشــريع في الإســلام، وفي مقدمتها الجانب العبادي الذي يُعَدُّ الجوهر المحرك للصــلة بين العبد وربه، ولا يقتصــر ذلك على إثبات التكاليف، بل يتجاوز ذلك إلى وضع القواعد الكلية التي تُقنن الفعل العبادي وتمنحه غاياته التي يقصدها، إنَّ تنظيم العبادات عبر النص القرآني يرفع الشــعيرة من مجرد طقس شــكلي إلى ممارســة واعية، ومن هذا المنطلق يبرز التقنين القرآني لعلاقة العبد بربه بوصــفه معيارًا يســتبعد العشــوائية في التدين ويمنع الانحراف المعرفي، وسنتعرض لبعض النصوص التي بينت ضبط حدود هذه العلاقة بين العبد وربه.

### أولاً: الصلاة:

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في آدابه لأصحابه: "(من أتى الصلاة عارفًا بحقها غفر الله له، ولا يصلي الرجل نافلة في وقت فريضة ولا يتركها إلا من عذر وليقضي بعد ذلك إذا أمكنه القضاء، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المعارج:٢٣، هم الذين يقضون ما فاتهم من الليل بالنهار ومن النهار بالليل)" [1].

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ١١٧.

الصلاة من أعظم الفرائض وأهم العبادات في الدين الإسلامي، وهي "عبارة عن أفعال خاصة لعبادة الله ودعائه ومناجاته" [١] . وهي عمود الدين وتَرِكَة الأنبياء ووصيتهم وعَلَم الإسلام، ومحور قبول الأعمال كلها، وحصن القيم، ومصدر الوعي، وهي باب للمعرفة، وخروج من الذات، وعروج إلى الباري تعالى، وهي علامة الإيمان [٢]. وهي وسيلة لتطهير النفس من التكبر والاستعلاء؛ إذا أداها العبد بخشوع، فعن السيدة الزهراء (عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ): "(... ففرض الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر...)" [٣] ،وهي أفضل ما يُقَرِّب الإنسان إلى الله تعالى، قال أمير المؤمنين (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ): "(إنَّ أفضل ما يَتَوَسَّلُ به المتوسلون الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص فإنَّها الفطرة وإقام الصلاة فإنَّها الملّة...)" [٤] . وعن الإمام الرضا (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) قال: "(الصلاة قربان كل تقي)" [٥] . ومن كان مهتمًا بالصلاة ومحافظًا على أدائها في وقتها، نجّاه الله من الهم والحزن، ومن دخول النار، فعن علي بن أبي طالب (عَلَيْهِٱلسَّلَامُ) قال: "( قال رسول الله (ﷺ): ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع

---

[١]. ماهي الصلاة: آية الله السيد محمد حسين البهشتي/ ترجمة: الشيخ محمد رضا آل صادق / مؤسسة البعثة / طهران – إيران/ ٦.

[٢]. ينظر: شرح الصلاة: الشيخ محسن قراءتي/ المركز الثقافي للدروس القرآنية/ ٤١ وما بعدها.

[٣]. كتاب بلاغات النساء: الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(٢٨٠هـ) / تحقيق: أحمد الألفي/ القاهرة /١٣٢٦هـ_ ١٩٠٨م/ ٢٠؛ وكشف الغمّة في معرفة الأئمّة/ أبو الحسن الأربلي (٦٩٣هـ) / دار المرتضى/ط١/ لبنان_ بيروت/١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م/٢/٩٤.

[٤]. كتاب من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق [أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(٣٨١هـ)] / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي/ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م/١ / ١٤٧.

[٥]. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٦ /١٠ / كتاب الصلاة /باب فضل الصلاة / ٦؛ عيون أخبار الرضا: الصدوق/ ٢/ ١٠ / ١٦.

الشمس إلا ضمنت له الروح عند الموت وانقطاع الهموم والأحزان والنجاة من النار)" [1] ، فمن يريد أداء الصلاة بخشوع عليه أن يترقب وقتها بكل شوق، وأن يُعِدَّ نفسه للقاء مولاه قبل حلول الوقت، ويُفرّغ قلبه من أغراض الدنيا ولهوها [2]، فالصلاة ليست مجرد حركات خالية من الروح والمعنى؛ بل لابدَّ أن تظهر في المؤمن حالة من التوجّه إلى الله تفصله عن غيره وتربطه مع الخالق جلَّ وعلا؛ لأنَّ هذه اللحظات كفيلة في بناء الذات وتربية النفس وسمو الروح [3] . والصلاة تعبير عن حب الله والخضوع له وعبادته بإخلاص وتوجّه، وهي وسيلة للرحمة الإلهية، وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد [4]. يقول الشيخ المفيد (قدس سره): "والصلاة عماد الدين بعد المعرفة بالله ورسوله والأئمة الراشدين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)" [5].

وهي أول فريضة فرضها الله تعالى في الإسلام، وقد ورد عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في العلة التي من أجلها فُرِضَت الصلاة: "(إنَّ علّة الصلاة أنَّها إقرار بالربوبية لله عزَّ وجلَّ، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبار جلَّ جلاله بالذل والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الجبهة على الأرض كل يوم خمس مرات إعظامًا لله عزَّ وجلَّ...لئلا ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه؛ فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجرًا له عن المعاصي، ومانعًا من أنواع

---

[1]. كتاب الأمالي: الشيخ المفيد [عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(٤١٢هـ)] /تحقيق: الحسين استاد ولي، علي أكبر الغفاري/ منشورات جماعة المدرسين / قم المقدسة/ ١٤٠٣هـ.ق/١٣٦.

[2]. ينظر: أسرار الصلاة: الشيخ حبيب الكاظمي/ط١/ نور المعارف/ قم- إيران/ ١٤٣٩هـ/ ١٣.

[3]. ينظر: الأمثل: الشيرازي/ ١٠ / ٢٩٠.

[4]. ينظر: سبل الوصول لرفقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): د. أيمن محمد هاروش/١٤.

[5]. المقنعة: الشيخ المفيد [أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ.ق)] /مؤسسة النشر الإسلامي/ قم المقدسة/ط٢ / ١٤١٠هـ/٣٥.

الفساد)" [1]. ولأهميتها فقد توعَّد الله تعالى تارك الصلاة بأشد العقوبات، قال تعالى:﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ الماعون: ٤، ٥ ، ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ ﴾ المدثر: ٣٩– ٤٤ ، وقد حذّرت الروايات الشريفة من ترك الصلاة أو التهاون في أدائها فعن أبي جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "( قال: لا تتهاون بصلاتك، فإنَّ النبي (ﷺ) قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته...)" [2]، والصلاة قسمان: فرض، وسنة "والمفروض من الصلاة في اليوم والليلة خمس صلوات" [3] أي إنَّ الله تعالى حدد لهذه الفريضة أوقاتًا معينة يجب المحافظة عليها، وتعهدها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣ ﴾ النساء: ١٠٣، وأما السنة فأربع وثلاثون ركعة [4]. والصلاة الواجبة لا تُترك بأي حال، فعن أبي جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(أيّما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلّاها لوقتها فليس هذا من الغافلين)" [5]. وقد فصّلت كتب الفقه أحكامها، وواجباتها، وشروط قبولها، فإذا تحقق ذلك "تكون الصلاة مناجاةً مع الله ومعراجًا للمصلي"[6] ، ويكون العبد ممّن ذكره الله تعالى

---

[1]. علل الشرائع والأحكام والأسباب: الصدوق [أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(٣٨١هـ)]/مؤسسة آل البيت لإحياء التراث/ط١/ قم /١٤٤٣هـ/ ٢/ ٢١٠.

[2]. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٦/ ١٩/ كتاب الصلاة/ باب من حافظ على صلاته او ضيعها/ ٧.

[3]. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي(٤٦٠هـ) /تحقيق: علي أكبر الغفاري/مكتبة الصدوق/ط١/دار الكتب الإسلامية– طهران/١٣٨٦هـ. ش/٢/ ٣/ كتاب الزكاة/ باب ما تجب فيه الزكاة.

[4]. ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣.

[5]. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٦/ ٢٤/ كتاب الصلاة / باب من حافظ على صلاته أو ضيعها/ ١٤.

[6]. أسرار الصلاة: آية الله جوادي آملي/دار الصفوة/١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٩م/ ٣٧.

ومدحه في قوله: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ النور :٣٧ [1].

من خلال ذلك كله يتبيّن لنا أنَّ الصلاة من أكثر العبادات التي أكَّدت عليها الشريعة المقدسة، وفي كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" يأتي تنظيم التشريع بوصفه مظهرًا من مظاهر المرجعية القرآنية، ففي المقطع الذي تقدَّم ذِكره عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في آدابه لأصحابه، بيَّن أنَّ معرفة حق الصلاة وتأديتها في وقتها يؤدي إلى نيل مغفرة الله تعالى، فالنص يوضّح العلاقة بين الفريضة والنافلة، ويبيّن حدود العبادة وكيفية أدائها بما يضمن ديمومتها، إذ استند المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى الآية الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المعارج: ٢٣ ليرسم ملامح التنظيم التشريعي للمداومة على العبادة، فالمرجعية القرآنية لم تقف عند حدود الحث على تأدية الصلاة، بل تعَدَّتها إلى تنظيم هيئة الدوام المذكور، وذلك من خلال تشريع القضاء للصلوات الفائتة؛ لدوام الاتصال بين العبد وربه وعدم الانقطاع لأي عذر، فالرواية وضعت قاعدة تشريعية تحكم العلاقة بين الواجبات والمستحبات، وهي تقديم الفرائض على النوافل، وهذا يعكس الدقة في التشريع المستمد من روح النص القرآني، وتعظيم الفرائض وجعل النوافل متممة لها، وبهذا تحولت الآية من واصفة للمؤمنين إلى قاعدة تشريعية لتنظيم وقت المصلي وترتيب أولوياته العبادية، وهذا الاستشهاد بالآية الكريمة يعكس التوسع الدلالي لمفهوم الدوام الذي يشمل الالتزام بأوقات الصلاة، والالتزام بالقضاء وعدم الانقطاع حتى مع الحالات الطارئة.

[1]. ينظر: حقائق هامة حول الصلاة: الشيخ محسن قراءتي/ ط١/ دار الهادي/ بيروت– لبنان/ ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م/ ٢٥.

**ثانيًا: الحج:**

لم يقتصر التنظيم التشريعي للعبادات في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" على الصلاة فحسب، بل شمل أركانًا أخرى كالحج، فمن كلام للإمام علي بن موسى الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في جوامع الشريعة لمّا سأله المأمون أن يجمع له ذلك: "(...وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا، والسبيل زاد وراحلة، ولا يجوز الحج إلا متمتعًا ولا يجوز الإفراد والقران الذي تعمله العامة، والإحرام دون الميقات لا يجوز قال الله: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ البقرة: ١٩٦)" [١] .

الحج أحد الفرائض المهمة في الشريعة المقدسة، ومعناه لغة: "القصد، وهو قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضًا وسنة: تقول: حججت البيت أحجه حجًا إذا قصدته" [٢] .

والحج في الشرع: "عبارة عن قصدٍ مخصوصٍ إلى مكان مخصوصٍ، وهو مكة ومنى وعرفات، حيث تؤدى مناسك الحج" [٣] ، وقد عرّفه الشيخ الصدوق بقوله: "القصد إلى بيت الله عزَّ وجلَّ لخدمته على ما أمر به من قضاء المناسك" [٤] . وهو "من الأركان التي بُني عليها الدين الإسلامي" [٥] ، وهو

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٤١٩.

٢. لسان العرب: ابن منظور/ مادة(حجج) ٢ /٢٢٦.

٣. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية / نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي(٥٣٧هـ) / تعليق: خالد عبد الرحمن العك/ط١/ دار النفائس/ بيروت_ لبنان/ ١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م/ ١٠٨.

٤. من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ ٢/ ١٣٣/ باب فضائل الحج/ ٢١٣٧.

٥. مناسك الحج وملحقاته: السيد علي الحسيني السيستاني: تحقيق: الشيخ حسن العبودي/ ط١/ الناشر: باقيات / إيران– قم / ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ/ ٧.

من الضرورات الواجبة ومن أنكره دون الاستناد إلى شبهة فهو كافر [١]. وتأخيره في حال الاستطاعة من الكبائر الموبقة قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ آل عمران:٩٧ "حيث جعله بمنزلة الكفر وموجِبًا لإعراض الله عن صاحبه لغناه عنه" [٢] وقد أكد الأئمة (عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) على بيان فضله فقد ورد عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "( من أمَّ هذا البيت حاجًا أو معتمرًا مبرَّءًا من الكبر رجع من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمّه، والكبر هو أن يجهل الحق ويطعن على أهله، ومن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه)" [٣]، إذ إنَّ الحج فيه أبعاد أخلاقية عميقة فلا تُختزل العبادة في أدائها الظاهري، بل ترتبط بسلامة الباطن من الكبر والرياء، والتجرد من هذه الآفات يُعَدُّ شرطًا جوهريًا لتحقق الأثر المطلوب من الحج وهو تطهير النفس وإعادة الإنسان إلى حالة النقاء الفطري، وعن النبي الأكرم (ﷺ) أنَّه قال: "(من أراد دنيا وآخره فليؤمَّ هذا البيت)" [٤]، وهو عبادة سنوية فرضه الله تعالى على مَن استطاع مِن المسلمين مرة واحدة في الحياة [٥] ، ولا خلاف في ذلك بين المسلمين وهي (حجة الإسلام) [٦]. وللحج فوائد كثيرة ذكرتها الروايات الشريفة، فقد ورد عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "قال علي بن

---

١. ينظر: مناسك الحج وملحقاته: السيد علي الحسيني السيستاني: ١١.

٢. الدرر الفرائد في شرح القواعد: محمد حسن المظفر (١٣٠١هـ- ١٣٧٥هـ) /تحقيق: عبد الحليم عوض الحلّي/ط١/ مجمع الإمام الحسين (عليه السّلام) العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام) /مشهد – إيران/١١ /١٢.

٣. من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ ٢/ ١٣٦/ باب فضائل الحج/ ٢١٤٧.

٤. المصدر نفسه: ٢ /١٤٥/باب فضائل الحج/ ٢٢٢٢.

٥. ينظر: حقيقة الحج: وحيد الدين خان/ ترجمة: ظفر الإسلام خان/ط١/ دار الصحوة للنشر/١٤٠٨هـ_ ١٩٨٧م/ ٢٢.

٦. ينظر: مستند العروة الوثقى (تقريرًا لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي/ آية الله مرتضى البروجردي /ط٢ / دار الكتاب الحكيم / ١٤٤٣ هـ- ٢٠٢٢ م/ ١ / كتاب الحج/ ١٥.

الحسين (عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ): "( حجوا واعتمروا تصحُّ أبدانكم، وتتسع أرزاقكم وتُكفون مؤونات عيالاتكم، وقال: الحاج مغفور له وموجوب له الجنة، ومستأنف له العمل، ومحفوظ في أهله وماله)" [1].

ولفضيلة الحج جوانب خاصة تتعلق بالمشروع الإلهي العظيم؛ فهو يُذكِّرنا بمشروع النبي إبراهيم (عَلَيْهِالسَّلَامُ) الذي بدأ به وهو مشروع التوحيد والذي خُتِمَ بمحمد (ﷺ)، فالمناسك التي يؤديها الحاج تُمَثِّل مراحل هذا المشروع بصورة رمزية، فخروجه من موطنه إلى البيت الحرام كخروج إبراهيم (عَلَيْهِالسَّلَامُ) من العراق إلى الحجاز، والطواف حول الكعبة كطواف إبراهيم وإسماعيل (عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ)، وسعيه بين الصفا والمروة كما سعت هاجر زوجة النبي إبراهيم (عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ)، لأجل الحصول على الماء، والتوجه إلى منى ونحر القربان رمز لفعل إبراهيم (عَلَيْهِالسَّلَامُ) حين أراد نحر ولده ففداه الله تعالى بذبح عظيم، وكذا رمي الجمرات رمز لرمي الشيطان، وكذلك بقية المناسك، التي يقوم بها الحجاج فهم يقلّدون أولئك الأبرار الذين تمسكوا بدين التوحيد ونبذوا عبادة الأوثان [2]. والحج هو الشعيرة الوحيدة التي يجتمع فيها المسلمون من كل مكان، وهي عبادة بدنية ومالية في الوقت نفسه، فالحاج يمارس مناسك الحج، وينفق الأموال لغرض أداء هذه الفريضة العظيمة، ويتحمل المشاق قربة إلى الله [3]، والحج فريضة مؤقتة بوقت معين، وبمكان مشخّص، وهذا يستدعي إقامتها في وقتها ومكانها، ممّا يتطلب جهدًا أكبر للاستعداد لها، وتحمل

---

[1]. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(١١٠٤هـ): تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / ط٢/ قم المشرفة/ ١٤١٤هـ/ ١١/ ٩/ كتاب الحج / باب وجوبه على كل مكلف مستطيع/ ١٤١١١.

[2]. ينظر: حقيقة الحج: وحيد الدين خان/ ٢٧، ٢٨.

[3]. ينظر: الحج عبادة وتربية: مؤسسة البلاغ/ مطبعة معراج/ ط٣ / طهران – إيران/ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م /٢٠.

المشقّة لإقامتها، لذا صارت هذه الفريضة من الفرائض المهمة في الدين الإسلامي، ويُثاب عليها الثواب العظيم [١] ، "ولشدة حرص الإسلام على هذه العبادة واهتمامه بها، أعطى الدولة الإسلامية صلاحية قانونية تمنحها الحق في إخراج عدد من المسلمين إلى الحج، ولو عن طريق القوة إذا هم تركوا الحج جميعًا _لا سمح الله_ لئلا تُعطّل شعائر الإسلام؛ فإن كانوا عاجزين عن أداء مصروفات الحج تعهدت الدولة بالصرف عليهم من مالها الخاص لإحياء هذه الفريضة، وإقامة هذه العبادة الجماعية" [٢] . والحج أنواع: "تمتع وقِران وإفراد، أما التمتع فهو فرض من نأى عن مكة" [٣]. ووجوب الحج يتم بشروط: "وهي خمسة في حجة الإسلام أولها: صلاحية التكليف الوجوبي بالبلوغ والعقل والقدرة، وثانيها: الحرية، وثالثها: الاستطاعة زادًا وراحلة، ورابعها: مؤونة عياله، وخامسها: إمكان السير" [٤]، وللحج أحكام عدة بيَّنتها كتب الفقه، بِدءًا من تحقق الاستطاعة وانتهاءًا بآخر منسك من مناسك الحج، وشرائطه ومقدمات الإحرام وما يجب على الحاج فعله أو تركه في موسم الحج [٥] .

يتبيَّن لنا من خلال ذلك كله أهمية هذه الفريضة العظيمة واهتمام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بالحثّ عليها وبيان أحكامها، وهذا ما رأيناه جليًا في النص الذي تقدَّم ذِكره عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فنرى

---

[١]. ينظر: الحج في نهج البلاغة: الشيخ فارس حسون/ العتبة العلوية المقدسة/ العراق– النجف الأشرف/ ١٤٣٢هـ– ٢٠١١ م/٢٠.

[٢]. الحج عبادة وتربية: مؤسسة البلاغ/ ٢٢.

[٣]. الدرر الفرائد في شرح القواعد: محمد حسن المظفر (١٣٠١هـ– ١٣٧٥هـ) /١١ /١٧.

[٤]. المصدر نفسه:١١ /١٣.

[٥]. ينظر: الواضح في شرح العروة الوثقى (أضواء على بحوث سيد الطائفة السيد الخوئي): الشيخ محمد الجواهري /ط١/ العارف للمطبوعات / بيروت – لبنان / ٢٠١٢م / الأجزاء من ١إلى ٥.

أنَّ النص ينظّم مفهوم الاستطاعة من منظور قرآني وتفسيرها ماديًا وعمليًا، وبيّن المراد الدقيق لها (الزاد والراحلة) وكذلك الاستدلال بالآية الكريمة لبيان هيئة الحج المخصوصة "( ولا يجوز الحج إلا متمتعًا)" [١] والنهي عمّا سواها، وهذا دليل على أنَّ النص القرآني هو الحاكم على صحة العبادة وبطلانها "( ولا يجوز الإفراد والقران... والإحرام دون الميقات)" [٢] ، وينظّم الإمام (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) المناسك تنظيمًا دقيقًا، من خلال تفصيل الأحكام الكلية الواردة في القرآن وتحويلها إلى منهاج منضبط، فمن خلال الرجوع للآية الكريمة أسس قاعدة تشريعية وهي، أنَّ المراد من التمام هو اتباع الهيئة التي حددتها الآية الكريمة، والنهي عن الصور الأخرى المخالفة لهذا التنظيم. وبهذا يتجلّى دور المرجعية القرآنية في كلام المعصومين (عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ) في تحديد الصحة والفساد في أداء العبادات.

## ثالثًا: العدالة التشريعية والتوازن بين الحقوق والواجبات:

من كلام للإمام علي الهادي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في تفسير الأمثال الخمسة التي جمعت جوامع الفضل، التي ذكرها الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) [٣]، نأخذ منه موضع الشاهد: "(... وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة؛ لما ملَّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج قوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ آل عمران: ٩٧)".[٤]

---

١. تحف العقول: الحرّاني/ ٤١٩.

٢. المصدر نفسه: ٤١٩.

٣. ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٠.

٤. المصدر نفسه: ٤٧١.

إنَّ مبدأ ارتباط التكليف بالاستطاعة يُعَدُّ من الأسس الكبرى في التشريع القرآني؛ إذ تتجلى فيه عدالة الشريعة المقدسة ومراعاتها لأحوال المكلَّفين، ورفع الحرج عن غير المستطيع وهذا ما يُلاحَظ في آيات الأحكام، ومنها قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٨٦، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ آل عمران: ٩٧، وقوله: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ ﴾ الفتح : ١٧، وقوله:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾ الطلاق: ٧، وغيرها من الآيات المباركة التي تؤكد هذا المبدأ، فالله سبحانه يُكلِّف الناس على قدر ما آتاهم ومكّنهم؛ ومنشأ ذلك من العدل الإلهي، والرحمة للعباد، والاستطاعة تعني: "التهيؤ لتنفيذ الفعل بإرادة المختار من غير عائق" [١]، وقد سُئِلَ الإمام الرضا(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) عن الاستطاعة فأجاب: "(يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله...)" [٢] فحين فرض الحج عَلم أنَّ هناك من لا يقدر عليه فحدده بالاستطاعة، وهي الزاد والراحلة والقوة على ما ورد عن أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) [٣] ، والذي يتأمل في القرآن الكريم يجد أنَّ الله تعالى خفف عن العباد ولم يكلفهم إلا ما يُطيقون، وأنَّ "الإجماع على أنَّ تكليف ما لا يطاق غير واقع في الشريعة" [٤] ، وكذا العقل يحكم بعدم تكليف البشر ما لا يُطيقون، "فإنَّ التكليف بما لا يُطاق قبيحٌ عقلاً وهو محال على

---

١. الكليات: الكفوي/ ١٠٨.

٢. الكافي: الكليني(٣٢٩هـ) / ١/ ١٦١/ كتاب التوحيد / باب الاستطاعة/ ١.

٣. ينظر: تفسير القمي: القمي/ ١/ ١٠٨.

٤. الموافقات: الشاطبي/ ١ /١٤٦، وينظر: فرائد الأصول: الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ – ١٢٨١هـ) /تحقيق: عبد الله النوراني / مؤسسة النشر الإسلامي/ ١ /٣١٦.

الله تعالى" [1] ، فالله تعالى لا يكلف النفس إلا بمقدار ما آتاها من القدرة، فكل أمر أو نهي هو دون الطاقة، وبقدر الاستطاعة [2]. وقد تناول العلماء هذا المبدأ بوصفه قاعدة كلية تُبْنى عليها أحكام كثيرة، ولاسيما في العبادات التي تتعلق بالجانب المالي كالزكاة والصدقة والحج وغيرها، ومن هنا يأتي الاستشهاد بهذا المقطع الذي تقدَّم ذكره عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، والذي أكّد فيه على أنَّ وجوب هذه العبادات لا تنفك عن تحقق الاستطاعة المالية، وفي المقابل رفع الوجوب عن الفقير؛ لعدم تمكّنه ماليًا، ممّا يعكس مبدأ العدالة الإلهية، وانسجام النصوص القرآنية مع قواعد العدل الإلهي، التي تحقق التوازن الاجتماعي والتكافل، ومراعاة الفروق الفردية دون الحاق الضرر بغير المستطيع.

نستنتج من خلال ذلك كله أنَّ هذا المقطع من كلام المعصوم (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قد وضع اليد على فلسفة الاستطاعة ووازن في التكليف بين الأغنياء والفقراء، ونرى أنَّ النص يجمع بين ركنين من أركان الإسلام وهما الزكاة والحج، وهما من الأركان التي تقوم على الإنفاق المالي، فالاستشهاد بالنص القرآني جعل الاستطاعة قاعدة عامة، ثم سحبها لتشمل عموم التكاليف المالية كالزكاة وغيرها، كما يُظْهِر النص كيف أنَّ التشريع يراعي الفوارق بين طبقات المجتمع، ممّا يُرسِّخ يُسر الشريعة الإسلامية، وواقعيتها المستمدة من القرآن الكريم، الذي لا ينظر إلى الأحكام كقوانين مجردة، بل كمنظومة عادلة تضبط الحقوق والواجبات.

---

[1]. مواهب الرحمن: السبزواري/ ٤/ ٥١٤.

[2]. ينظر: مجمع البيان: الطبرسي/ ٢/ ٢٢٩؛ وينظر: الميزان: الطباطبائي/ ١٩ /٣١٨.

## المطلب الثاني:

## المرجعية القرآنية في تنظيم الالتزامات والحقوق المالية :

لم تتوقف المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" في مجال التشريع عند حدود العبادات البدنية كالصلاة والحج فحسب، بل شملت تنظيم العبادات المالية، كالزكاة والخمس والصدقة وغيرها، وسنتعرض في هذا المطلب لمقاطع من رسالة الإمام الصادق(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في الغنائم ووجوب الخمس.

### أولاً: الزكاة:

جاء في رسالة الإمام الصادق (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) في الغنائم ووجوب الخمس: "(... فقال الله جلَّ وعزَّ في الصدقات، وكانت أول ما افترض الله سبله:﴿ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ التوبة: ٦٠ فالله أعْلَمَ نبيه (ﷺ) موضع الصدقات، وأنها ليست لغير هؤلاء يضعها، حيث يشاء منهم على ما يشاء ويكفُّ الله جلَّ جلاله نبيه وأقرباءه عن صدقات الناس وأوساخهم، فهذا سبيل الصدقات)"[1].

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٣٩.

الزكاة: هي ركن من أركان الدين الإسلامي [١] ، وهي من الفرائض العظيمة التي فرضها الله تعالى وقرنها بالصلاة في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعًا ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٤٣ [٢]. فالقرآن يقرن بينهما كثيرًا للدلالة على أنَّ العبادة الفردية (الصلاة) لا تنفصل عن البعد الاجتماعي (الزكاة)، فعن أبي عبد الله (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "( فرض الله الزكاة مع الصلاة)"[٣] ، وجعل أدائها من صفات المتقين، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٣ ، وهي مفروضة كذلك في الشرائع السابقة قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم:٣١ [٤] ، والزكاة من "الزكاء، بالهمز: بمعنى النماء، والزكاة: كل شيء يزداد فهو يزكو زكاة، ويسمّى ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة لأنَّها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفره وتقيه من الآفات" [٥] وقد ورد في علّة وجوبها عن الإمام الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قوله: "( إنَّما وُضعت الزكاة قوتًا للفقراء وتوفيرًا لأموالهم)" [٦] أي إنَّ إخراج الزكاة يزيد في أموال الأغنياء وينمّيها [٧] فالتوفير هنا ليس بمعنى الادخار ، بل يعني البركة والحفظ

---

١. ينظر: المبين في توضيح منهاج الصالحين: عمار محمد كاظم الساعدي/ مؤسسة التأريخ العربي/ط١/ بيروت لبنان/١٤٣٦هـ-٢٠١٥م / ٢ /٨٩.

٢. ينظر: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري/ ط١/ دار التفسير / ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م/١١ / ٥.

٣. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٧/ ١٠ / كتاب الزكاة / باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق/ ٥.

٤. ينظر: مهذب الأحكام: السبزواري/ ١١/ ٥.

٥. الكليات: الكفوي/ ٤٨٦.

٦. من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ ٢/ ٥/ باب علة وجوب الزكاة/ ١٥٧٥.

٧. ينظر: روضة المتقين: محمد تقي المجلسي/ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي/ ط١/ قم / ٢٠٠٨م/٥ / ١٩٩.

وهو المستفاد من المعنى اللغوي للزكاة، ويعضده قول الإمام الكاظم (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(حصنوا أموالكم بالزكاة)"[١] ، وقد فرضها الله تعالى في شهر رمضان [٢] ، وهي تُطهّر الأموال عن الأقذار والأوساخ المعنوية، وتوجب النموّ والبركة، وتُطهّر النفس من البخل والشح، وتُطهّر المجتمع من التنافر والبغضاء وتجعل الفرد يهتم بشؤون غيره ممّا يُوجب التآلف بين أفراد المجتمع [٣]. ومن أنكر وجوبها مع العلم به فهو كافر، ومانع الزكاة مع اعتقاده بوجوبها فاسق [٤]. وقد وردت روايات كثيرة في ذم تعطيل فريضة الزكاة وبيان عقوبة تاركها فعن أبي جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(وجدنا في كتاب علي (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: رسول الله (ﷺ): إذا مُنِعَتْ الزكاة، منعت الأرض بركاتها)" [٥]؛ ولأنَّها مقرونة بالصلاة فإن مانعها لا تُقبل منه الصلاة أيضًا [٦] ، فعن أبي جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(إنَّ الله عزَّ وجلَّ قرن الزكاة بالصلاة، فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ البقرة:٤٣ فمن أقام الصلاة ولم يؤتِ الزكاة لم يُقِم الصلاة)" [٧] . وشروط أدائها، "البلوغ والعقل والحرية والملك التام" [٨] . وتجب الزكاة في تسعة أشياء "الذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم، وعفا رسول الله (ﷺ) عما

---

١. من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ ٢/ ٦/ باب علة وجوب الزكاة / ١٥٧٦.

٢. ينظر: الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٧ /٩ /كتاب الزكاة / باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق/ ٢.

٣. ينظر: مهذب الأحكام: السبزواري/ ١١/ ٧.

٤. ينظر: تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي [الحسن بن يوسف بن المطهر(٧٢٦هـ)] / تحقيق: مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث/ط١/ قم المقدسة/ ١٤١٤هـ/ ٥/ ٨.

٥. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٧/ ٣٢/ كتاب الزكاة/ باب منع الزكاة/ ١٧.

٦. ينظر: المسائل المنتخبة (العبادات والمعاملات): السيد علي الحسيني السيستاني/١٤٤١ هـ/ ٢٣٢.

٧. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٧/ ٣٦/كتاب الزكاة / باب منع الزكاة/ ٢٣.

٨. تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي/ ٥ / ١١.

سوى ذلك" [1]، وكان هذا في زمن النبي(ﷺ) فأصل الزكاة هي في الأموال لقول الله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ التوبة:١٠٣، والأموال غير منحصرة في هذه الأصناف التسعة؛ لأنَّ الإسلام هو دين للجميع ولكل مكان وزمان، فكل ما يصدق عليه مال في كل زمان ومكان تتعلق فيه الزكاة فمصاديق المال تختلف، ففي زمان النبي(ﷺ) كانت هذه الأصناف التسعة، وفي أيام الإمام علي(عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) زاد عليها الرقيق والخيل[2]، وبهذا تتعلق الزكاة في كل ما يصدق عليه مال. وتُصْرَف الزكاة لثمانية أصناف وهي التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة ﴿ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ التوبة:٦٠ وتفصيل ذلك في كتب الفقه [3].

ومن خلال ذلك كله يتبيّن لنا أهمية فريضة الزكاة في الدين الإسلامي، وبالرجوع إلى المقطع من رسالة الإمام الصادق (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) الذي افتتحنا به هذه الفقرة من المطلب نجد أنَّه يُمَثِّلُ فلسفة التشريع المالي في الدين الإسلامي، فقد أكَّد النص على أنَّ كل تقسيم مالي هو تشريع إلهي دقيق وليس محض صدفة، وأنَّ استشهاد الإمام (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ) بالآية الكريمة يبيّن حصر الجهات المستحقة للزكاة والتي لا يجوز تَعدِّيها لغيرها، وقد وضّح النص أنَّ الله تعالى وضع لكل ذي حق حقه، فلا يزول عنهم هذا

[1]. تهذيب الأحكام: الطوسي(٤٦٠هـ) /٤/ ٣/ كتاب الزكاة/ باب ما تجب فيه الزكاة.
[2]. ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٣، ٤ / هامش: ٢.
[3]. ينظر: الواضح في شرح العروة الوثقى: محمد الجواهري/ ٨/ ٥ وما بعدها.

الحق، ممّا يضمن العدالة في التقسيم والذي يؤدي إلى ضمان التكافل الاجتماعي، فالقرآن الكريم لا ينظر للفقير على أنَّه هامش اجتماعي، بل يربط معالجة الفقر بمفهوم حد الكفاية[1] لضمان حياة كريمة تشمل المأكل والملبس والمسكن والتعليم وغير ذلك، فقد جعل القرآن الكريم للفقراء حقًا ثابتًا غير مشروط في أموال الأغنياء، مما يؤدي إلى نقل الفرد من حالة الفقر والاحتياج إلى الاستغناء والإنتاج مما يؤدي إلى تضييق الفجوة بين الطبقات، ومنع تمركز الثروة في أيدي فئة قليلة ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ الحشر: ٧، فالقرآن الكريم لا يقدم مجرد نصائح أخلاقية، بل يقدم إطارًا تشريعيًا متكاملاً عبر آليات إلزامية كالزكاة والخمس، وأخرى تطوعية كالصدقات والقرض، بما يحقق توازنًا بين فئات المجتمع.

نستنتج من ذلك أنَّ المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لم تقتصر على الجانب العبادي المحض، بل شملت الجانب المالي أيضًا، ويتجلى ذلك في تناول قضية تشريع الزكاة، فالنص القرآني هو الحاكم على حصر موارد صرف أموال الزكاة في الجهات الثمانية المذكورة، وتقنين عملية التوزيع، ومنع الاجتهاد الشخصي، وهذا التنظيم الإلهي يضمن بقاء الحقوق لأصحابها، مهما تغيرت الظروف الزمانية أو المكانية.

[1]. ينظر: مستمسك العروة الوثقى: السيد محسن الطباطبائي الحكيم/ تحقيق: محمد القاضي/ ط١/ دار الهلال/ ١٤٤١هـ_ ٢٠٢٠م/ ١٥/ ٢٨٩.

**ثانيًا: الخمس:**

وفي مقطع آخر من رسالة الإمام الصادق(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في الغنائم ووجوب الخمس يقول:"(... فلما قدم رسول الله(ﷺ) المدينة أنزل الله عليه ﴿۞وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الأنفال: ٤١، فأمّا قوله "لله" فكما يقول الإنسان: هو لله ولك ولا يقسم لله منه شيء فَخمَّس رسول الله(ﷺ) الغنيمة التي قبض بخمسة أسهم، فقبض سهم الله لنفسه يحيي به ذكره ويورث بعده، وسهمًا لقرابته من بني عبد المطلب، فأنفذ سهمًا لأيتام المسلمين وسهمًا لمساكينهم، وسهمًا لابن السبيل من المسلمين في غير تجارة فهذا يوم بدر، وهذا سبيل الغنائم التي أُخذت بالسيف...)"[1]

الخمس: هو "اسم لحقٍّ يجب في المال يستحقه بنو هاشم" [2] وقد عرّفه أيضًا صاحب الجواهر بقوله: "هو حق مالي فرضه الله مالك الملك بالأصالة على عباده في مالٍ مخصوصٍ له ولبني هاشم الذين هم رؤساؤهم وسُوّاسُهم، وأهل الفضل والإحسان عليهم عوض إكرامه إياهم بمنع الصدقة والأوساخ عنهم"[3]

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٣٤١.

[2]. كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد السيوري(٨٢٦هـ) / تحقيق: محمد باقر البهبودي/ انتشارات مرتضوي / طهران/١٣٧٣هـ/ ١/ ٢٤٨.

[3]. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي/ تحقيق: عباس القوجاني/ط٧/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت_ لبنان/١٩٨١م/ ١٦/ ٢.

ويجب الخمس في كل ما يُغْنم [١] والغنيمة هي: الفائدة المكتسبة [٢] وقيل: " كل ما استفيد بالحرب من الأموال، والسلاح، والثياب، والرقيق، وما استفيد من المعادن، والغوص، والكنوز، والعنبر، وكل ما فضل من أرباح التجارات، والزراعات، والصناعات عن المؤنة والكفاية في طول السنة على الاقتصاد"[٣] ، وهذا هو المستفاد من دلالة "ما" الموصولة و"من شيء" على العموم [٤] ، "لا مانع من كون مفهوم الآية ذا معنى عام، وأن يكون سبب نزولها هو غنائم الحرب في الوقت ذاته، فهي من مصاديق هذا المفهوم أو الحكم"[٥] ، "وهو من الفرائض"[٦]، وقد ورد في علة وجوبه عن عبد الله بن بكير، "(قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنّي لآخذ من أحدكم الدرهم، وإنّي لَمِن أكثر أهل المدينة مالاً ما أريد بذلك إلا أن تُطهّروا)"[٧] أي لأجل تطهيركم من الآثام التي تصيبكم بسبب منع الخمس [٨] وقد وردت روايات كثيرة في بيان وجوب إخراج الخمس، فعن حكيم مؤذن بني عبس عن أبي عبد الله(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) "(قال: قلت له: ﴿۞وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الأنفال: ٤١، ؟ قال:

---

١. ينظر: المقنعة: المفيد/ ٢٧٦.

٢. ينظر: كنز العرفان: المقداد السيوري/ ١/ ٢٤٨.

٣. المقنعة: المفيد/ ٢٧٦.

٤. ينظر: بحوث في الفقه (كتاب الخمس): محمود الهاشمي الشاهرودي/ ط٢/ مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي/قم _ إيران/١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م/١/ ١٥.

٥. الأمثل: الشيرازي/ ٥/ ٣٠١.

٦. كتاب الخمس: محمود الهاشمي الشاهرودي/ ٩/١.

٧. علل الشرائع: الصدوق/ ٢/ ٣٤٠.

٨. ينظر: روضة المتقين: المجلسي/ ٥/ ٣٧٠.

هي والله الإفادة يومًا بيوم إلا أنَّ أبي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) جعل شيعتنا من ذلك في حل ليزكوا)"[1]، وبالرجوع إلى المقطع من رسالة الإمام الصادق(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نرى أنَّه يؤصل لحكم الخمس قرآنيًا فقد أورد جملة من الآيات التي نزلت في معركة بدر التي تخص غنائم الحرب، ووضح أنّ أصل الغنائم هي لله وللرسول ثم بيّن آلية تقسيمها، ومستحقيها، ومن خلال ذلك نرى أنَّ أهل البيت (عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ) يستندون إلى النص القرآني لبيان أحكام الشريعة وأنَّ النص القرآني عابرٌ للزمان والمكان فالآية التي تنزل في حادثة ما، لا تتوقف عندها، بل لها مصاديق في كل زمان ومكان؛ لشمولية القرآن الكريم .

**ثالثًا: النذر :**

بعد أن تبين لنا دور المرجعية القرآنية في تنظيم الحقوق المالية الواجبة أصالة، كالزكاة والخمس يأتي النص الحالي ليحدد المقادير في باقي الالتزامات المالية التي يوجبها المكلف على نفسه وهي الالتزامات المالية العارضة، كالنذور، فقد جاء في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" أنَّ "المتوكل نذر أن يتصدق بمال كثير إن عافاه الله من علته فلمّا عوفي سأل العلماء عن حد المال الكثير فاختلفوا ولم يصيبوا المعنى، فسأل أبا الحسن (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) عن ذلك فقال:( يتصدق بثمانين درهمًا فسُئِل عن علّة ذلك؟ فقال: إنَّ الله قال لنبيه (ﷺ): ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ ﴾ التوبة: ٢٥، فعددنا مواطن

[1]. تهذيب الأحكام: الطوسي/ ٤/ ١٥٥/ كتاب الزكاة / باب الخمس والغنائم/ ١.

رسول الله (ﷺ) فبلغت ثمانين موطنًا، وسماها الله كثيرة، فسُرَّ المتوكل بذلك، وصدق بثمانين درهما)" [1].

النذر: هو "إيجاب الإنسان على نفسه ما ليس بواجب" [2]، أو هو "التزام بفعل أو ترك على وجه مخصوص" [3] ، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعناه الشرعي خمس مرات، ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٠،﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ آل عمران: ٣٥، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٦،﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحج: ٢٩،﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ الإنسان: ٧، وله صيغة محددة فلا ينعقد إلا بذكرها "ويعتبر في صيغة النذر اشتمالها على لفظ (لله)، أو ما يشابهه ...كأن يقول الناذر: (لله عليَّ أن آتي بنافلة الليل)، أو (للرحمن عليَّ أن أدع التعرض للمؤمنين بالسوء)" [4]. فقد روي أنَّ أبا عبد الله سُئِل عن "(رجل قال: عليَّ نذر، قال: ليس النذر بشيء حتى يُسمّي شيئًا لله: صيامًا، أو

---

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٤٨١، ٤٨٢.

[2]. الميزان: الطباطبائي/ ٣/ ١٧٠.

[3]. موجز الفتاوى المستنبطة(المعاملات): الشيخ ميرزا علي الغروي/ دار المحجة البيضاء / بيروت – لبنان / ٢/ ٣٤٨.

[4]. منهاج الصالحين (المعاملات): السيد علي الحسيني السيستاني/ط٢/ دار المؤرخ العربي / بيروت– لبنان/١٤١٦هـ– ١٩٩٦م/٣ / ٢٢٩.

صدقةً، أو هديًا، أو حجًا)" [١] . ويجوز أن تؤدى الصيغة بأي لغة غير العربية [٢]، وللنذر أقسام هي: النذر شكرًا لله، النذر لدفع البلاء، النذر للزجر عن فعل معين، النذر تطوعًا [٣] ومتعلق النذر: "أن يكون طاعةً، مقدورًا للناذر، فهو إذًا مختصٌ بالعبادات: كالحج، والصوم، والصلاة، والهدي، والصدقة، والعتق" [٤]، ولا يجوز النذر في معصية، عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "(ولا نذر في معصية)" [٥] فلا يجب الوفاء به لأنَّه مخالف للشرع [٦] . ولا يصح النذر بالإكراه؛ إذ يشترط فيه القصد، ومن شروطه أيضًا أن يكون الناذر عاقلاً، بالغًا، مختارًا، غير محجور عليه [٧]، ولا يجوز الحنث في النذر؛ وعليه كفارة وقد وردت روايات كثيرة في ذلك فعن الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: "(كل من عجز عن نذر نذره، فكفارته كفارة يمين)" [٨].

يتبيّن لنا من خلال ذلك كله أنَّ النذور من المسائل المهمة التي تعرّض أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لبيانها ومعالجتها قرآنيًا، وبالرجوع إلى المقطع الذي تقدَّم ذِكره في قضية نذر المتوكل، وكيف لجأ إلى

---

١. الكافي (الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ١٤/ ٧٦٣/كتاب الأيمان والنذور والكفارات/باب النذور/ ٢.

٢. ينظر: منهاج الصالحين: السيستاني/ ٣ /٢٢٩؛ وينظر: فقه العهود والمواثيق: السيد محمد تقي المدرسي / ط١ / انتشارات محبان الحسين / قم المقدسة / ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م/٤٥.

٣. ينظر: موجز الفتاوى المستنبطة: ميرزا علي الغروي/ ٣٤٨؛ وينظر: فقه العهود والمواثيق: محمد تقي المدرسي/ ٤٨.

٤. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي/ ٣ / ١٦٨.

٥. من لا يحضره الفقيه: الصدوق/ ٣ /٢٣٥/ الأيمان والنذور والكفارات / ٤٢٧٣.

٦. ينظر: النذر: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد / ط١ / دار الصحابة للتراث / طنطا/ ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م/١٤.

٧. ينظر: موجز الفتاوى المستنبطة: ميرزا علي الغروي/ ٣٤٩.

٨. الكافي(الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ١٤/ ٧٧٤/ كتاب الأيمان والنذور والكفارات/ باب النذور/ ١٧.

الإمام علي الهادي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في تحديد المقدار المالي المبهم، فنرى أنَّ النص عالج مشكلة تشريعية وهي أنَّ النذر كان بمقدار مالي غير محدد، فيأتي دور النص القرآني لفكِّ هذا الإبهام من خلال عَدِّ المواطن التي انتصر فيها النبي (ﷺ) وذُكرت في القرآن الكريم؛ فكانت ثمانين موطنًا[1]، وهذا الاستدلال ورد أيضًا عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ): "(وإذا نذر أن يتصدَّق بمال كثير ولم يُسمِّ مبلغه فإنَّ الكثير ثمانون وما زاد لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ التوبة:٢٥ وكانت ثمانين موطنًا)" [2].

وبهذا أثبت النص أنَّ القرآن الكريم هو المرجع الأصيل في تحديد الدلالة، وهذا يجعل التشريع المالي ينضبط وفق البيان القرآني، والنص يُظْهِر كيف حسمت الآية الكريمة الخلاف بين العلماء في تحديد المال الكثير، ممّا يجعل القرآن الكريم مهيمنًا على بقية أدوات الاستنباط.

نستنتج من خلال ذلك أنَّ المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لم تكن مجرد مصدر للأحكام الكلية، بل هي مرجع لغوي وبياني لفكِّ التباسات النصوص التشريعية، ممّا يثبت أنَّ القرآن الكريم هو الميزان الذي توزن به الالتزامات العبادية والمالية للمكلف.

---

[1]. ينظر: تحف العقول: الحرّاني/ ٤٨١، ٤٨٢.

[2]. من لا يحضره الفقيه: ٣ /٢٣٩/ الأيمان والنذور والكفارات/ ٤٢٩٨.

## المطلب الثالث:

## المرجعية القرآنية ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

روى الإمام الحسين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قوله: "(اعتبروا أيها الناس، بما وعد الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ المائدة: ٦٣، وقال:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ – إلى قوله – لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المائدة: ٧٨، ٧٩. وإنَّما عاب الله ذلك عليهم لأنَّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة ممّا يحذرون والله يقول:﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ المائدة: ٤٤ ... فبدأ الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فريضة منه؛ لعلمه بأنَّها إذا أُدِّيَت وأُقيمت استقامت الفرائض كلها هيّنها وصعبها وذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظلوم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها...)" [1]

تُعَدُّ هذه الفريضة العظيمة صمّام الأمان، والضمانة العظمى لاستقامة سائر العبادات والمعاملات، فلا يقتصر دورها على الجانب الوعظي، بل يتجاوز ذلك لتكون نظامًا رقابيًا متكاملاً لتنظيم مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه، ودينه، و"المعروف: هو كل فعل حسن اختص بوصف زائد على

[1]. تحف العقول: الحرّاني/ ٢٣٧.

حسـنه إذا عرف فاعله ذلك، أو دلَّ عليه، والمنكر كل فعل قبيح عرف فاعله قبحه أو دل عليه" [١] ، وقيل المعروف هو كل شـيء أراده الله وأمر به، والمنكر كل شـيء أبغضـه الله وأحبَّ تركه [٢] . وقد أمر الله تعالى بهما في القرآن الكريم، تارة بالخطاب الصـريح قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ آل عمران: ١٠٤، وتارة تحت عنوان "التواصـي بالحق والتواصـي بالصـبر والموعظة والدعوة إلى الخير"[٣] ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ العصر:٣، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، وحثت الروايات الشـريفة على إقامتهما، فعن أبي جعفر (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ): "(... إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فريضـة عظيمة بها تقام الفرائض)" [٤] وهي منهاج الصـلاح وسـبيل الأنبياء، وهي من أفضـل الأعمال، فقد ورد أنَّ رجلاً سـأل النبي الأكرم (ﷺ) عن أفضـل الأعمال فقال: "(الإيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: صـلة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...)" [٥]، وبهما صـلاح الشـأن، وقوام الأمر، وتعطيلهما تعطيل للحقوق، وإخماد

---

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ السيد محسن الخرّازي/ ط١ / مؤسسة النشر الإسلامي/ قم المشرفة / ٥.

٢. ينظر: إيقاظ همم أولي الفكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: محمد بن عمر بن عبد العزيز آل سليم (١٢٤٥هـ- ١٣٠٨هـ) / تحقيق: نواف بن عبيد بن سعد الرعوجي/ مراجعة: محمد بن محمد بن إبراهيم العويد / دار النفائس والمخطوطات ببريدة /٤١.

٣. فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيدر حب الله /ط١/ مؤسسة الانتشار العربي/ بيروت_ لبنان/ ٢٠١٤م/ ٣١.

٤. الكافي(الفروع): الكليني(٣٢٩هـ)/٩/ ٤٨٢/ كتاب الجهاد/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ٨٣١٩.

٥. فقه الرضا (المنسوب إلى الإمام الثامن علي بن موسى الرضا (عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)) /تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي / مؤسسة النشر الإسلامي/ط٣/ قم المشرفة/ ١٤٤٣هـ/ ٢٩١/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

للحق، وإظهار للباطل، وهذه الفريضة ليست مسألة جزئية، بل هي عنوان للحس الجماعي، ولإصلاح المجتمع فكريًا، وتربويًا، وأخلاقيًا، وثقافيًا[1] . وقد حصل الإجماع على وجوب هذه الفريضة وضرورتها بناءً على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [2]، ولهذه الفريضة ثلاث مراتب: بالقلب، وباليد، وباللسان، والأولى عينية؛ إذ يجب على كل فرد أن يحب كل ما هو معروف، ويكره المنكر بكل أشكاله، وهذا من شرائط الإيمان، والثانية والثالثة مُخْتَلَفٌ في وجوبها عينًا أو كفايةً [3]. وإنَّ "من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعلاها وأتقنها وأشدها، خصوصًا بالنسبة إلى رؤساء الدين أن يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه، وينزع المنكر محرمه ومكروهه، ويستكمل نفسه بالأخلاق الكريمة، وينزهها عن الأخلاق الذميمة، فإنَّ ذلك منه سبب تام لفعل الناس المعروف، ونزعهم المنكر" [4] ، ولترك هذه الفريضة العظيمة آثار سيئة حذرت منها الروايات الشريفة فقد ورد عن أبي جعفر (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أنَّه قال: "(بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)" [5]. وعن الإمام الرضا (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) قال: "(لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولَتَنْهُنَّ عن المنكر، أو لَيُسْتَعْمَلَنَّ عليكم

---

[1]. ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيدر حب الله/ مجلة نصوص معاصرة/ العدد: ٤٢ / ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ/ ٦.

[2]. ينظر: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شرح المختصر النافع: السيد محمد بن علي الطباطبائي الحائري (١٢٤٢هـ) / تحقيق: سلام محمد الناصري/ مراجعة: مركز تراث كربلاء- قسم شؤون المعارف الإسلامية= =والإنسانية/ط١/ نشر: العتبة العباسية المقدسة /١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م/٥٣؛ وينظر: محسن الخرّازي/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/١٠.

[3]. ينظر: الفقه (موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي): السيد محمد الحسيني الشيرازي/ط٢/دار العلوم / بيروت – لبنان / ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م / ٤٨ /١٦٨.

[4]. منهاج الصالحين: السيستاني/ ٤٢٠.

[5]. الكافي(الفروع): الكليني(٣٢٩هـ) / ٩/ ٤٨٦/ كتاب الجهاد/باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ٥.

شـــراركم، فيدعو خياركم فلا يســـتجاب لهم)" [1] لذا فإنَّ تعطيل هذه الفريضـــة موجب لنزول البلاء، واستحقاق الهلاك، وخذلان الله، وسد باب استجابة الدعاء، وطمع الأعداء في الأمة، ونقص الأرزاق، وتسلّط الأشرار، وغيرها من الكوارث والموبقات العظمى [2] .

ومن مصـــــاديق الأمر بالمعروف أمور كثيرة منها: "تعليم الجاهلين، وتنبيه الغافلين، وتزكية أخلاق الناس، والوعظ والتذكير، وتأسـيس المدارس الدينية، وتعمير المسـاجد، مع تنظيم ما يقع فيها، وتأسيس المكتبات والمؤسسات للتعليم والتربية، وتنظيم الأمور التربوية، والقيام بتربية الأطفال والشبان، وتأليف الكتب وكتابة المقالات المفيدة وطبعها ونشـــرها...هذه كلها قد تكون من مصـــــاديق الأمر بالمعروف" [3] . أما مصاديق النهي عن المنكر منها: "المنع عن تأسيس المراكز للفحشاء والفساد بأي طريق ممكن، وهدمها بعد وجودها، ومواجهة الدعايات الباطلة والكتب والمقالات المضـــلّة، وردها والمنع من نشـرها، ومكافحة الجبابرة والطغاة لقمع أصـولهم ودفع ظلمهم وتضـعيف نفوذهم، وتجهيز القوى المادية والمعنوية لرفع الاستعمار...كل هذه الأمور وأشباهها، قد تكون من مصادق النهي عن المنكر" [4].

---

[1]. الكافي(الفروع): الكليني(٣٢٩هـ): ٩/ ٤٨٥/ كتاب الجهاد/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ٣.

[2]. ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (بحوث فقهية): آية الله العظمى الشيخ حسين النوري الهمداني/ مؤسسة المهدي الموعود (عج)/ط٢ /١٤١٦هـ/ ٣٨.

[3]. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حسين النوري الهمداني/ ٥٥.

[4]. المصدر نفسه: ٥٥.

ومن خلال ذلك كله يتبيّن لنا أهمية هذه الفريضة وضرورتها في تحصين المجتمع، وحماية الأفراد، واهتمام المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بها، وكما تقدّم في الرواية عن أبي عبد الله الحسين عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) التي افتتحنا بها هذا المطلب، نرى أنَّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد وضع قاعدة تنظيمية عظمى وهي، أنَّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقة ومقدَّمة؛ لأنَّها الضامنة لأداء بقية الفرائض، فقد تحوَّلت من مجرد نصيحة أخلاقية إلى قاعدة تشريعية ملزمة، ترتبط بصلاح النظام الاقتصادي والاجتماعي للدولة، وإنَّ استحضار النصوص القرآنية ليس للحكاية فحسب، بل لتنظيم السلوك، وتجنب الوقوع في الانحرافات التشريعية التي وقعت فيها الأمم السابقة، فيجعل النص القرآني من كل مؤمن مسؤولاً ورقيبًا، بما يضمن استقامة الفرائض الأخرى، كما إنَّ توظيف النص للشواهد التأريخية في ذم الربانيين والأحبار يُعَدُّ تحذيرًا لمنع تآكل المنظومة التشريعية من الداخل، وبهذا يكون المجتمع شريكًا في تنفيذ وحماية التشريعات، ونرى أيضًا أنَّ النص فيه إشارة لتفعيل الجانب الرقابي، مما يفتح آفاقًا جديدة لفهم المسؤولية الجماعية في النظم المعاصرة، فالدعوة إلى الالتزام بالفرائض والواجبات عبر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو عين ما تريده الشريعة المقدسة اليوم من المشاركة الإيجابية في بناء المجتمع ومحاربة الظواهر السلبية كالفساد الإداري والرشوة والتجاوزات الأخرى، ففي الوقت الراهن لا يمكن أن تستقيم الخطط التنموية، أو القوانين المدنية دون وعي رقابي وذاتي لدى أفراد المجتمع لمنع أي تجاوزات، فعلى صعيد المؤسسات اتخذت هذه الفريضة شكلاً آخر تَمثَّل بهيئات النزاهة والرقابة المالية وغيرها، فالنصوص التي ذمّت الربانيين والأحبار بسبب عدم نهيهم عن الإثم، هي في جوهرها نقد لكل من يغضُّ الطرف عن مظاهر الفساد الذي يؤدي إلى انهيار

الاقتصاد، والمجتمع، ومع هذا الانتشار السريع لمنصات التواصل الاجتماعي، أصبحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متاحة للجميع فيستطيع الفرد من خلالها النقد والتوجيه والإرشاد، على أن لا يتحول ذلك إلى الفتنة أو التشهير، بل يجب أن يكون أداة تقويمية كما أرادها القرآن الكريم وبيَّنها المعصومون (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وفي الختام يخلص هذا المبحث إلى أنَّ المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لم تتوقف عند الاستشهاد لتعزيز الحكم، بل كانت هي المنظم و المخطط للمنظومة التشريعية، إذ أثبتت الدراسة أنَّ الرجوع للنص القرآني نقل العبادة من الإطار الشكلي إلى الجوهر الحقيقي، فربطت بين دوام الصلاة وبين قضاء النوافل، وكذا بين صحة الحج وبين الالتزام بهيئة الحج التي أرادها القرآن، ولم تقتصر على العبادات البدنية بل تجلّت أيضًا في الجانب المالي للعبادة من خلال اعتماد النص القرآني كمرجع أعلى في تحديد الإنفاق، وحصر المستحقين، وضبط ميزان التكليف بين الأغنياء والفقراء، وصولاً إلى بيان المقادير المالية المبهمة كالنذور عن طريق الاستنباط من النص القرآني، كذلك كشف المبحث عن العلاقة بين التشريع والعقيدة فلا يطرح القانون التشريعي بشكل جاف، بل كالتزام إيماني يستمد قوته من الوعد والوعيد الوارد في القرآن الكريم، ليُخْتَم المبحث بإبراز فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنظام رقابي مستمد من القرآن الكريم، بما يضمن حماية سائر الفرائض واستقامة المنظومة الاقتصادية والمجتمعية، وبهذا يكون النص القرآني هو المرجع الحاكم الذي تنبثق منه القوانين الناظمة لحياة الفرد والمجتمع.

# الخاتمة

## الخاتمة :

وفي ختام هذه الرحلة العلمية المباركة نخلص إلى جملة من النتائج، نوجزها في نقاط:

١. عمق التناص: أثبتت الدراسة أنَّ لغة المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" تماهت مع القرآن الكريم عبر مستويات ثلاثة: (مفهومية، استشهادية، اقتباسية)، وهذا يعكس وحدة المصدر المعرفي.

٢. تعدد الوظائف: لم يقتصر توظيف النصوص القرآنية على الوعظ والإرشاد فحسب، بل تعداه إلى وظائف أخرى (تفسيرية، حجاجية، تربوية)، فكان القرآن الكريم هو الأساس البياني لتوضيح المفاهيم الغامضة، والحجة الدامغة في الحوار والمناظرة، والهمسة التربوية اللطيفة.

٣. كشفت الدراسة أنَّ مرجعية أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) القرآنية قد ركزت على تحرير الحجة الباطنة، وجعلت التفكّر فريضة إيمانية تقوم على الاستدلال القرآني .

٤. المرجعية القرآنية امتدت لتشمل أدق التفاصيل في الحياة الاجتماعية، عن طريق تنظيم العلاقات الأسرية، وصولاً إلى ثقافة الوعي الصحي، وهذا يثبت شمولية الإسلام، وأنَّه نظام حياة متكامل.

٥. كشفت الدراسة أنَّ قضايا التوحيد، والعدل، والإمامة في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لم تكن آراءً مجردةً، بل كانت تأصيلاً مباشرًا لمضامين القرآن الكريم وتفصيلاً لمقاصدها.

٦. بيَّنت الدراسة أنَّ العبادات، والالتزامات المالية، والتشريعات الزاجرة في كلام المعصومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) قد استندت إلى مرجعية قرآنية، وتهدف إلى تحقيق التوازن بين حق المعبود وحق العبد، وضمان الاستقرار في المجتمع، ورعاية الفوارق الطبقية.

٧. كشفت الدراسة أنَّ كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" _على الرغم من تصنيفه التقليدي ضمن كتب الحكم والمواعظ _ إلا أنَّه يُعَدُّ موسوعة ثرية، لم تقتصر على الجانب الروحي فحسب، بل تعدى ذلك إلى شمول الأبعاد التشريعية والاجتماعية والصحية، وهذا يدل على أنَّ الحكمة في منظور القرآن الكريم وأهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، هي رؤية شاملة لتنظيم حياة الفرد والمجتمع وفي شتى المجالات، فما ورد في الكتاب من نصوص غطى الحقول المعرفية المختلفة، من قوانين تشريعية وأدب حوار ومناظرة، ونظام مالي، ورعاية صحية، وعلاقات اجتماعية، وغير ذلك، وبهذا فإنَّ المرجعية القرآنية هي التي منحت الحكم والمواعظ هذه القيمة، وجعلتها صالحة لبناء المجتمع المثالي.

**المقترحات:**

١. تدعو الدراسة إلى تسليط الضوء على كتب التراث الأخرى، ودراسة المرجعية القرآنية فيها.

٢. إعادة قراءة كتب الحكم والمواعظ برؤية شاملة، وعدم حصرها في إطار الأخلاق، بل يجب استخراج الكنوز الكامنة فيها في المجالات المتعددة .

٣. ضرورة تحويل النتائج المتعلقة بالأسرة والجانب الصحي المستنبطة من الكتاب إلى برامج تربوية تسهم في حل المشكلات المعاصرة.

# الخاتمة

٤. الاهتمام بدراسة كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" وتدريس مضامينه في المدارس والجامعات.

٥. عمل دراسة مقارنة بين ما ورد في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" من نظم وتشريعات مالية واجتماعية وبين النظريات الحديثة؛ لبيان أسبقية الفكر الإسلامي في تأصيل تلك النظريات.

وختامًا نقول: إنَّ الجهد المبذول في هذه الدراسة، هو جهد بشري، فإن كان فيها صواب فهو بتوفيق من الله تعالى وبركات القرآن الكريم والمعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وإن كان غير ذلك فمن نفسي، ونحمد الله ونشكره أولاً وآخرًا.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

**أولاً: المصادر:**


١ .أسنى المطالب في صلة الأقارب (فضائل صلة الرحم وتحريم قطعها): أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ) / تحقيق: خلاف محمود عبد السميع / منشورات: محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان/ د.ت.

٢ .أصول البزدوي [كنز الوصول إلى معرفة الأصول]: علي بن محمد البزدوي الحنفي (٣٨٢هـ)/ د.ت.

٣ .أصول الكافي: الكليني [أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي(٣٢٩هـ)]/ تحقيق: علي أكبر الغفاري/ مكتبة الصدوق/ طهران/ د.ت.

٤ .إقبال الأعمال: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (٦٦٤هـ) / تعليق: الشيخ حسين الأعلمي / ط١ / منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

٥ .أمالي الصدوق: أبي جعفر الصدوق [محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)] / تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان / منشورات: المطبعة الحيدرية / النجف / ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م.

٦ .أمل الآمل: محمد بن الحسن [الحر العاملي (١١٠٤هـ)] / تحقيق: أحمد الحسيني/ ط٢/ مؤسسة الوفاء / بيروت_ لبنان/ ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٣م.

٧ .الإنصاف في النص على الأئمة الإثني عشر الأشراف (عليهم السلام): السيد هاشم البحراني / تحقيق: سلام الزبيدي؛ ويوسف العلي/ ط١/ مؤسسة أم القرى/ لبنان_ بيروت / ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.

٨ .أوائل المقالات: الشيخ المفيد [محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ – ٤١٣ هـ)] / تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري / ط ١/ الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد / ١٤١٣ هـ.

٩ .بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) /تحقيق: جلال الدين علي الصغير /تقديم: محمود ذرياب النجفي /ط١/ دار التعارف/ بيروت_ لبنان/ ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠١م.

١٠ .البداية والنهاية: ابن كثير (٧٠١_ ٧٧٤هـ) / تحقيق: حسان عبد المنان/ بيت الأفكار الدولية/ د.ت.

١١ .البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني / تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين / ط٢/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان /١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

١٢ .البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم /ط٣/ دار التراث/ القاهرة/ ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

١٣ .بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠ هـ) / تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم / ط١ / انتشارات المكتبة الحيدرية / ١٣٨٤ – ١٤٢٦ هـ.

١٤ .تأريخ الطبري تأريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / ط٢ / دار المعارف – مصر/د.ت.

١٥ .تأريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي / تحقيق: عبد الأمير مهنا / ط١/ شركة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان / ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

١٦ .التبيان في تفسير القرآن: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) / تحقيق: أغا بزرك الطهراني/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت _ لبنان/د.ت.

١٧ .تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني / تحقيق: علي أكبر الغفاري/ ط٢/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم _ إيران/ ١٤٠٤هـ.

١٨ .تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي [الحسن بن يوسف بن المطهر(٧٢٦هـ)] / تحقيق: مؤسسة أهل البيت (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) لإحياء التراث/ ط١/ قم المقدسة/ ١٤١٤هـ.

١٩ .تفسير الصافي: المولى محسن الملقب بـ "الفيض الكاشاني" (١٠٩١ هـ) / صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي / مكتبة الصدر: طهران/د.ت.

٢٠ .تفسير القرآن الكريم: المفسر والمحدث والفقيه عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي (١٢٧ هـ) / تحقيق: عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين / ط١ / منشورات دليل ما / إيران – قم / ١٤٣١ هـ.

٢١ .تفسير القمي: أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي / تصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري / ط٣ / مؤسسة دار الكتاب / قم – إيران /١٤٠٤هـ.

٢٢ تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي / تحقيق: حسين دركاهي/ ط١/ مؤسسة شمس الضحى/ طهران/ ١٤٣٠هـ.

٢٣ .تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لإحياء التراث / ط٢/ قم المشرفة/ ١٤١٤هـ.

٢٤ .تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٤٦٠هـ) / تحقيق: علي أكبر الغفاري/ مكتبة الصدوق/ ط١/ دار الكتب الإسلامية– طهران/ ١٣٨٦هـ. ش.

٢٥ .التوحيد: الشيخ الصدوق [أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي] / تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني / ط ١٠ / مؤسسة النشر الإسلامي / قم – إيران/ ١٤٣٠هـ.

٢٦ .جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) / تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد وآخرون / دار الحديث – القاهرة / ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٢٧ .الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/تحقيق: هاشم سمير البخاري/دار عالم الكتب/ الرياض/د.ت.

٢٨. خلاصة تذكرة داوود في التداوي بالأعشاب والنباتات: جمع وترتيب: سيد مبارك / الناشر: المكتبة المحمودية/د.ت.

٢٩ .الذريعة إلى حافظ الشريعة (شرح أصول الكافي): رفيع الدين محمد بن محمد مؤمن الجيلاني / تحقيق: محمد حسين الدرايتي / ط١ / دار الحديث، إيران– قم المقدسة/د.ت.

٣٠ .رجال النجاشي: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي (٤٥٠هـ) / تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني / ط٦ / مؤسسة النشر الإسلامي – جماعة المدرسين بقم (إيران)/ ١٤١٨ هـ.ق.

٣١ .روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للصدوق: محمد تقي المجلسي/ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي/ ط١/ قم / ٢٠٠٨م.

٣٢ .رياض العلماء وحياض الفضلاء: عبد الله أفندي الأصبهاني / تحقيق: أحمد الحسيني/ منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي/ قم_ إيران/ ١٤٠٣هـ.

٣٣ .شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي [أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (٦٠٢_ ٦٧٢هـ)] / تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال/ ط٣/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ إيران_ قم المقدسة/ ١٤٢٦هـ.

٣٤ .شرح أصول الكافي: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي / تصحيح: محمد خواجوي / مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرسنكي/ طهران/د.ت.

٣٥ .شرح توحيد الصدوق: القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمي (١٠٤٩ هـ – ١١٠٧ م) / تحقيق: الدكتور نجفقلي حبيبي / ط١ / مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي / طهران/د.ت.

٣٦ .الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد/تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ ط٢/ دار الكتب العلمية/ بيروت_ لبنان/ ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م.

٣٧.طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية / نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي(٥٣٧هـ) / تعليق: خالد عبد الرحمن العك/ط١/ دار النفائس/ بيروت_ لبنان/ ١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م.

٣٨ .العدة في أصول الفقه: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) / تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي/د.ت.

٣٩ .علل الشرائع: الشيخ الصدوق / ط١ / دار المرتضى / بيروت – لبنان / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٤٠ . عيون أخبار الرضا: أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) / تعليق وتصحيح: حسين الأعلمي / ط٢ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت – لبنان / ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٤١ .غاية المرام وحجة الخصام: السيد هاشم البحراني/ تحقيق: السيد علي عاشور/ ط١ / مؤسسة التأريخ العربي/ بيروت _ لبنان/ ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.

٤٢ .غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الآمدي التميمي (٥٥٠هـ) /تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي/ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت_ لبنان/ ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠٢م.

٤٣. فقه الرضا المنسوب إلى الإمام الثامن علي بن موسى الرضا(عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) :تحقيق: الشيخ رحمة الله الرحمتي / مؤسسة النشر الإسلامي/ ط٣/ قم المشرفة/ ١٤٤٣هـ.

٤٤. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) / تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد/ دار الحديث/ القاهرة / ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.

٤٥ .كتاب الأصيفر: محمد بن شعبة الحرَّاني/ تحقيق: رواء جمال علي/ ٢٠١٦م.

٤٦ .كتاب الاعتقادات: الشيخ الصدوق [أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي] (٣٨١ هـ) / تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) /ط ٣ / قم المقدسة / ١٤٣٥هـ.

٤٧ .كتاب الأمالي: الشيخ المفيد [عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(٤١٢هـ)] / تحقيق: الحسين استاد ولي، علي أكبر الغفاري/ منشورات جماعة المدرسين / قم المقدسة/ ١٤٠٣هـ.ق.

٤٨ .كتاب الأهوية والمياه والبلدان: لأبي الطب أبقراط / ترجمة: شبلي شميل/ طبع: مكتبة المقتطف – القاهرة / ١٨٨٥ م.

٤٩ .كتاب التفسير: أبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي [العياشي] / تحقيق: السيد باسم الرسولي المحّلاتي / المكتبة العلمية الإسلامية / طهران – سوق الشيرازي.

٥٠ .كتاب الخصال: الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ) / تحقيق: علي أكبر الغفاري / منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم المقدسة / ١٤٠٣هـ.

٥١ .كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) / تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي/ ط١/ منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية / بيروت_ لبنان.

٥٢ .كتاب بلاغات النساء: الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر(٢٨٠هـ) / تحقيق: أحمد الألفي/ القاهرة /١٣٢٦هـ_ ١٩٠٨م.

٥٣ .كتاب سليم بن قيس الهلالي (٧٦ هـ): أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي / تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني / ط٥ / منشورات دليل ما / إيران– قم/ ١٣٢٨ هـ ق – ١٣٨٦ هـ ش.

٥٤ .كتاب من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق [أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(٣٨١هـ)] / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي/ ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥٥ .الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧_ ٥٣٨هـ) / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض/ط١/ مكتبة العبيكان/ الرياض/١٤١٨هـ_ ١٩٩٨م.

٥٦ .كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (٦٩٣هـ) / دار المرتضى/ ط١/ لبنان_ بيروت/ ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م.

٥٧ .كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي (٦٤٨_ ٧٢٦هـ) / تعليق: الشيخ جعفر السبحاني/ ط٢/ مؤسسة الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) / قم / ١٣٨٢هـ.ش.

٥٨ .كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي(٤٠٠هـ) /تحقيق: محمد كاظم الموسوي، وعقيل الربيعي/ط١/ نشر: دليل ما/١٤٣٠هـ.

٥٩.كنز العرفان في فقه القرآن: جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري(٨٢٦هـ) / تحقيق: محمد باقر البهبودي/ انتشارات مرتضوي / طهران/١٣٧٣هـ.

٦٠ .لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (٧١١هـ) / نشر: أدب الحوزة / قم_ إيران/ ١٤٠٥هـ.

٦١ .مجمع البيان في تفسير القرآن: أبي علي الفضل الحسن الطبرسي / تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين / مؤسسة الأعلمي / بيروت – لبنان/د.ت.

٦٢ .المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني (١٠٩١هـ) / تحقيق: علي أكبر غفاري/ مكتبة الصدوق / طهران / ١٣٤٠ هـ ش.

٦٣ .مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المولى محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) / ط٢/ دار الكتب الإسلامية /د.ت.

٦٤ .المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(٧٧٠هـ) / تحقيق: عبد العظيم الشناوي / ط٢ / دار المعارف / القاهرة/د.ت.

٦٥ .معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي / دار صادر / بيروت/د.ت.

٦٦ .معجم التعريفات: الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) / تحقيق: محمد صديق المنشاوي / دار الفضيلة/د.ت.

٦٧ .المعتمد في الأدوية المفردة: الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني صاحب اليمن (٦٩٤هـ) / تحقيق: مصطفى السقا / ط٢ / مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر / ١٣٧٠هـ – ١٩٥١ م.

٦٨ .المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد [الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)] تحقيق: محمد سيد كيلاني/ دار المعارف/ بيروت _ لبنان/د.ت.

٦٩ .مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/د.ت.

٧٠ .المقنعة: الشيخ المفيد [أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ.ق)] / مؤسسة النشر الإسلامي/ قم المقدسة/ ط٢ / ١٤١٠هـ.

٧١ .مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / دار الأمير / النجف الأشرف/د.ت.

٧٢ .الملل والنحل: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩_ ٥٤٨هـ) / تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور/ ط٣/ دار المعرفة /بيروت _ لبنان/ ١٩٩٣م_ ١٤١٤هـ.

٧٣ .منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: الحسن بن يوسف بن المطهر [العلامة الحلي (٧٢٦ هـ)] / تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم مبارك / ط١ / مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية/ مشهد المقدسة/د.ت.

٧٤ .الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي [إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي] / شرح: عبد الله دراز/ ط١/ منشورات: محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية/ بيروت_ لبنان/ ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م.

٧٥ .وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨_ ٦٨١هـ) / تحقيق: د. إحسان عباس / دار صادر / بيروت/د.ت.

**ثانياً: المراجع:**

١ .أدب الله، شرح رسالة الإمام الصادق(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى جماعة الشيعة: مجيد الصائغ/د.ت.

٢ .الأخلاق في القرآن (فروع المسائل الأخلاقية): ناصر مكارم الشيرازي ومجموعة من الفضلاء/ ط٢/ مطبعة سليمان زادة /مدرسة الإمام علي بن أبي طالب / إيران_ قم/ ١٤٢٦هـ.

٣ .أسرار الصلاة: آية الله جوادي آملي/ دار الصفوة/ ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٩م.

٤ .أسرار الصلاة: الشيخ حبيب الكاظمي/ ط١/ نور المعارف/ قم- إيران/ ١٤٣٩هـ.

٥ .أسرار العسل العجيبة: هيام رزق، معصومة علامة / ط١ / دار القلم/د.ت.

٦ .إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم(عَلَيْهِ السَّلَامُ) إلى هشام في العقل: عماد الكاظمي / ط١ / دار المجيب، العراق – الكاظمية المقدسة / نشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر / ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م.

٧ .أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: العلامة الشنقيطي/ دار عطاءات العلم/ ط٥/ ١٤٤١هـ_ ٢٠١٩م.

٨ .أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (١٣٧١هـ) / تحقيق: حسن الأمين / دار المعارف للمطبوعات / بيروت / ١٤٠٣هـ_ ١٩٨٣م.

٩ .الإمامة: الشهيد الشيخ مرتضى المطهري /ترجمة: جواد علي كسار/ دار الحوراء للطباعة والنشر_ مؤسسة أم القرى/د.ت.

١٠ .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي/ ط٢/ دار إحياء التراث العربي /بيروت _ لبنان/د.ت.

١١ .الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: السيد محسن الخرّازي/ ط١ / مؤسسة النشر الإسلامي/ قم المشرفة/د.ت.

١٢ .الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (بحوث فقهية): آية الله العظمى الشيخ حسين النوري الهمداني/ مؤسسة المهدي الموعود (عج)/ ط٢ /١٤١٦هـ.

١٣ .إيقاظ همم أولي الفكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: محمد بن عمر بن عبد العزيز آل سليم (١٢٤٥هـ- ١٣٠٨هـ) / تحقيق: نواف بن عبيد بن سعد الرعوجي/ مراجعة: محمد بن محمد بن إبراهيم العويد / دار النفائس والمخطوطات ببريدة/د.ت.

١٤ .بحوث في الفقه (كتاب الخمس): محمود الهاشمي الشاهرودي/ ط٢/ مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي/قم _ إيران/١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م.

١٥ .بحوث في القرآن الحكيم: محمد تقي المدرسي/ ط٣/ نشر: دار محبّي الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) /١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٤م.

١٦ .البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي (١٣١٧_ ١٤١٣هـ) / مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي/ إيران _ قم/د.ت.

١٧ .تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي / منشورات: دار مكتبة الحياة / بيروت – لبنان/د.ت.

١٨ .تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: حسن الصدر (١٣٥٤هـ) / شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة/د.ت.

١٩ .تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح / ط١ / المركز الثقافي العربي / بيروت / ١٩٨٥م.

٢٠ .تسنيم في تفسير القرآن: العلامة الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي / تعريب: السيد عبد المطلب رضا / تحقيق: الشيخ عبد المنعم الخاقاني / دار الإسراء للطباعة والنشر / ط٢ / بيروت/ د.ت.

٢١ .تفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور / الدار التونسية للنشر / تونس / ١٩٨٤ م.

٢٢ .التفسير المبين: محمد جواد مغنية / ط ٢/ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر / بيروت – لبنان / ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٢٣ .تفسير من وحي القرآن: آية الله السيد محمد حسين فضل الله / ط٢ / دار الملاك / بيروت – لبنان / ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٢٤ .التقوى في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي: محمد الدبيسي/ ط١/ دار المحدثين / القاهرة / ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٢٥ .التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر [أحمد العواضي أنموذجًا]: عصام حفظ الله حسين واصل/ ط١ / دار غيداء للنشر والتوزيع / ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ م.

٢٦ .التناص دراسة في الخطاب النقدي العربي: د. سعد إبراهيم عبد المجيد / تصحيح: شجاع مسلم العاني / ط١ / دار الفراهيدي للنشر والتوزيع / العراق – بغداد / ٢٠١٠ م.

٢٧ .تنقيح المقال في علم الرجال: عبد الله المامقاني (١٣٥١هـ) / تحقيق: محي الدين المامقاني/ ط١/ مؤسسة آل البيت (عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ) لإحياء التراث/ قم_ إيران/ ١٤٢٣هـ.

٢٨ .جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (١٢٠٩ هـ) / دار المتقين / ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٢٩ .جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيّد أحمد الهاشمي / ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي/ المكتبة العصرية / صيدا – بيروت/ د.ت.

٣٠ .جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي/ تحقيق: عباس القوجاني/ط٧/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت_ لبنان/١٩٨١م.

٣١ .الحج عبادة وتربية: مؤسسة البلاغ/ مطبعة معراج/ ط٣ / طهران – إيران/ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣٢ .الحج في نهج البلاغة: الشيخ فارس حسون/ العتبة العلوية المقدسة/ العراق- النجف الأشرف/ ١٤٣٢هـ- ٢٠١١ م.

٣٣ .حق اليقين في معرفة أصول الدين: السيد عبد الله شبر (١٢٤٢هـ) / ط١/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣٤ .حقائق هامة حول الصلاة: الشيخ محسن قراءتي/ ط١/ دار الهادي/ بيروت- لبنان/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٥ .حقوق العائلة في الإسلام: سعيد السدّاوي / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان/د.ت.

٣٦ .حقيقة الحج: وحيد الدين خان/ ترجمة: ظفر الإسلام خان/ ط١/ دار الصحوة للنشر/ ١٤٠٨هـ_ ١٩٨٧م.

٣٧ .الخلق الكامل: محمد أحمد جاد المولى بك / ط١/ المطبعة العثمانية المصرية / ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦ م.

٣٨ .الدرر الفرائد في شرح القواعد: الشيخ محمد حسن المظفر (١٣٠١هـ- ١٣٧٥هـ) / تحقيق: عبد الحليم عوض الحلّي/ ط١/ مجمع الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ)العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) / مشهد – إيران/د.ت.

٣٩ .دروس منهجية في شرح عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر: حسين عبد الرضا الأسدي / قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية – معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية / ط١ / كربلاء المقدسة/ ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م.

٤٠ .الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أغا بزرك الطهراني (١٣٨٩هـ) / دار الأضواء/ بيروت/د.ت.

٤١ .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير جزء تبارك): أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي / دار إحياء التراث العربي / بيروت– لبنان/د.ت.

٤٢ .روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخونساري (١٣١٣هـ) /مكتبة إسماعيليان/ قم_ طهران/د.ت.

٤٣ .سبل الوصول لرفقة الرسول (ﷺ): د. أيمن محمد هاروش/د.ت.

٤٤ .سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) علي الجندي وآخرون / مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة / ١٩٦٧ م.

٤٥ .الشاب بين العقل والعاطفة: محمد تقي فلسفي/ تعريب: نور الدين مير زادة / مؤسسة الأعلمي/ بيروت_ لبنان.

٤٦ .شرح حكم نهج البلاغة: الشيخ عباس القمي (١٣٥٩ هـ) / دار الأنصار / إيران_ قم/د.ت.

٤٧ .شرح الصلاة: الشيخ محسن قراءتي/ المركز الثقافي للدروس القرآنية/د.ت.

٤٨ .صحتك ومرضك في طعامك: فؤاد عبد العزيز أحمد الشيخ/ دار النشر للجامعات/د.ت.

٤٩ .صلة الرحم: موفق هاشم الرحال / ط١ / الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / تدقيق: مصطفى كامل محمود / كربلاء المقدسة / ١٤٣٧ – ٢٠١٦م.

٥٠ .طب الإمام الصادق: محسن عقيل / ط٣/ منشورات ذوي القربى / قم/د.ت.

٥١ .طب الإمام الكاظم :(عَلَيْهِ السَّلَامُ) شاكر شبع/ ط١/ دار الأثر/ بيروت _ لبنان/ ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٢م.

٥٢ .الطب والصحة العامة في نهج البلاغة: أ. د. يحيى كاظم السلطاني/ ط١/ الناشر: العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية / النجف الأشرف/ ١٤٣٥هـ_ ٢٠١٤م.

٥٣ .طبقات أعلام الشيعة (نوابغ الرواة في رابعة المئات): أغا بزرك الطهراني / ط١/ دار إحياء التراث العربي/ ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م.

٥٤ .الطريق إلى الله: حسين البحراني/ تقديم: مهدي السماوي/ منشورات مكتبة الإمام الحسين العامة/ ١٣٨٧هـ_ ١٩٦٧م.

٥٥ .عجائب الماء (ملائمة الماء المثالية للحياة على الأرض والبشر): مايكل دنتون / ترجمة: فداء ياسر الجندي / ط١ / مركز دلائل للنشر / الرياض – المملكة العربية السعودية/ ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢١ م.

٥٦ .العدل الإلهي: مرتضى مطهري / ط٢ / دار الإرشاد / بيروت / ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.

٥٧ .العدل الإلهي: مرتضى مطهري/ ترجمة: عرفان محمود / مؤسسة أم القرى / دار الهدى/ ط٤/١٣٨٦هـ_٢٠٠٧م.

٥٨ .العدل شهيد المحراب: آية الله السيد عبد الحسين دستغيب الشيرازي / ترجمة: السيد أحمد القبانچي / منشورات مكتبة الفقية – الكويت / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٩ .عقائد الإسلام من القرآن الكريم: السيد مرتضى العسكري / ط٢ / المجمع العالمي لأهل البيت / بيروت / ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.

٦٠ .العقائد الإسلامية على ضوء القرآن الكريم: الشيخ محسن قراءتي / ترجمة: أحمد حسين بكر / المركز الثقافي للدروس القرآنية.

٦١ .عقائد ومفاهيم: السيد عبد الحسين دستغيب / ترجمة: موسى قصير / ط٣/ دار البلاغة / بيروت – لبنان /١٤١٣ هـ– ١٩٩٣ م.

٦٢ .العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام): الشيخ جعفر السبحاني / ترجمة: جعفر الهادي / ط ٢/ مؤسسة الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) /قم / ١٤٢٥ هـ.

٦٣ .العقيدة النصيرية بين بني نمير وحرَّان: رواء جمال علي/د.ط/د.ت.

٦٤ .عقيدتنا (مختصر عقيدة الشيعة الإمامية): الشيخ ناصر مكارم الشيرازي / تقديم: سيد هادي خسرو شاهين/ إعداد: صالح الورداني/د.ت.

٦٥ .علم النص: جوليا كرستيفا / ترجمة: فريد الزاهي / مراجعة: عبد الجليل ناظم / ط١ / دار توبقال للنشر / الدار البيضاء – المغرب / ١٩٩١ م.

٦٦ .فرائد الأصول: الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ – ١٢٨١هـ) / تحقيق: عبد الله النوراني / مؤسسة النشر الإسلامي/د.ت.

٦٧ .الفقه (موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي): السيد محمد الحسيني الشيرازي/ ط٢/ دار العلوم / بيروت – لبنان / ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.

٦٨ .فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيدر حب الله / ط١/ مؤسسة الانتشار العربي/ بيروت_ لبنان/ ٢٠١٤م.

٦٩ .فقه العهود والمواثيق: السيد محمد تقي المدرسي / ط١ / انتشارات محبان الحسين / قم المقدسة / ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

٧٠ .الفكر الإسلامي وعلوم القرآن: مرتضى مطهري/ ط١/ دار الإرشاد/ بيروت_ لبنان/ ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م.

٧١ .قراءة في فكر مالك ابن نبي: عبد الوهاب بو خلخال / سلسلة كتاب الأمة / إدارة البحوث والدراسات الإسلامية / قطر/ العدد: ١٥٢/ ١٤٣٣هـ.

٧٢ .القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم/ المكتبة الأزهرية للتراث/د.ت.

٧٣ .القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتأريخية: محمد أبو القاسم حاج حمد/ دار الساقي/ بيروت_ لبنان/د.ت.

٧٤ .القرآن: دراسة عامة: محمد رضا الحاج عباس الحكيمي/ ط١/ دار الصادق/ بيروت/ ١٣٩٢هـ.

٧٥ .قواعد فهم القران وتفسيره وتأويله: فاضل الصفار/ ط١/ دار المحجة البيضاء/ بيروت_ لبنان/ ١٤٤٣هـ_ ٢٠٢٢م.

٧٦ .كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شرح المختصر النافع: السيد محمد بن علي الطباطبائي الحائري (١٢٤٢هـ) / تحقيق: سلام محمد الناصري/ مراجعة: مركز تراث كربلاء– قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية/ ط١/ نشر: العتبة العباسية المقدسة /١٤٤٢هـ– ٢٠٢١م.

٧٧ .الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي /تقديم محمد هادي الأميني/ ط٥/مكتبة الصدر/طهران/د.ت.

٧٨ .اللباب في تفسير الكتاب: كمال الحيدري/ تدقيق: عبد الرضا عبد الحسين/ط١/ دار فراقد / قم _ إيران/ ١٤٣١هـ_ ٢٠١٠م.

٧٩ .الماء بين العلم والإيمان: الدكتور هاني عبد القادر عمارة / زهران للنشر/د.ت.

٨٠ .الماء "الذهب الأزرق" في الوطن العربي: الدكتور خالد محمد الزواوي / مجموعة النيل العربية/د.ت.

٨١ .ما هي الصلاة: آية الله السيد محمد حسين البهشتي/ ترجمة: الشيخ محمد رضا آل صادق / مؤسسة البعثة / طهران – إيران/د.ت.

٨٢ .المبين في توضيح منهاج الصالحين: عمار محمد كاظم الساعدي/ مؤسسة التأريخ العربي/ ط١/ بيروت لبنان/١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٨٣ .مراجعات قرآنية: رياض الحكيم/ ط٣ / دار الهلال/ قم/ ١٣٩١هـ_ ٢٠١٢م.

٨٤ .المرجعيات الثقافية والمعرفية عند الشيخ إبراهيم الكفعمي (قراءة في أنظمة تشريح النص والتفسير[صفوة الصفات مثالًا]): أ.د. عماد جبار كاظم داوود/ مراجعة وضبط: مركز تراث كربلاء _ قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية / ط١/ دار الكفيل / ١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٢م.

٨٥ .المرجعية (دراسة في المفهوم القرآني): عماد الدين الرشيد/ ط١/ نحو القمة للطباعة والنشر /سوريا _ حمص/١٤٢٧هـ_٢٠٠٥م.

٨٦ .مرجعية أهل البيت القرآنية: يوسف علي مطشر الفتلاوي (دراسة في الشواهد بين الكتاب والسنة) /ط١/ مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة /١٤٣٩هـ_ ٢٠١٨م.

٨٧ .المسائل المنتخبة (العبادات والمعاملات): السيد علي الحسيني السيستاني/ ١٤٤١ هـ.

٨٨ .مستمسك العروة الوثقى: السيد محسن الطباطبائي الحكيم/ تحقيق: محمد القاضي/ ط١/ دار الهلال/ ١٤٤١هـ_ ٢٠٢٠م.

٨٩ .مستند العروة الوثقى: تقريرًا لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي/ آية الله مرتضى البروجردي / ط٢ / دار الكتاب الحكيم / ١٤٤٣ هـ- ٢٠٢٢ م.

٩٠ .معجزة العسل شفاء ودواء: م. ياسر كنعان / ط١/ المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٩١ .معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبو القاسم الخوئي/ مؤسسة الإمام الخوئي/ النجف الأشرف/د.ت.

٩٢ .المعجم الفلسفي: جميل صليبا/ دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة / بيروت_ لبنان/ ١٩٨٢م.

٩٣ .معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر/ ط١/ عالم الكتب/ القاهرة / ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م.

٩٤ .المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية / الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث / ط٤/ مكتبة الشروق الدولية / مصر/ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٩٥ .مقدمة مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة السيد مرتضى العسكري/ دار الكتب الإسلامية/١٣٦٣هـ.

٩٦ .مناسك الحج وملحقاته: السيد علي الحسيني السيستاني / تحقيق: الشيخ حسن العبودي/ ط١/ الناشر: باقيات / إيران– قم / ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ.

٩٧ .منهاج التربية الصالحة: أحمد عز الدين البيانوني / دار السلام للطباعة والنشر/د.ت.

٩٨ .منهاج الصالحين (المعاملات): السيد علي الحسيني السيستاني/ ط٢/ دار المؤرخ العربي / بيروت– لبنان/ ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

٩٩ .منطق فهم القرآن (من أبحاث السيد كمال الحيدري): طلال الحسن/ مؤسسة الهدى للطباعة والنشر / بيروت_ لبنان/ ١٤٣٥هـ_ ٢٠١٣م.

١٠٠ .من هدي القرآن: السيد محمد تقي المدرسي / ط٢ /١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١٠١ .من وحي القرآن: آية الله السيد محمد حسين فضل الله/ ط٢/ دار الملاك/ بيروت_ لبنان/ ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م.

١٠٢ .من وصايا الرسول: طه عبد الله العفيفي / دار التراث العربي/د.ت.

١٠٣ .مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري/ط١/ دار التفسير/ ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م.

١٠٤ .مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري/ ط٥/ النجف الأشرف/د.ت.

١٠٥ .موجز الفتاوى المستنبطة (المعاملات): الشيخ ميرزا علي الغروي/ دار المحجة البيضاء / بيروت – لبنان/د.ت.

١٠٦ .موسوعة العدل الإلهي (دراسة عقلية نقلية تحليلية): تقريرًا لأبحاث السيد كمال الحيدري / الشيخ حيدر اليعقوبي / مؤسسة الإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الكاظمية المقدسة – بغداد / ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦ م.

١٠٧ .الموسوعة القرآنية المتخصصة: محمود حمدي زقزوق وآخرون/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية /وزارة الأوقاف/ مصر_ القاهرة /١٤٢٣هـ_ ٢٠٠٢م.

١٠٨ .موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي / تحقيق: د. علي دحروج / ط١/ مكتبة لبنان / لبنان /١٩٩٦م.

١٠٩ .الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي / منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة/د.ت.

١١٠ .نباتات العسل (النحل ومنتجاته، التداوي بالعسل): آلان سوري / ترجمة: دار طلاس / مراجعة: الدكتور لؤي أهدلي اليماني / ١٩٩٢م.

١١١ .النذر: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد / ط١ / دار الصحابة للتراث / طنطا/ ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م.

١١٢ .نظرية النص الأدبي: عبد الملك مرتاض / ط٢ / دار هومة – الجزائر / ٢٠١٠م.

١١٣. الواضح في شرح العروة الوثقى: الشيخ محمد الجواهري / ط١/ العارف للمطبوعات / بيروت – لبنان / ٢٠١٢م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

١ .التواصل الإضماري في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لابن شعبة الحرّاني: الطالب خالد حميد ناصر، كلية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) للعلوم الإسلامية الجامعة، ١٤٤٢هـ _ ٢٠٢٠م.

٢ .الحجاج في تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، للباحثة وسن هاشم عودة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٨هـ _ ٢٠١٦م.

٣ .الظواهر التركيبية في حديث الإمام الصادق (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لابن شعبة الحرّاني (دراسة نحوية دلالية): للطالب هادي فلحي جعفر الموسوي، كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة ميسان، ١٤٤٣هـ _ ٢٠٢٢م.

٤ .المضامين التربوية في وصايا الرسول (ﷺ) للإمام علي (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول": رسالة ماجستير للطالب محسن عبد الله خلف، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٩هـ _ ٢٠١٨م.

٥ .النصوص الإشهارية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" لابن شعبة الحرّاني (دراسة تحليلية): أطروحة دكتوراه للطالب فاضل عبد العباس عباس الشيباني، كلية التربية الأساسية قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، ١٤٤٦هـ _ ٢٠٢٤م.

ثالثاً: المجلات والبحوث:

١. آيات البيان القرآني بين السعة والضيق، مطالعة تحليلية في المعطيات اللغوية: ناطق نجم عبد الله الزركاني/ مجلة لارك/ مج: ٥٠/ عدد: ٢/ جامعة واسط/ ٢٠٢٣م.

٢ .الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيدر حب الله/ مجلة نصوص معاصرة/ العدد: ٤٢ / ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ.

٣ .جمال بلاغة أسلوب التقسيم القرآني: علي صادق كاظم الموسوي/ مجلة كلية التربية / مج: ٦٢/ عدد: ٢/ ٢٠٢٦م.

٤ .الدرس النحوي عند النحويين والبلاغيين: عامر هاشم محمد/ مجلة كلية التربية/ مج: ٤٦/ عدد: ٣/ جامعة واسط/ ٢٠٢٢م.

٥ .سنة الله في الاستدراج والإملاء (دراسة قرآنية): عمر حيدوسي / كلية العلوم الإسلامية / جامعة باتنة / بحث منشور: مجلة الإحياء / العدد: ١٩/ ٢٠١٦ م.

٦ .الشاهد القرآني عند الشيخ الكفعمي: قراءة في كتاب "المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى" الأصول والإجراءات: عماد جبار كاظم/ ضمن وقائع مؤتمر (تراثنا هويتنا) الدولي الثاني/ مركز تراث كربلاء/ ٢٠٢٣م.

٧ .القلب مركز الإدراك العقلي (وصية الإمام الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهشام بن الحكم أنموذجًا): علاء إبراهيم المليسي الموسوي / جامعة بابل – كلية التربية الأساسية / مجلة الكلية الإسلامية الجامعة / العدد: ٦٢.

٨ .فوائد التمر: عبد العزيز إسماعيل أحمد / مجلة الفيصل / نشر: دار الفيصل الثقافية / العدد: ٢٩١ / ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٩ .من أنظمة الدال إلى تشكيل الخطاب (قراءة نسقية في وصية الإمام موسى الكاظم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لهشام بن الحكم في العقل): عماد جبار كاظم/ مؤتمر العتبة العباسية المقدسة/ ١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٣م.

١٠. النظر إلى الوالدين بين الحقوق والعقوق: قاسم صالح علي العاني/ جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية/د.ت.

# الخلاصة

تناولنا في هذه الدراسة المرجعية القرآنية في كتاب "تحف العقول عن آل الرسول" للشيخ ابن شعبة الحرّاني من أعلام الشـــيعـة في القرن الرابع الهجري، إذ بحثنـا منهجيـة أهـل البيـت(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) في اسـتحضــار النصـوص القرآنية في الخطب والمواعظ والحكم الواردة عنهم، من خلال آليات تنوعت بين ما هو خفي كالتناص المفهومي ومنها ما هو جلي كالاســتشـــهاد والاقتباس، وكيف تم توظيف النص القرآني في كلام المعصــومين(عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ) من خلال مســتويات ثلاثة وهي: الوظيفة التفســيرية البيانية، والوظيفة الحجاجية الاستدلالية، والوظيفة التربوية والتوجيهية.

لننتقل بعدها إلى دور المرجعية القرآنية في بناء العقل وإدارة المجتمع وذلك من خلال بيان دورها في تفعيل الحجـة البـاطنـة وكيفيـة إدارة الحوار والمنـاظرة مع الخصـــم، كذلك بيـان دورها في تنظيم العلاقات الأسرية والوعي الصـحي، ثم انتقلنا إلى بيان دور المرجعية القرآنية في تأصـيل العقيدة وتنظيم التشريع.

وعملنا في الدراسة على اختيار نماذج من الروايات التي تتضمن نصوصًا قرآنية وبيان دور تلك النصـوص في كلام المعصـومين (عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ)، وكان الغرض من ذلك هو بيان علاقة المعصـوم بالقرآن الكريم، ووحدة المصدر الإلهي للنص القرآني ونص المعصوم، وتأثير النص القرآني في كلام المعصوم.

# Conclusion

In this study, we examined the Qur'anic authority and reference framework in the book Tuḥaf al-ʿUqūl ʿan Āl al-Rasūl by al-Shaykh Ibn Shu'bah al-Ḥarrānī, one of the prominent Shi'a scholars of the fourth Islamic century. The study explored the methodology of Ahl al-Bayt (peace be upon them) in invoking Qur'anic texts within their sermons, exhortations, and sayings through various mechanisms, some implicit, such as conceptual intertextuality, and others explicit, such as quotation and direct citation. It also investigated how the Qur'anic text was employed in the discourse of the Infallibles (peace be upon them) through three principal functions: the explanatory and interpretive function, the argumentative and evidentiary function, and the educational and directive function.

The study then proceeded to examine the role of Qur'anic authority in shaping the intellect and managing society by clarifying its role in activating the inner proof (al-ḥujjah al-bāṭinah), as well as in managing dialogue and debate with opponents. It further highlighted its role in regulating family relationships and

promoting health awareness. Subsequently, the study addressed the role of Qur'anic authority in establishing doctrine and organizing legislation.

Throughout the study, selected narrations containing Qur'anic texts were analyzed to demonstrate the role of these texts within the discourse of the Infallibles (peace be upon them). The purpose of this was to illustrate the relationship between the Infallible and the Noble Qur'an, the unity of the divine source of both the Qur'anic text and the discourse of the Infallible, and the profound influence of the Qur'anic text upon the speech of the Infallibles.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Wasit College of Education

# "The Qur'anic Referencing in Tuhaf al-'Uqul 'an Al al-Rasul by Ibn Shu'bah al-Harrani, a Prominent Scholar of the Fourth Hijri Century: A Thematic Study"

**A thesis by**

**Khayriyah Abbas Mohammed Al-Farhani**

**To The Council of the College of Education\ Wasit University in partial fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Qur'anic Sciences and Islamic Education\Qur'anic studies**

**Supervised by**

**Assistant.Prof. Dr. Natiq Najm Al-Zarqani**

**1448هـ** **2026م**